إمارة الزبير

بين هجرتين

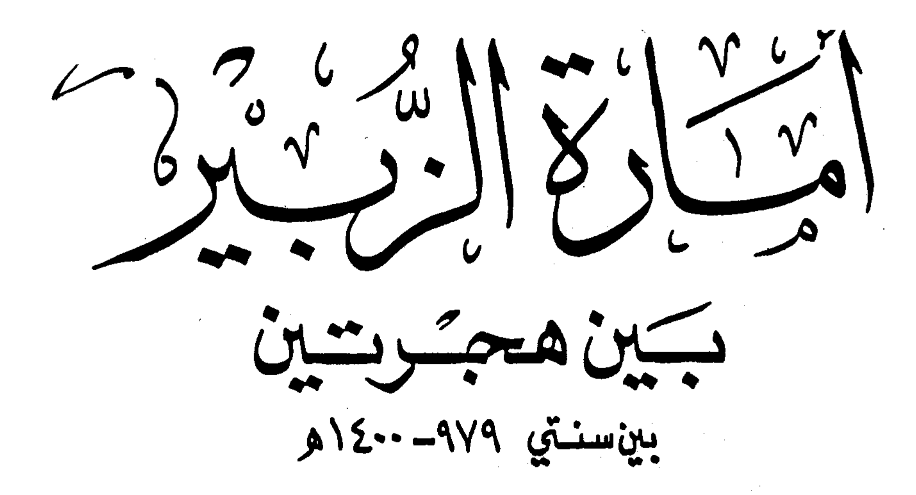
بين سنتي ٩٧٩-١٤٠٠هـ

الجزء الثاني

تأليف

عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز عمر العلي

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ-١٩٨٧م



بين هجرتين

بين سنتي ٩٧٩ - ١٤٠٠هـ

الجزء الثاني

تأليف

عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م



المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية



حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شرف الريادة وهذه الاعادة

سمينا الكتاب « امارة الزبير بين هجرتين » فقد بدأت الزبير امارة أو مشيخة بوجه آخر وعاشت هذه الامارة أو المشيخة ردحاً من الزمن. بدأت بالهجرة الأولى التي نزحت فيها العوائل من نجد (من سدير والقصيم والشمال والجنوب والدواسر) الى الزبير. وانتهت في الهجرة الثانية أو بما تسمى بالهجرة المعاكسة، يوم فتحت المملكة العربية السعودية صدرها أعز الله شأنها واعلى سعودها عام ١٣٩٢هـ فخف الشباب والشيوخ مستجيبين للدعوة الملكية الكريمة.. وكان فتحاً مبينا .. غمرتْ به المملكة العربية السعودية بملوكها وامرائها قلوب الآباء والأبناء من أهل الزبير بافضالها وبرها فضلاً من الله.

ونضرع الى الجليل الأعلى أن يكون الرد من أهل الزبير يليق بالفضل الجميل [1].

وهكذا يعود الزبيريون الى مساقط رؤوسهم الأولى. ان هذه الهجرة باركتها قلوب وعيون الملوك والأمراء السعوديين.

لقد كان الملك الراحل طيب الله ثراه عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على رأس هذه الدعوة الكريمة [2].

حدث التاريخ أن جلالته قد أوصى ممثلية المملكة العربية السعودية في البصرة يومها الشيخ محمد الحمد الشبيبلي باحتضان قضية أهل نجد في العراق وفيهم أهل الزبير – اذا رغبوا – وقد صدعَ السفير بالأمر. وأفاد مِن ذلك الزبيريون وكان هذا في الستينات من القرن الهجري الرابع عشر.

---

(١) امارة الزبير بين هجرتين ج ١: ٧ (٢) المصدر نفسه ص: ١٩١-١٩٢

وضرب الشيخ الشبيبلي بسهم وافر في احتضان التوصية ثم كان يتلقاها من بعده كل الممثلين السياسيين والقناصل في البصرة وبغداد بخصوص أهل نجد في العراق.

وحملها المكرمون أنجال المغفور له الملك عبدالعزيز رحمه الله كل من الملك سعود بن عبدالعزيز والملك فيصل بن عبدالعزيز والملك خالد بن عبدالعزيز طيب الله ثراهم ، ثم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ونحن في عهده السعيد اليوم. وأصحاب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني. والأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام. كما رعاها أصحاب السمو الملكي : الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض والأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية والأمير أحمد بن عبدالعزيز نائب وزير الداخلية أكرم الله مساعيهم .

كل هؤلاء أعز الله شأنهم قد تبنوا إعادة الجنسية السعودية لأهل نجد (في الزبير) ويسجل تاريخ العرب عامة والسعودي اليوم خاصة هذه المكرمة بمداد من نور مما يدل على أصالة الدعوة ووقعها من القلوب في السويداء .

وكان من أفضال تلك المكرمة الملكية أن تخول الدوائر السعودية المختصة بتشكيل لجنة مكونة من ثلاث شخصيات يكون مقرها الكويت – القطر الشقيق – يناط بها التعريف والتزكية بالعائلة أو الشخص الزبيري المتقدم لاستعادة الجنسية من أنه من أصل نجدي وتكون هذه الشهادة معتبرة تدخل ضمن الوثائق الثبوتية الأخرى التي تقدم الى دوائر الأحوال المدنية – وزارة الداخلية – في المملكة العربية السعودية .

الامثال التي تدور على الالسن في الزبير

الأمثال أقوال حكيمة يقولها صاحبها دون تعمد لها فهي بنت الساعة ولهفة الخاطرة تبرز لصاحبها إذا وقعت الحادثة، فتفيض نفس صاحب المثل بالعبارة لتعبر عن معنى الواقعة نحو :

(اللي ما يرضى بجزه يرضى بجزه وخروف).

وقد تقع الحادثة فتثور في نفس صاحبها عبارة تقع موقع الحكمة فيكون في هذا ـ التعبير البليغ فيذهب مثلاً أو تكون حكمة كقولك : «إذا طك الخشم تهاملت العيون» وهو معنى سام وفيه إثارة.

ويقع الإنسان في موقف مذهل وفيه حيرة فيشكو إلى الله أو يشكو إلى نفسه معبراً بما يختلج في ضميره فيقول :

اللي يبينا عيت النفس تبغيه والـلي نبيه عيَّ البخت لا يجيبه

وهذا يقابل قول الشاعر :

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وعلى هذا القياس تتوارد الأمثال ولكل مثل قصة أو سبب والأمثال لا وطن لها فقد ترد الأحداث متشابهة عندك وعند غيرك، في بلدك وفي غير بلدك. ليس يفرق بين هذا وذاك إلا إختلاف اللهجات. وفيما يلي بعضاً من هذه الأمثال :

١ ـ «يا خاطرنا إذا جاك الزاد تهن. فأجابه : كن باليدين تلاه».

ويعني المثل إن صاحب الضيافة بخيل وتأخر في تقديم الزاد وكان يقول لضيفه سيأتي الزاد فإذا حضر كل وتهن فقال الضيف وقد ضاق

صدره: يا ليت زادك يحضر عندها سوف ترى كيف تعامله يداي.

٢ ـ «سلام القاطع يوم العيد»

ويضرب هذا المثل لذي الرحم يقول لرحمه إذا لم تزرني في مثل هذه المناسبة (ويسميها بعينها) فمتى تزورني؟ واعتاد الناس أن يزور أحدهم صاحبه يوم العيد بعد مدابرة وأنقطاع تدوم من العيد إلى العيد.

٣ ـ اللي ما يعرف الصنقر يشويه»

وهذا المثل يضرب للجاهل الغشوم الذي تطيش سهامه في قياس الأشياء فيظن أن الطيور كلها تعامل معاملة واحدة لأنها طيور، وهذا خطأ. فأنت تشوي الحمامة وهي طائر فذاك حقها. أما **الصقر** فهو زينة لأهله وغنى لمن أراد به الغنى لا يعامل بالذبح والشواء كما يعامل الحمام وهو يقال للذي لا يفرق بين الرجال أو للذي يبيع البخس بالنفيس.

٥ ـ «جال الرچية ولا جال ابن غنام»

لهذا المثل قصة وهو أن ابن غنام صاحب مزرعة وأستخدم له صبياً يسقي زرعه وبعد أن عمل فترة من الوقت وانتجت الأرض قال الصبي: أتسمح لي يا سيدي بزيارة أهلي لفترة ما ثم أعود؟ قال ابن غنام: بعد أن تصفي الثمرة ونقبض الثمن أعطيك الرخصة وأعطيك المعاش فأنتظر. واستمر الصبي في العمل وصفى الأنتاج وبدأ بعمل جديد وقد مضت فترة ما فأعاد الصبي الطلب فقال له ابن غنام ما قاله من قبل. وهكذا تتكرر المقولات والصبي يطلب الرخصة وابن غنام يعده، حتى إذا كان الصبي في يوم من الأيام وهو يسوق الحمير أمام البئر الواسع والفكرة تراوده فإذا هو يقول: جال الرچية ولا جال ابن غنام، ثم ألقى بنفسه في البئر وكانت نهايته. وهذا المثل يضرب ليجيء علاجاً لمن يئس من حياة كلها آلام وآمال لا نتيجة منها.

٦ ـ «ترك ما لا يعنيك فايدة»

وهـذا من الحكم على أن الحكمـة والمثل يتبـاريان يحـل أحدهمـا محـل الآخر. ويعني المثل أن لا تُولِ اهتمامـك لما لا خـير فيه إذ بعض الأعـمال أو الأفكار تتعبك إن طرقتها وقد تدخلك مـداخل الهـلاك. ومن هذه جـاء هذا المثل: ترك مـا لا يعنيك فـايدة. وهـو يعني قول الحكيم: لا تتـدخل فيـما لا يعنيك. أيضاً.

٧ ـ «ما يخدم بخيل»

هذه حكمة يطلقها المتبصر من الـرجال ـ كـأن يكون هنـاك رجل من الكـرام تقع عليـه المعاناة في أمر من أمـور الـدنيـا فينهض آخـر أو آخـرون ليسعدوه وينصروه وفي نفس أحدهم يقول: والله لو لم تكن أهـلاً للنجدة مـا وجدت من يقف إلى جانبك وينهض لمواساتك وهنا أيضاً ينتصب المثل يقولـه سراً، وجهراً: ما يكرم أو ما يخدم بخيل.

٨ ـ «عليك بالزين لو چان غالي»

ويضرب باختيار الطيب من الرجال تستخدمة لقضايـاك أو الطيب من الأشياء لأستعمالك الخاص فأنه أرجى أن يدوم معك أو يـدوم لك. وبعكس الطيب من هذا أو ذاك فيخشى أن تقع بالرديء الذي يتعبك ويكلفك الكثير من المال والجهد.

٩ ـ «ما يطير بعيد ولا ينصاد بالايْدْ»

وهـو مثل يضرب للصـاحب الذي يعـطيك من حـلاوة الـوعـود التي تخدعك فتحسب أنها أقرب إلى الصدق. ولكن ما أن يحين مـوعدهـا إلا وقد آسفتك. فالطائر الصغـير المسمى (صعوة) يـطمعك حـين يحط أمامـك غير بعيد فتتقدم إليه بطيئاً تظن أنك ستصيده فإذا اهويت عليه طار قبـل أن يقع في يدك. ثم يحط ثانية قريباً منك ظانا أنـك ستهوى عليـه أسرع منه ثم هـو يخلف ظنك. وهكذا يورثك الحسرة وضياع الوقت.

١٠ - «تمره ما عليها لا حوس»

المعروف أن التمر بما أودع الله فيه من البركة والأمان فهو من النوع الذي لا تطرقه الهوام من حية أو عقرب أو سام أو بريص. ولذلك جاء في الأثر أن من أكل سبع تمرات في بكوره لا يضره سم ولا سحر. أو كما قال ﷺ فهي على هذا الأساس محروسة من كل سوء تضرب مثلاً بالأنسان الذي حمته الدوافع من كل شر، وباستطاعتك أن تؤمن عليه أن كان من الذين تهمك سلامته.[1] ويقال للشخص الذي يخلص نفسه من المصائب والنكبات.

١١ - «البير اللي تشرب منه لا تذب به حجر»

هذا البئر الذي فيه أمنك من العطش ترجع إليه عند الحاجة فيجب أن تحافظ على ديمومته ولا تسمح لأحد أن يتعرضه بسوء. ونادراً ما تجد أنساناً عاقلاً يلقي الحجر في البئر اللهم إلا طفلاً لا يعقل. والمثل منقول من الماديات إلى المعنويات. فكل أنسان أو غيره مما أعتدت أو أعتاد غيرك الأنتفاع به أو منه أن ترعاه حق الرعاية وإنما يقاس الفهم والمعرفة بهذه المدركات الحسية.

١٢ - «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه»

هذا المثل قديم وجدناه في أمثال الميداني يسميه (من أمثال العوام). والمعيدي أو المعدان هم قوم يسكنون أهوار العراق ويضرب بهم المثل في الغباء وتبلد الذهن والجفوة فهم لا يجيدون غير صيد السمك وصناعة المشحوف يركبونه في الهور وصنع البواري وتربية الجاموس. والأسم بحد ذاته يخدع القارىء لأنه منسوب لبني معد القبيلة العربية القديمة والمنسوبة إلى معدي كرب الزبيدي. فإذا رأى هذا المعيدي أستشبعه وود أن لم يره

---

(١) كان أهل الزبير يضعون بضع تمرات بل وحتى التمرة الواحدة على الحليب واللبن والبطيخ وكل ما يخشى عليه التسمم عن تلك الدواب المشئومة من حية أو عقرب ليحميها.

لوساخته وقبح منظره فيقول في نفسه سماعك بالمعيدي خير من أن تراه.

ويضرب المثل لكل من تستعذب جنسه والسماع به فإذا رأيته خيب ظنك أو جربته فأخلف أملك.

١٣ - «اللي ما يغنيه ربه تعبان»

بالطبع أن الغنى والفقر قدر العبد من ربه وليس يعني ذلك أن يتكل الأنسان على هذا بل عليه أن يسعى لأدراك معيشته وجاهه فإن نجح فذلك عون من الله على أدراك ما سعى إليه.

فإن لم يوآته الحظ مع ذلك السعي فعليه أن يرضى بالقسمة وربما قال لنفسه اللي ما يغنيه ربه تعبان.

١٤ - «اللي ما يحط زبيله ما حد يعبي له»

أي اذا لم تهيء زبيلك فلن تجد من يهيأه لك، ولهذا يقال تولَ أنت جميع أمرك، ويرمي المثل الى الأعتماد على النفس بعد الله. وتعبئة الزبيل كناية عن السعي للرزق، فإن السماء كما يقال لا تمطر ذهباً ولا فضة.

١٥ - «بيدك حب وفوقك رب»

ظاهر الحكمة هذه أن يلقي الزارع بذره والله يتولى الباقي. لكن المثل يرمي إلى أن هذا الحب ما هو إلا أمانة بيدك قد أحصى الله عدده وربما جهلت،. ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يراقبك ويحاسبك لو نقص منه شيء. وهذا يعني الأمانة التي بيدك قد أحصاها الله وعليك أن تردها لمن إئتمنك عليها كما هي اذ طلبها.

١٦ - «ما تعرف خيري لّمن تجرب غيري»

حكمة تقال عن طريق العتب على الصديق الذي ما وفّى لك بقدر ما وفيت له. وربما لو جربت آخر ظهر لك الفرق بين الأثنين: وفيٌّ ومستغل أو صدوق وكذوب.

١٧ ـ ما حك جلدك مثل ظفرك»

المثل العربي يقول:

مـا حـك جلدك مـثـل ظـفـرك فـتـولَّ أنـت جـمـيـع أمـرك

وقيل أيضا على لسان الحيوان: **ما حك شفري مثل ظلفي**.

ويعني هـذا أن الانسان يغني نفسه بنفسه دون الاعتـماد عـلى الغـير. وصاحب المثل إذ يقول ذلك فما ينبغي أن يغفل دور المسـاعد والمعـين. إذ أن لكل هؤلا دوراً في الأسعاد، والمرء قليل بنفسه كثير بصحبه.

١٨ ـ إذا ما طالت إيديك حط رجليك»

والمثل يقال للتحدي

١٩ ـ «إذا فات الفوت ما ينفع الصوت»

يقـال هذا المثـل على لسـان من تهاون في أمـوره حتى غلبته الأحـداث وكـان بأمكـانه لـو تدرأ لهـا ووزن الأمور ميـزانها بالتعقـل والأتزان مـا وقـع بالداهية، فقد ينتخي ويولول ويلوم نفسـه عندهـا يقال لـه ما قـاله صـاحب المثل: إذا فات الفوت ما ينفع الصوت.

٢٠ ـ «ما كل مجتهد مصيب»

يقال في سبيل التسلي والتعزي لرجل أجتهـد في عمل يـأمل أن يكـون حسن النتيجة فإذا الأمور تأتي معاكسة فيقال له عن طـريق التسلي والتهـوين عليه هذا المثل: ما كل مجتهد مصيب.

وفي الشريعـة كما جـاء قولـه (ص): «إذا أجتهد امـروء وأصـاب فله أجران وإذا أجتهد وأخطأ فله أجر واحد». أو كما قال: «ص».

٢١ ـ «الدُّوْب يقطع»

الدوب ويعني الأستمرار في العمل الذي معـك و(يقطع) يعني الافنـاء

ووضع حد للنهاية. والمثل بجملته يضرب للأنذار بالنهاية لكل ما يُلَحّ عليه.

٢٢ ـ «أعط بيدك وأركض برجليك»

يضرب عندما تقرض أنساناً جاء يطلب قرضاً لمدة معينة ويرد الدين. ولما أعطيته وجاءت مدة الايفاء لم يف وظللت تركض وراءه وهو يعدك في فترة يعينها لك وتأتي المدة ولا يفي.

٢٣ ـ «خفٌّ وراحة»

يقال للثقيل من الضيوف إذا زار ثم أطال فقام وخرج من المجلس أو أن ضيفاً آخر غيره دعوته لمضيفك فأعتذر فقال غيرك يخاطبك ومعلقاً على هذه الدعوة وهذا الأعتذار: «خفٌّ وراحة».

٢٤ ـ «أسمي بالحصاد ومنجلي مكسور»

وقد يقرأ المثل بتوجيهه للغائب فيقال: «أسمه بالحصاد ومنجله مكسور». ويضرب المثل بمن يشارك في عمل الخير ولكن بالقول فقط، وهو مقتدر على أن يشارك مشاركة فعلية ليجني الثمار. ويراه الناس وهو ينطلق ليعمل عمله وهو أعزل فربما ظنه آخرون وهم لا يعلمون بحاله فيقول آخرون وعندهم العلم: مسكين هذا اسمه بالحصاد ومنجله مكسور».

٢٥ ـ «لا تقول حب حتى توجي كراره»

والمعنى أن كل أنسان لا يعطي قراره في أمر يهم أن يفعله حتى يقول (إن شاء الله) وهذا المثل فيه قصة لها عبرة. وهو أن جماعة أشتركوا في زرع أرض ولما آن آوان الحصاد وحصدوه وكان قمحاً. قال بعضهم: دعونا نعبئه بالأكياس ونحكم وثاقه» وكان الوقت آخر النهار. فقال آخرون: «نحن الآن وقد أصابنا التعب وغدا إن شاء الله نغدو فنحمله». وفي هذا الليل هبَّت عاصفة وريح شديدة فذهبت بالحب. وجاء الأخوة من الغد فلم يجدوا شيئاً

عندها عضوا أصابع الندم وينتصب قول من قال: لا تقـول حب حتى توجي كراره[1].

٢٦ - «يا مقيط دوك رشاك»

دوك بمعنى دونـك أي خـذ اذا دفعت إليـك الشيء. وفي هـذا المثـل قصـة. هو أن أثنـين ذهبا ليصيـدا الطيـور (وهي الصقور) وكـان الصيادون يعلمون أن الصقور تبيض وتربي فراخها في سفوح الجبال المرتفعة ومثل هـذه الأماكن تسمى (مصقرة). وطير الصقر قليـل البيض تبيض انثاه بيضـة أو بيضتين فقط[2] . فيصعد الصياد إلى قمة الجبل ويمسك بالحبل ويتدلى صاحبه يبحث عن الفراخ في ثنايا الجبل وأتفق أن الذي نزل أسمه مقيط وهو الأكبر ، فإذا عثر على الفرخ يخبر صاحبه الذي يمسك له الحبل وهو الرشا . فيقول : يا صـاحبي أبشرك حصلنـا واحد . فيسـأل مقيط : لمن سيكون هـذا فيجيبه مقيط : هذا لي . ويستمر مقيط يبحث في جوانب الجبل وكلما ظفر بفرخ يبشر صاحبه . يصيح فيقول : يا صاحبي أبشرك حصلنا فرخ ثان . فيقول له : وهذا لمن يا مقيط ؟ فيقول : هذا لباي (والدي) . وذاك يغلي حنقاً . ويقول في نفسه وما دخل أبيه . وكلما قال الذي فوق : وأنا متى يكون نصيبي . فيقول له مقيط : أصبر ولا تعجل . فما كان من صاحبه إلا أن قال : يا مقيط دوك رشاك . وأفلت به الحبل . فراح يهوي .

٢٧ - «الجمل جمل كروى والمحجان من شجرة»

وهذا المثل يضرب على اللامبالاة، ويقال لمن لا يحمل المسئولية. فهذا مكاري استأجر جملاً من صـاحبه يحمـل عليه متـاعه وقـد أثقل الحمـل عليه

---

(١) توجي : أي توكىء، أي تربط، وكراره أي تحكم الربط على أعـلى الكيس حتى لو أنثنى عـلى الأرض لا يقع الحب لأنه محكم الربط. فهذا الحكيم يقول: لا تجزم بأنك ستغـدو على هـذا الحب ما كان غير مكيس ولا مخيط.

(٢) يقول الشاعر: بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلاة نزور

فكان ينوء بالحمل. وكان كلما يمر بجماعة يقولون له: ويلك تحمل البهيمة هذا الحمل!! وتضربها مع ذلك!!

فيقول لهم: الجمل جمل كروي والمحجان من شجرة.

٢٨ ـ «إن جان ما تاكف على الطي بارشاك

ما جف غيرك والتقاطيش ترويك

هذا بيت من الشعر بالأسلوب العامي للشاعر سالم الحميد وهو من الشعر الحكمي. ومعناه: أن الذي يستقي الماء من البئر يجب أن يقف على البئر بنفسه ويدلي دلوه وربما كثر الزحام على البئر. عندها يمكن أن يحصل على مطلوبه.، أما لو كلف غيره بأن يستقي له فسوف لن يُملأ له اناء. والتقاطيش هو الماء الوشل القليل الذي لا يروي. ويمكن أن ينقل المثل إلى كل عمل تعتمد فيه على غيرك.

٣٠ - «روح دور سُكينة بسوق الغزل»

يظهر من هذا المثل أن سوق غزل هذه المدينة واسع جداً ومتعدد الفروع والأقسام والذي يدخله تتشتت رغباته فيه وينسى نفسه ووقته خاصة إذا علمنا أن الزمن الذي قيل فيه لم تكن هناك إلَّا الحياكة باليد أو بالعدد البسيطة لا المكائن الأتوماتيكية. وهؤلاء العربان يدخلون المدينة يوم الجمعة فقط يبيعون غزولهم ويتمونون حاجاتهم ويصلون جمعتهم ويتغدون ثم يعودون إلى باديتهم. فهذه سكينة دخلت السوق مع رفقتها تبيع الصوف وتشتري من الثياب الملونة الجميلة المغرية وأخذها الوقت وكانت قد أنفردت في هذا السوق منشغلة بهذه المعروضات وعادت البنات ولم تعد. وحان وقت الرحيل وأفتقدوا سكينة التي لاشك أنها في هذا السوق الضخم المترامي فيتبرم أخوها أو أحد أقربائها فيقول هذا المثل. وهو يضرب للأمر المستعصى الحصول عليه.

٣١ - «ثلثين الولد لخاله»

ويضرب هذا المثل إذا أريد التشبيه والتقريب بالخال فالتشبيه هذا أو التقريب لا ينحصر في السمات واللون والتركيب الخلقي من شكل الوجه أو الأعضاء فقط وإنما يكون الشبه والجاذبية في الأخلاق. وهذا الأنجذاب يكون في الخال شقيق الأم أكثر مما يوجد في العم. قد يشبه الولد أباه في سمات كثيرة والذي يأتي في الدرجة الثانية هو الخال.

والصفات الخلقية تظهر في الولد أنجذابا لما عند خاله من شجاعه ورجولة وكرم وقد تأتي أضدادها تبعا لما عند خاله.

٣٢ - «الحمار يموت بكروته»

ويدل معناه على عدم المسئولية إذا أن البهيمة من حمار أو حصان أو جمل ينبغي على الأنسان أن يحاسب نفسه عليها فلا يحملها ما لا تطيق سواء كانت لك أو لغيرك. وحتى الحيوان الصغير في بيتك من قطة وطير وحيوانات أخرى تنتفع بالبانها أو أصوافها أو تعدها للذبح فرعايتها مسؤول عنها صاحبها مسئولية انسانية والحديث المشهور عنه (ص): أن أمرأة دخلت النار في قطة حبستها لا هي بالتي أطعمتها ولا بالتي أطلقتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت. وكذلك يقال المثل لمن استأجرته لعمل شيء فتضرر.

٣٣ - «البنت تعلم أمها الزحير والأم أزحر من البعير»

الزحير هو الصوت الذي يُشعر بالتألم والوجع الذي تشعر به الأم ساعة الطلق (الوضع). فهذه البنية الغريرة حضرت طلق والدتها ورأت ما هي عليه، والأم تذكر ربها ليهون عليها. فأشفقت على والدتها فهي تقول بلهفة: «يمة أزحري . . يمه أزحري» ولو كانت الأم في حالة طبيعية غير هذه

---

(١) هذه المدينة هي البصرة القديمة وسوق الغزل يقع في المكان الذي ندعوه اليوم بالعراص.

الحال لضحكت. ويضرب مثلاً للجاهل الذي لا يعي ما يقول وينصح شخصاً مجرباً. ومثل هذا يطلق عليه بالملكوف أيضاً.

٣٤ ـ «اللي ما له أول ما له تالي»

وهذه يقولها من وقع في مصيبة. يبدي عطفه وأشفاقه على صديقه أو أخيه أو أبيه أو ولده يراه وقد تخلى عنه ذلك الآخر الذي يسمى صديقاً بالأسم فقط وكان هذا التخلي في وقت الحاجة فيقولها في نفسه ملتاعاً وأسفاً ويقال لمن لا وفاء عنده.

وبالوجه المقابل فأن الصديق الأول لا يمكن أن يتخلى عن صديقه وقت الحاجة. وقال الشاعر:

أن الصديق الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ولم يقصِّر الشعراء قديماً وحديثاً في ذكر الأصدقاء وأحوالهم ووفائهم أو غدرهم وأنانيتهم.

٣٥ ـ «جلدٍ ما هو جلدك جره على الشوك والشجر»

وهذا المثل رديف المثلين السابقين أرقام «٢٧، ٣٢» وبالطبع فأننا حين ندونه فلأجل أن لا نتخلق به. ونستبشع ممن يأخذ به.

٣٧ ـ «ما كل ما يعرف يقال»

هذا المثل معدود في الحكم وقد يلتقي المثل بالحكمة وتذهب الحكمة مذهب الأمثال. ويعرف المتحدث العلم الكثير في مختلف أفانين الحياة ولكن عليه أن يكون حكيماً فلا يقول كل ما يعرف فقد يكون في بعض ما يقول الضرر والفتنة. وقال في هذا المعنى: «جرح السنان ولا جرح اللسان» أي لا تتكلم بكل ما تعرف فالكلام يجب أن يكون له ضوابط.

٣٨ ـ «من حضر عنزه جابت عناق»

وقال صاحبه من حضر عنزه جابت عناقين (عناكَين). العناق هو صغير المولودات من الغنم أي الحوار. فالعنز التي تكون مع راعي الغنم غيرها لما تلد عندك في البيت. والساروح الذي يجمع الغنم ليسرح بها خارج البلد قد تحدثه نفسه أن يأخذ هذا الحوار من هذا العنز إن كان جيداً أو يأخذ واحدة إن كانت اثنتين من هذه المواليد. فهذا يقول لصاحبه هذا القول من الحكمة وينقل المثل إلى بعض الحالات في حياة الانسان. فالأنسان إذا لم يقم لعمله بيده فيسنده لغيره يقوم عنه له فهو خسران أو مقصر. وهذا المثل يجرنا أن نتذكر المثل القائل «اللي ما يحط زبيله ما حد يعبيله» أو بيت الشعر القائل

إن چان ما تاقف على السطيّ بارشاك
ما جف غيرك والتقاطيش ترويك

٣٩ ـ «الذيب في الجليب»

الجليب هو البئر ويسمى أيضا القليب ولكن ماذا يعني الذئب والجليب. هذه استعارة مكنية. فالذئب هو من يحذر منه فلا ينبغي أن يسمع مني أو منك ما يحذر منه، وهو بيننا وكله آذان فيقال عندما يوجد بالمكان شخص يُحذر منه سماع الحديث.

٤٠ ـ «على شمسك غيوم»

الغيوم تحجب الشمس وهي أستعارة مكنية أيضا فالقادم كالشمس

لجماله أو لفائدة بوجوده، فغيبته إنما كانت بهذه الغيوم. قالوا المثل: مقالة الترحيب بالقادم والتشوق إليه وأبتهاجاً به بعد طول غياب.

٤١ - «لو صاحبك حي تجلم». (أي تكلم)

ويقال المثل عندما تنتظر الرد من صاحبك بأيجاب أو نفي في سرد حديث تطلب منه البيان فلا ينطق الكلمة. فيقول من حضر المجلس موجهاً القول للشخص الأول لا تأمل منه رداً. لو صاحبك حي تجلم - فهو حي وليس بميت ولكن سكت سكوت الأموات.

٤٢ - «المِنّة على من هداه الله»

وهذه حكمة تقال بمعنى أن من هداه الله فقد تفضلً الله عليه بالخير كله هذه نعمةكبرى وهذا فضل من الله .

والمنّة هي النعمة والفضل والأيمان وكلها من عطاء الرحمن . فمن أُعْطَيها فإنما هي عطية من الله. والهداية من أجلّ هذه النعم. وفي هذا المعنى قيل: من حبّه الله حبته خلقه والسنة الخلق أقلام الحق .

٤٣ - «يسوي من الحبة كبة»

وهذا المثل يفيد التهويل والمبالغة في الأشياء. وهو شيء مذموم، فالفصاحة في القول أن تعطي المعنى حقه بلا أقلال ولا أكثار.

٤٤ - « اللّي يبي الدح ما يقول أح »

وهذا المثل رائع في الحياة العملية والاجتماعية مع الأخوة أو مع الناس عامة. ويضرب مثلاً لمن ظن أن الحصول على الشيء الجميل سهل وبدون معاناة، بل هو صعب وهو كما قال الشاعر: ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر.

وكما قال الآخر:

ولا تحسبن المجد تمراً أنت آكله
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

٤٥ ـ «من بغاه كله خلاه كله»

بغاه أي استحوذه والشيء هنا هو الرزق. يوجد بعض من شغلهم الطمع والكَلَب على الخير بدون قناعة ولا تبصر فإن جشعه هذا قد يورده الهلاك. حين يجد نفسه بدون تبصرة في الأمر فيقع في المحظور وربما يكون فيه حتف أنفه والهلاك المحتم، وعليه فأنه سيحرم نهائياً مما طمع فيه أولاً وجمعه متفانياً.

ويقول المثل الكويتي: «من طمع طبع». وطبع بمعنى غرق في البحر. هذا صاحب سفينةٍ يعمل في البحر فيطمع حين يجد بضاعة أكبر مما تحتملها سفينته فيحملها طمعا في كسب الأجرة. وفي منتصف البحر ومع أقل عاصفة وتمايل من السفينة قد يؤدي الأمر إلى غرقها وخسران السفينة ما فيها.

٤٦ ـ «الحب من بذره:
وهالعود من هالشجرة:

هذان مثلان يعدل بهما إلى الحكمة ويضربان مثلاً للفتى يطرى لأخلاقه بأنه وريث أبيه في حسن الخلق والأفعال الطيبة اذا صدر منه فعل مثل هذا. ولا يقال إذا كان الفعل سيئاً.

٤٧ ـ سوزين وذبه بالبحر: ويقال بلفظ آخر.

سوزين وذبه بالشط:

ويضرب المثل بأن الفعل الكريم لا يضيع فإنه إن لم يلق مردوده حالاً فسيلقاه بعد حين فقد يتأخر فترة ما. ولو تأخر جزاؤه في الدنيا فلن يضيع عند الله. ومجال القول فيه أن هذا العمل الكريم يجب ألا يأسف صاحبه إن نُسي. والبحر رمز للضياع.

وقد قيل: لا يذهب العرف بين الله والناس .

وهذه نخبة من أمثال ترد على ألسن أبناء الزبير شيباً وشباناً. تقال وتحمل بين طياتها غاياتها. تقال في حال اليسر والعسر وفي مجال الشُح والكرم والشجاعة والخوف والتآسي والغيظ.

ـ يقول صاحب المثل: «الميت ميتي وأعرفه أشلون محروق الصفحة» .
ـ أكلْ مر وأشرب مر ولا تجابل مر.
ـ أغزي بحظ ولا تغزي بمراجل.
ـ يارب إرزق وأسرع.
ـ الدواء بأخس الشجر.
ـ أخذنا السيل وحنا نقول ديم.
ـ حمّله وزمّله.
ـ عسى لنا بالقوم ابن عم.
ـ يا فرحةٍ ما تمت.
ـ أشبعونا طق وأشبعناهم شتايم.
ـ نص الحرب دهوله.
ـ ما هان تبارك.
ـ الصيت للنورة والفعل للزرنيخ .
ـ العين بصيرة واليد قصيرة.
ـ أصابعك ماهن سوا.
ـ طارت الطيور بارزاقها.
ـ كل طير يشبعه منقاره.
ـ سنبلت على كعب.
ـ العين ما تعلى على الحاجب.
ـ علمته الطوافه سبقني على البيبان.
ـ قال شحادّك يا مسمار قال المطرقة.
ـ زيان بالفاس ولا عازةٍ للناس .
ـ العود ولا القعود.

ـ من شبع تبيصر ومن جاع قلت ابصاره.
ـ مالٍ تودعه بعه.
ـ لا أرحمك ولا أخلي رحمة الله تنزل عليك.

خاتمة الأمثال

ظهر أن الأمثال تلتقي مع الحكمة وهي ليست منها ولا يجمعهما إلَّا التأثر بهذه البلاغة والشعور النابض في كل منهما.

وأستعمال المثل في الحديث يكسب العبارة حلاوة وأشراقاً وأمتداداً لقيام المجلس. وفي المجالس الأدبية تدعو الحاجة لأستعمال الأمثال وإلَّا كان المجلس جافاً.

* * *

والمجالس الأدبية خلاف طبيعة المجالس الأخرى، فالمجلس الرسمي في حديث الدولة والشئون الأدارية أو السياسية لا يستطاب إيراد الأمثال بل لا تدعو إليها الحاجة.

وفيما نحن نتطرق إلى حديث المجالس يجدر بنا أن نتطرق إلى مجالس العلماء. يحدثنا الأشياخ الفضلاء ممن أدركناهم أو عايشناهم في الزبير أمثال الحاج عبدالله المطلق والحاج عبد المحسن المهيدب والشيخ محمد العسافي يقولون: أن المشايخ العلماء الذين أدركناهم رأيناهم يقيمون الجلسات في مجلس أحدهم بالدور وتكون هذه في ليلة الثلاثاء أو ليلة الجمعة، فليلة الثلاثاء كانت موروثة لعلماء السلف ونحن قد أخذنا بها؛ وأما ليلة الجمعة فلبركتها وهي عيد المسلمين. كانوا رحمهم الله يقضون هذه الليالي بالأسمار والنوادر السامية الأدبية من النوع الذي يرى في كتاب (صيد الخاطر) لأبن القيم الجوزية. ويحدثنا أحد هؤلاء الرواد أن أولئك العلماء الذين أدركناهم يتبارون في الوقوف على مسألة شرعية: كان الشيخ الشنقيطي رحمه الله يطيل في الصلاة وكان الشيخ محمد الرابح رحمه الله يتعجَّل بها ونصب مجلس

العلم في أيهما أصح وأدلى كل دلوه وأتى بالأحاديث الواردة في البطء والاستعجال. وقضى القاضي في هذا المجلس أن الحكمة في الأمر يقدرها الأمام بأن يعجل أو يتباطأ حسب المصلحة بوجود المصلين ومن أيهم في النوعية أمن الشيوخ العاجزين هم أم من الشباب الناشطين. والوقت هو فراغ كالفجر والعشاء أو وقت عمل كالعصر وهكذا تم الوفاق بين العلماء الأفاضل وبعد المجلس يقدم الطعام والقهوة ولم ينتشر بعدُ الشاي .

ومن مجالس العلماء أيضاً المطاردة في الشعر وطريقة المطاردة هذه أن يتكون من الحاضرين فريقان يبدأ الفريق الأول بأيراد بيت من الشعر فيناجزه الفريق الثاني ببيت يبدأ بما أنتهى أليه قافية البيت الند. وهكذا قد تمضي ساعات من الليل وخاصة ليالي الشتاء.

وقد كان المعلمون في الزبير يقضون لياليهم بهذه المتعة الأدبية ويتعمد أحدهم أن يحفظ أبياتاً تنتهي بقافية صعبة كالجيم والهاء والشين ليعجز خصمه ثم يأكلون الحلاوة (حلاوة النصر) .

* * *

ومن هذه المجالس مجالس البيت تعقده ربة البيت أو المرأة العجوز فيجتمع حولها البنات الصغار والكبار والأولاد الصغار وتسترتسل العجوز بالقصص وتسمى (سباحين)[1] وترى الصغار وكلهم أسماع وأبصار لما يرد في هذه القصص من وقائع ومفاجآت من أمثال قصص عنتر وعبلة وأبي زيد الهلالي وتُوَدُّد والجارية مما ورد في كتاب ألف ليلة وليلة.

وترد هذه الليالي الجميلة المملوحة في الصيف في الليالي المقمرة حيث يفرش الحصير وبعد العشاء ينتصب الصغار من البنات وربما الكبار من أمهاتهم وكأنهم على موعد. وعندما تطول القصة يتسلل النعاس إلى أجفان

(١) السباحين بمعنى السوالف.

بعض هؤلاء المستمعين عندها تنسل القصّاصة لتقـول: يالله وتصبحـون على خـير تماماً كما كـانت تقول شهـرزاد لشهريـار في آخر الليـل وأدرك شهـرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح. وكانت العبـارتان من عجـوز البيت إلى شهرزاد الجارية الجميلة تتكرران في كل ليلة والأيام تطوى.

الحياة الاجتماعية

وتدخل تحت هذا الباب عدة فصول في كل فصل تضطرب حياة عريضة لها أصول وامتداد ومظاهر تتميز فيها قواعد وتنم عن شخصية عميقة لها صلة في الدين والتاريخ العربي والأعراف الأصيلة والمكتسبة وتنصب هذه الأعراف في الفصول التالية :

١ ـ عاداتهم في الأفراح والمباهج .
٢ ـ عاداتهم في الأتراح والوفيات .
٣ ـ عاداتهم في المروءات والمبرات .
٤ ـ في النجدة وغياث الملهوف .
٥ ـ في الغيرة الوطنية والدعوة إلى الدفاع والدين والأعراض .

أولاً : العادات في الأفراح والمباهج

ويشمل هذا الفصل على حفلات الأعراس وما يكتنفها من قبل الخطوبة وما إليها ثم الزواج والولائم .

ومن دواعي الأفراح احتفاء الناس بالأعياد الدينية وما يكتنف ذلك من اعداد وأضطراب الناس في مباهج ومظاهر اجتماعية وتدخل في هذا الأطار مظاهر للفروسية وألعاب القوى . ومن تلك الدواعي الاحتفاء بشهر رمضان واحياء لياليه والاعداد للشهر من كل ما تستدعيه ذاتية الشهر مادية وروحية .

ومنها الاحتفاء بالحج والحاج في ذهابه وعودته . والاحتفاء بالخريج من الدراسة على أاختلاف أنواعها من أختلاف الطبقات . ومنها الاحتفاء بأيام

الربيع وموسم الأمطار. ومنها الاحتفاء بأيام الحصاد وجني الثمار وتزكيتها. والاحتفاء بعودة المسافر من سفر بعيد.

هذه كلها وأمثالها لها علاقة بحياة الناس الاجتماعية سواء داخل بيوتهم أو في ساحات تواجدهم وأسواقهم. وحرصاً منا على استقصاء تلك العادات فأننا سنأتي بتبيان ذلك حسب الجداول أعلاه ومن بعد تليه بقية تلك العادات.

الاحتفال بالزواج

الزواج: مظهر اجتماعي به تتأصر العلاقات بين العوائل وتنمو الجماعات بشرياً وسكانياً وفيه قال الرسول ﷺ: «الزواج سنتي فمن رغب عن سنتي فقد رغب عني..» وقال: «تناسلوا تكاثروا أباهي بكم الأمم يوم القيامة». ومنذ أن يبلغ الفتى مبلغ الشباب ويبلغ الحلم يقوم والده في الأهتمام جدياً بأمر تزويجه من البنت التي تليق بالعائلة وتكافئها.. فالأهتمام أولاً بالمنبت الصالح ثم تليه بقية الأسباب. وهم بذلك يجرون مجرى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «أياكم وخضراء الدمن!». قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء». كما يحرص الأباء على الأخذ بحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم: «تنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها وجمالها ودينها فأظفر بذات الدين تربت يداك..» وكثيرا ما يجتمع عندهم من هذه المميزات ثلاث من أربع فيأخذون به على أن يكون منها ذات الدين. والتربية الزبيرية تسودها عموما الروح الدينية مظهراً وذاتياً. ويهدف الأباء من التبكير في تزويج أولادهم لعدة أمور.. منها إحصان الفتى والفتاة وأشباع نفس الفتى بالمتاع الحلال وأقصار تطلعاته عما سوى ذلك.. وليكون الشاب منصرفاً إلى عمله الذي يزاوله سواء مستقلاً أو في ظل العمل مع والده يتساندان في قيمومة البيت الذي عاش فيه وتربى يرد الوفاء لأبيه وأخوته الكبار أو ليواصل بر والده بعد وفاته على الوالدة والأخوة الصغار حفاظاً على معنوية البيت واسم العائلة ومركزها وهذه

الخاصية يؤمنون بها فقد رضعوا لبنها مع الطفولة وهي عادة عربية أصيلة أكدها الدين وقوتها التربية.

وفي هذا الصدد نرسم صورة كانت متبعة لأيام الخطبة قبل جيل من الزمان:

إذا آنس الوالد أو والدة الفتى الذي بلغ مبلغ الشباب يتحسسان أفكاره وحركاته وهواجسه فأن كثيرا من شباب ذلك الزمان يخجل أن يبدي برغبته في الزواج فضلاً عن أن يفوه برغبته ببنت معينة. وأم الفتى أكثر أهتماماً بهذه التحسسات من والده وربما كانت أخته الكبرى المتزوجة تحمل نفس المهمة التي تقوم بعبئها الوالدة وذلك عندما تراقب أخاها تستولي عليه عواطف الجنس تلوح على محياه وتصرفاته في البيت من كآبة وضيق أو سهوم أو وجوم، عندها تشعر أمها عما رأته من أخيها فتتفقان على عمل شيء كأن تقوم أحداهما بقص القصص المشوقة في المجلس العائلي التي من شأنها أثارة الشعور في الرغبة في الزواج فإذا رأوا من ولدهم إصغاءً وانجذاباً لهذه السوالف فربما لمحوا عنده حب الأستزادة منها خاصة إذا راحت أخته أو والدته تنمق في حديثها وصف تلك الفتاة بطلة القصة وهيام الفتى بطل القصة بفتاته ذات الطلعة الجميلة والعيون الساحرة والشعر الطويل والملاحة، عندها تقع عين الوالدة أو أخته على اهتمام الولد وكأن عداداً يرتسم على صفحة وجهه دون أن يشعر. وربما تكررت القصص الخيالية في ليالي الشتاء تقضيها العائلة مع بعضهم من بنين وبنات فإذا حصلت القناعة من المخرج المسرحي (الأم أو الأخت المتزوجة) لولدهم هناك تجب المكاشفة، علما أن آباء الجيل السابق يحرصون على تزويج أبنائهم بسن مبكرة عندها تمسك الوالدة ولدها وحده وتقول له: (يا وليدي ما ودك نخطبلك أبنية حلال.. تضفك وتأنس وحدتك بالليل الطويل..؟!) وربما أضافت: (شوف فلان ولد عمك وفلان جارنا تزوجوا وشحليلتهم مستأنسين وجنهم الطربة..) بمثل هذه العبارات تبدو رغبة الولد أن كان ايجابياً فيقول: (بلى والله يمه.. كيفك... قولي لأبوي..) فترد عليه:

(ليش ما تقول له أنت. . ؟) فيرد: (يامه أنا استحي من أبوي. .) فتقول: (زين أنا أدبر الأمر. .). أما الوالدة فأنها تفضي إلى والده وتحاول أن تكبر المسألة أمام والده لغرض التعجيل بالبحث والخطبة عن بنت الحلال.

فيقول الوالد لأهله: هيا أبحثي لولدك وأخبروني وحسني له واحدة من بنات عمه أو أخواله أو عماته فإذا حط نظره على واحدة فأخبريني. وتعود الأم إلى ولدها فتقول: يا وليدي تعال. . شتقول ببنت عمك فلانه أو فلانه أو بنت خالك. . فيقول: يمه من زمان ما شايفها أوصفيها لي. فتصفها وربما قال: يمه أنا أبي بنت طويلة أو بيضاء أو سمراء وأبيها خفيفة روح وأنا أبي شعر وأبي عيون وساع وأبيها مزيونة بكل شيء. فتقول: أعتمد على أميمتك وما كارك. فتذهب الأم وتحتال بطرق متعددة على الدخول إلى البيت الذي تأمل أن تجد فيه بنت الحلال خاصة إذا كان ولدها لا يرغب في بنت من قريباته.

فتضرب الباب فتفتحه ربة البيت فتقول تلك: مسّيكم بالخير أو تقول: يصبحك بالخير. . الله يعافيك أعطيني أميه أنا عطشانه. والمرأة تتطلع يمنه ويسره، فيحضر الماء وتشرب. وربما قالت لها أم البيت: أدخلي وأستريحي منين جايه. فتقول: والله من مكان بعيد وعطشت.

ولما كانت هذه المرأة جاءت وعندها علم بوجود بنات مزْوجات[1] فأنها تتشبث في الدخول والجلوس بشتى الحيل لغرض أن ترى أحدى البنات فلربما طلبت الدخول لحمام أو ربما طلبت سجادة للصلاة لفرض فائت، وكما يقولون السلام يجر الكلام حتى تسألها: أنتي بريحتك بهذا البيت. فتقول لها: الحمد لله عندي بنياتي. فتقول: الله يبارك لك فيهن. هذا كله والبنات متخفيات في الدور. فتقول: ليش ؟!! مستحيات مني ؟ عندها تدعوهن أمهم: صفية!. . أو حصة ! . وربما جاءت هذه بالماء أو السجادة أو

---

(١) مزوجات: بنات أبكار على حدود الزواج.

بالحاجة الأخرى. قد تكون أم البنات قد وعت ما تخفيه هذه المرأة أو لم تع ذلك. وهذه المرأة الزائرة بهذه الحركات قد لمحت واحدة منهن ذاهبة ورائحة وربما سألت عساها قائمة في البيت.. ومريحتك. فتجيب إي والله الحمدلله ثم تقوم الزائرة وتدعو لأم البيت ولبناتها قائلة: الله.. ينطيهم الحظ. وربما في هذه الجلسة نفسها تفضي الزائرة فتقول: ما على الله خفا أنا جايّة خطابة لوليدي الشاب ونحن البيت الفلاني وولدي بيده قلم[1] أو يشتغل في عمل كذا ونبي بنتك فلانة وانتي قولي لأبو عيالك وأنا أمركم بعد أسبوع أنشاء الله وأنتم أسألوا عننا.. وأذا أبوكم وافق عاد الرجال يخطبون من الرجال فتجيبها الله يكتب الصالح فتأتي الأم لولدها وتحدثه وتصف له فتاة أحلامه. وربما كانت قد طرقت عدة بيوت أملاً في أن تحصل على الفتاة المطلوبة، وربما اعتذر أهل الفتاة بأن بنتهم مخطوبة أو أنها صغيرة أو بأيّة أعذار أخرى فإذا تمّ الاتفاق مبدئياً تأتي المراحل الأخرى.

كانت الأمور في ذلك الجيل تجري على البساطة في كل شيء أما المهر[2] فلا يكاد يذكر لأن الأصل هو رضا الطرفين وقناعتهما من بعضهما البعض من حيث شرف العائلتين. أما البنت فرأيها عند والدها وقناعة الوالد في الغالب تكفي بانعقاد الأمر دون الرجوع إليها. وربما دون الرجوع إلى أمها. ومطاليب الزواج قليلة فالكثير من هذه الحاجات لا تشتري بل تستعار من الجيران والأقارب لتستعمل ليلة الزواج والأيام التي تليها. فقد يستعار الذهب وتستعار بعض الملابس وتستعار بعض قطع الفراش وتستعار الأواني وتستعار أدوات الزينة التي تجمل حجرة العروس وقد لا نستغرب أن تستعار المدّة والحصير فأكثر لتفرش في الحجرة أو الديوان. وربما استعير السرير الذي يعلوه فراش «المعاريس». وكذلك لباس المعرس فقد يستعار عباءة الرجل «البشت» وتستعار الدقلة. ولا ضير في ذلك فهذه الحاجات تلزم لضرورة

---

(١) يقصد بالقلم القراءة والكتابة وأنه موظف يقبض راتباً بسبب هذا القلم.
(٢) لا تستغرب إذا سمعنا أن المهر مائة روبية وفي عهد الدينار يكون عشرة دنانير أو خمسة عشراً أو نحواً من ذلك.

التجمل بها فكيف والمتزوجون من طبقة فقيرة لا تملكها وهم قد ألفوا هذه الإعارات بعضهم من بعض.

ثم يجري العقد بحضور الشيخ أو القاضي وبحضور المعرس ووالد العروس وكيل شرعاً عن ابنته كما يحضر شاهدان فيتم العقد الشرعي ويبارك بعضهم البعض وتوقع ورقة أعدّها الشيخ تسمى «إذن نامه» أي عقد الزواج يوقعها مع توقيع الطرف الأول والطرف الثاني ثم الشهود وبذا يتم الزواج.

ويخرج القاضي وذوي العقد والشهود إلى الديوان الذي قد ضمّ جماعة المدعوين فيقبلون ويهنئون وتعم التهاني والتبريكات جميع الأهل والأقرباء ومن هذه العبارات: «منك المال ومنها العيال» ومنهم من يقول «مبارك عليك زواجك، ورزقك الإلفة مع أهلك» ومنهم من يقول «رزقك الله الحظ السعيد وأنت له أهل». ثم يدعون إلى تناول العشاء، وكان في الجيل الذي سبق يتناول قبل المغرب بحيث ينتهون منه فيغسلون أيديهم ثم تدار القهوة ويرشحون بماء الورد وينصرفون مع التبريكات إلى صلاة المغرب.

وفي اختيار الزوجة ربما كان الزوج لا يعرفها من قبل ولا الفتاة تعرف فتاها ويدخل عليها ليلة الدخلة وهو يدعو الله أن يوفق في زواجه ويسعد وفي الوقت نفسه فإن البنت تدعو الله بالحظ السعيد وبالزوج الذي سترتبط به حياتها المستقبلية.

تلك أيام عفّى عليها الدهر واستجدت عادات في الأفراح وفي يسر الحال عندما انفتحت الدنيا على أهل الزبير كما انفتح الخير على أهل الكويت وأهل السعودية فمن بعد استعارة حاجات الزواج ومتطلبات العرس، أصبح الزوج يملك هذه المتطلبات كما يملك والد الفتاة تلك الحاجات. ولم يخل ظرف الزواج من بعض «العاريات» يستعيرها الزوج أو أهل الزوجة بما يتناسب وظروف العصر مما لا يملكه ذوو العلاقة.

ومما يجب ملاحظته تخير الزوجة الصالحة فإن ذوي الأحلام يعملون بالحديث: «تخيروا لنطفكم، فإن العرق دساس». كما أن البعض يحرص

على أن يختار زوجته من قرابته، فقد روى في الأثر أنه قيل «اغربوا لا تضووا» وهي نظرة علمية صحيحة أي ابعدوا في اختيار الزوجة بألا تكون قرابة قريبة فيأتي الولد ضعيفاً، غير أن بعض العوائل تصر وتحرص على زواج البنت من ابن عمها.

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة أن العادات الزبيرية قضت بألا يحضر حفلة الزواج أبو العروس ولا أخوانها. ولا يهنئهم الناس إنما التهنئة للعريس وأبيه وأخوانه وأعمامه فقط من الرجال أما أم العروس وأخواتها وعماتها وخالاتها فيحضرن مبتهجات يستقبلن الزائرات في بيت الحريم ويسمونه الحرم. وقد تجري تهنئة آل الزوجة من الرجال من بعد الغد .

ومما لا ينبغي أن يفوتنا في التربية البيتية، وفي حال البنت إذا بلغت السن التاسعة من عمرها (يخفرونها) أي يمنعونها من الخروج حتى قرب الباب بل تمنع من فتح الباب إذا طرقه طارق إمعاناً في الستر وتظل على هذه الحال حتى خطوبتها وتزويجها.

ومن الملاحظ اليوم بروز عادات وأحوال جديدة.. فأن غلاء المهور ومتطلبات الزواج المادية الحديثة تفت في عضد الشباب وتقف في طريق الزواج فيعزف الشاب عن الزواج حتى تتقدم به السن كما تتقدم بالفتاة وهذا خلاف الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى التواضع في هذه التكاليف.. ويتحمل الآباء والتقاليد جريرة ذلك.. والأمر يدعو إلى التفكير والجدية، وأن أعداء الأمة تطرب لذلك العزوف في حين نراهم يتواضعون في الأنفاق فيكثر الزواج عندهم... وكأنهم يرمون إلى خطة بعيدة بنا وبهم نقل ويكثرون.

وننتقل إلى محيط الزوجة وأهلها بخصوص أيام الخطوبة والزواج.. فإن هناك أياماً سعيدة تمر بها المخطوبة استعداداً لأيام الحياة الجديدة.

هناك ليلة الحناء والتجميل.. فإن أهل البنت وصديقاتها يقضين معها أياماً وليالي يفضين اليها بواجبات الزوجة نحو زوجها في بيتها الجديد مع

أهل زوجها. . (والحديث ينصب في هذه العادات في النصف الأول من هذا القرن) وليلة الحناء والخضاب تجمل الفتاة (العروس) نفسها فينقش أهلها أصابع يديها ورجليها وباطن الكف وظاهره. . والحناء أحمر اللون والخضاب أسوده. يتم ذلك قبل ليلة من (الدخلة). . ومن الطريف أنه يثبت باليد فلا يزيله الغسيل بسهولة ثم تجمل بالثياب الزاهية وبالحلي بصورة زائدة حلي لليدين والذراعين وحلي للأذنين وللرأس وللشعر وللصدر وللوسط والقدمين، وهناك الشجايج والوطيه وهذه حلي للرأس والضفائر. وهناك الحزام يشد به الوسط. والحجول للسيقان، وهذه الحلي كلها من الذهب. كما أن هناك المحابس وهي الخواتم حتى تبدو محملة بالذهب. ولا يشترط أن يكون كل هذه الحلي ملك العروسة بل البعض منه عارية من الأقارب وتظل تلبسه ثلاثة أيام وربما إلى بضعة أيام أخرى ومما يستعار زينة لدار المعرس كذلك الزوالي والدواشق والتخوت وغيرها.

والتفاتاً إلى ليلة الدخلة بالنسبة للرجل وغالباً ما تكون ليلة الجمعة أو ليلة الأثنين لبركتهما فيدعى الأصدقاء والأقارب من ذوي الزوج والزوجة لحضور هذه الليلة وتقال عبارة (الليلة يتبارك فلان) كناية عن الزواج فندعوكم للحضور مع صلاة العشاء في المسجد (الفلاني). وهذا الأهتمام ينصب على أول زواج سواء للفتى أو الفتاة فتهيأ الديوان ويفرش البيت بكامله وتعمل القهوة الحلوة وتشعل الأضواء الساطعة كما يحضر ماء الورد والبخور ويذهب المعرس للصلاة وحينما يخرج من المسجد يجد جمهرة من المحتفلين ابتهاجاً بهذه المناسبة وتبدأ الصلاوات ألف أصلّي وسلم عليك يا حبيب الله محمد وفي أول الصلوات يكون هناك اثنان من الشباب من اصدقاء العريس يحيطانه من يمين وشمال يسميان الوزراء ويصحبانه حتى الوصول إلى الديوان. وما أن يقبل موكب العريس على البيت وتراه النساء حتى ترتفع أصواتهن بالزغردة. والشباب يهوسون قائلين: «شايف خير وتستاهلها». ويرددونها عدة مرات حتى يصلوا إلى البيت. والأنوار (حملة اللوكسات من أمام المعرس وأصحاب الهوسات) فيدخلون الديوان ويتكدس

الناس في الجلوس وأخذ أماكنهم من المجلس، في حين تجتمع النساء بمثل ذلك في الحرم (البيت) يتطلعن للموكب فتقدم القهوة ويتشاغل الناس بالحديث فيما بينهم ثم يرشون بماء الورد وتفوح رائحة البخور ويقال في هذه المناسبة (باركوا له.. باركوا له..) ليسمح لباقي المحتلفين من الدخول الذين ضاقت بهم رقعة الديوان فينصرف جماعة ويدخل آخرون إلى أن يدخل المعرس إلى حجرته. وفي هذا المقام يقال عدة عبارات يهنيء فيها المدعوون المعرس.. «منك المال ومنها العيال» ثم يصافحونه ويعانقونه ومنهم من يكتفي بالقول: «مبارك أنشاء الله». فيرد عليهم «الله يبارك لك». ومنهم من يقول «الحمد لله على هذا اليوم» و«بارك الله لك والله يلحقك بالذرية الصالحة» ويقال لوالده بعد عبارة التبريك «ان شاءالله تزوج اخوانه ويلحقك بذريته». ومنهم من يقول «يبارك الله لك في أهلك وأنعم عليكم بالمودة والألفة». وفي الطريق إلى حجرته تعلو الصلوات «مصلي وسلم عليك يا حبيب الله محمد» مرة أخرى. وفي حجرته وبعد أن تخلو من المهنئين من الناس تدخل قريباته من النساء من ذوي المحرم فيباركنه ويعانقنه ثم يتركنه وحيداً في حجرته وما هي إلى لحظات حتى تُدخل عليه عروسه بصحبة امرأة أجنبية تدعى (المدخّلة) فتقول «هذه مرتك والله يبارك لكم بليلتكم» وتنصرف ويُغلق الباب من ورائها.

ويقضي الزوج وعروسته ليلتهما الهانئة ثم من الصباح يقدم الزوج لزوجته قطعة ذهبية نفيسة تسمى (الصباحة) ثم تتوالى الهدايا على العروسة من الذهب واللؤلؤ والقطع الجميلة من القماش من قبل ذوي الزوجين والصديقات. ويذهب العريس من الصباح ليسلم على عمه الجديد (والد العروسة) ويقبل يده ورأسه ويعانقه فيرد عليه عمه بعبارات التهنئة والدعوات له ولزوجه بالحياة السعيدة وربما قدم له هدية مناسبة.

ثم تكون الولائم فأول ذبيحة تنحر تكون على رجلي العريس ثم يدعى الأقارب والأصدقاء لتناول الغداء في بيت العريس وتمتد هذه الأفراح والولائم إلى ثلاثة أيام. وقد كانت هذه الولائم والأفراح تقام في بيت أبي

الـزوجة ولمـدة أسبوع ثم أبـطلت لتقام في بيت الـزوج[1]. ثم تعـود الحيـاة طبيعية في بيت الزوج وتنسجم العروسة مع أهل زوجهـا وتبدأ دورة جـديدة في الدعوات الخاصة من قبل الأقارب والأصدقاء.

وهناك حفلة هامة بالنسبة للزوجة وأهلها تسمى «يوم السبعة» السابـع من الزواج وتقيمها أم الـزوجة وأهلهـا وتدعـو فيها أقـارب الطرفـين وتكون حفلة بهيجة مثل ليلة الدخلة نسائية فقط وتحضر جوقة موسيقية من الفنانـات ينقرن بالدفوف[2] ويغنين بالأغاني المرحة فتكون هـذه الحفلة ساهـرة وتوزع الحلوى والمرطبات وتنزل إلى الساحة بنات صغار أو شابات ينثرن شعـورهن ويرقصن احتفاءً بهذه المناسبة والمدعوات يلبسن أجمل زينتهنَّ ، فـإذا انقضت هذه عادت الأيام عادية في البيت الجديد .
الجلوة[3]: أمينـة في أمانيهـا** مليحة في معـانيها، تجلت وانجـلى حقْها** سألت الله يبقيها** لها عين كما الساعة** وشعر ناعم الملمس** ولها فم كما المحبس .

هذه العادات الجميلة بمجموعها كـانت سائـدة في الزبـير وفي الكويت إلى مـا قبل ربـع قرن تقـريبـاً ثم بـدأت تخف ليحـل محلهـا عـادات أخـرى فأصبحت حفلة الزواج تتركز في عقد القران (وتسمى في الكـويت المِلْكة) إذ يقـوم المعرس أو أبـوه أو أخـوه بتـوجيـه الـدعـوة إلى الأقـارب والأصـدقـاء بالبطاقات المطبوعة، توجه إلى المدعوين بهذه المناسبة يذكر فيها اسم الداعي واسم العريس واسم ولي أمر العروسة (كريمة فلان بن فلان) مع تعيين اليوم والتاريخ والساعة والمكان الذي ستجـري فيه الحفلة ويحضر المـدعوون طبقـا لهـذه المواصفـات في بطاقـة الدعـوة، ويستقبلون من قبل الـداعي، وتقـدم

---

(١) يقال أن الذي أبطلها هو الحاج ابراهيم بن عبد اللطيف الزهير سنة ١٩١٠م.
(٢) نعني بالفنانات هنا الجوقة من الوصايف كفرقة فطوم النوبان أو فطوم السوده وهي فرق أهلية يعرفها المجتمع الزبيري والكويتي أيضاً.
(٣) الجلوة هي أجمل ما في حفلة السبعة حيث تجلس العروس على كرسي وسط الحفل وتغني هذه الأغنية وقد نثر عليها الدراهم بحاتمية وتجمع الـدراهم (المدخلة ورئيسـة الدقـاقات ويكـون بينهما).

المرطبات وأكياس الحلوى مطوية بمنديل أو بمثله. وربما كان ذلك عشاءً يحتوي ما لذّ وطاب وتتبادل كلمات التهاني والدعوات الصالحة. وربما ينضح المدعوون بماء الورد ويعطر الجو بالبخور أو بدونهما.

وفي بعض الحفلات تجري الاحتفالات في البيوت فتجمل العروس وتلبس الأكليل وترافقها أعز صديقاتها من يمين وشمال فيستقبلها العريس ويأخذ بيدها وسط هذا الحفل باشفاق وتعزيز وتكريم ويجلسها إلى جانبه ثم يلبسها خاتم الزواج ثم تلبسه هي خاتماً مثله.

وفي اليوم التالي يأخذ العريس عروسته ليقضيا شهر العسل في بلد آخر.

الزينة وأقراء الضيف

من عادات أهل الزبير محاولة أظهار الزينة والبهجة في كل مناسبة كالزينة للأعراس والزينة للأعياد وأظهار البهجة التي تكنها قلوبهم عند أستقبال الضيوف.

فمن مظاهر الزينة في الأعراس أن يجملوا حجرة المعرس أو يجملوا الديوان ففي الصيف تفرش الديوان بالحصر وتعلو الحصر الدواشق وتعلو الدواشق الشراشف البيضاء ثم المساند وتغطى المساند بشراشف بيضاء وفي أدنى الديوان ببنى (الكانون) على شكل يسمح لأستيعاب دلال القهوة من حولها الجمر[1].

علماً بأنّ القهوة لها أواني خاصة كالدلال[2] ولهذه الأدوات منظر جذاب من حول الجمر تحمل القهوة المعطرة بالهيل.

---

(١) الجمر: سواء كان من الفحم أو من الخشب والأحطاب التي تجمع من الصحراء كالغضا والحمض.

(٢) الدلال وتصنع من النحاس وهي على ثلاثة أصناف: القمقم ويكون كبير الحجم واللقمة وهو أصغر من القمقم ثم المصب وهي الصغرى وترى لامعة صفراء كالذهب وبطنها أبيض كالفضة أما القمقم فيسود ظاهره أخيراً من الحاح النار عليه. =

أما مجلس الحريم فيجمل بصورة عامة خاصةً دار المعرس فأن المرء إذا دخلها أنشرح صدره فالبردات الحريرية الطويلة من الستان الأصفر والأخضر المطرز بالأحمر والأزرق تتدلى على الباب والشبابيك. والأرض المفروشة بالزل إن كان الفصل شتاء أو الحصر الجديدة إذا كان الوقت صيفاً تعلوها البسط المصنوعة من القطن، والمرايا الكبيرة المصقولة التي أخذت أمكنتها من الحائط في واجهات الحجرة بحيث يرى الواقف أمام أحداها وهي تعكس صورته أنه أكثر من واحد ويحسب كأن الحجرة قد أتسعت وينظر إلى ما هو أعلى من منتصف الجدار ليرى الرفوف وقد علتها (البردنكيات) وهي مصنوعة من مادة زجاجية رقيقة ملونة بأشكال جميلة وهي تشبه الدورق النحيف المتعرج ويرفع بصره أكثر قليلاً ليرى بيض النعام مدلى بخيط يدور على الحجرة وبأشكال جميلة الأزرق والبنفسجي والأحمر والأخضر والأصفر وهي مصنوعة من نفس مادة البردنكي وبحجم الرمانة الكبيرة فإذا سطعت الأضواء وهي اللمبات وضح الجمال في صدر الحجرة ينتصب السرير[1] العريض يعلوه الدوشق العريض العالي مغطى بشرشف من الحرير، وفي الدار السلال المصنوعة من الروط الأصفر المجمل بالألوان اثنين أو ثلاث والمبخرة والمرش والصندوق الخشبي المطعم بالمسامير الصفراء تسمى (جموره) ومصنوع من خشب الأبانوس أو الصاج من صنع الهند.

وتصاحبنا الزينات بأشكال أخرى حين يقدم البلدة ضيف كبير وترتفع

= ويطلق على المجموع عند أهل نجد (بالمعاميل). والبن حب أصفر مقلي على النار بأناء يدعى (المحماسة) حتى اذا نضج أفرغ بالهاون (النجر) ودق حتى يبلغ النعومة ويلقي مع الماء المغلي بالقمقم فإذا هبط صب في المصب ثم يصب عليه ما بقي من قهوة الأمس المصفاة من القمقم ثم يغلي الخليط ثانية حتى إذا صُفِيَّ وركد أفرغ إلى اللقمة ثم يصب في الفناجيل إلى الضيوف.

(١) السرير على عدة أنواع. سرير (الجريد): وهو مصنوع من جريد النخل. والثاني من الخشب المتين كالصنوبر وهي (كرفاية). والنوع الثالث سرير الحديد وهو أرقى صنعة من سابقه حيث تنتصب فيه أعمدة أربعة لتشد عليها (الكلة). وهناك سرير من نوع أرقى ويسمى (بلنك) وهو من معدن أنيق أصفر كالذهب هو (البرونز) وكل هذه الأسرة عريضة السطح تتسع للعروسين.

=

الفوانيس الصغيرة على شرفات البيت أو أبواب الدور وقد يفرش الطريق بالسجاد بعد أن ينظف من التراب وهذه الزوالي تبدأ من أول الطريق الذي يدخل البلدة إلى حيث ينزل الضيف كأن يكون القادم ملكاً أو أميراً أو وفداً عزيزاً، ويرش هذا الضيف بماء الورد ويعطر الجو بالبخور (العود) وتدور القهوة المعطرة ثم تلي بقية برنامج التكريم.

العرضة

نغم يردده فريقان مع التمايل كتف أحدهم إلى الآخر مع تشابك في الأيدي ويقف في الوسط بين الصفين اثنان بيدهما السيوف المصلتة يحملها حمائل السيوف المزركشة المنسوجة من خيوط الصوف يلعبان مع هذه النغمات على هيئة الطعن بالسيوف ويحمل الثالث العلم السعودي الأخضر مطبوعا عليه السيف، لا إله إلا الله، وأصحاب الطبول في الوسط ويقف الذي ينشد القصيد في الوسط فينادي بأعلى صوته بأول بيت من القصيدة ثم يرددون بعده وقد يحصل موقف أثناء هذه النغمات يثير الحماس في هذا الصف ثم يرد عليه الصف الآخر بحماس مثله ويتردد في القصيد اسم الملك عبد العزيز (أبو تركي) وترد عبارة: «شيخنا ابن سعود شد الحرايب». . ومن طريف ما يذكر أن أصحاب العرضة يحملون رئيسهم على أيديهم قليلاً.

أن هذا القصيد يثير عاطفتي الشجاعة والنجدة تذكيراً للتاريخ البطولي وهذه الرقصة نجدها في نجد وكافة أقطار الخليج العربي والزبير.

وقد عرفنا من رؤساء هذه العرضات الوكس والبذرة والمسيعيد[1]. وتقام العرضات أيام العيد (رمضان وعيد الأضحى) وفي مناسبة الزواج أو تكريما لقادم كبير. . ولا يجيد أقامة العرضة إلا أهل نجد أصلاً.

وكان الذي يحمل العلم السعودي في الزبير حسن الجريفان الذي ظل يحمله إلى أن توقفت العرضة مع الجيل الذي أنتهى في الخمسينات الميلادية.

---

(١) دخيل المسيعيد هو صاحب العدة وأولاده حمد وناصر.

الدواوين في الزبير(*)

هناك لون في الحياة الاجتماعية له أصالته وتقاليده ونعني به (الدواوين) وذلك أن كل بيت يبتنى يلزم أن يكون فيه ديوان والديوان مجلس الرجال والضيوف وله باب ظاهر على الشارع العام كما أن الحرم هو مجلس العائلة والنساء، فلا الرجال يدخلون المنزل من باب النساء ولا النساء يدخلن من باب الديوان. وأهل الزبير امتداداً من المضايف التي تؤوي الضيوف من قبل، توارثوها فكانت تسمى بلغة العصر (الديوان).

ويختلف أصحاب الدواوين في جلساتهم. ويحتوي الديوان كل مرافقه وقد كان في الديوان البئر والمرافق[1] وربما كان هناك مربط للخيل لأن الخيل كانت واسطة الأنتقال بين بلد وبلد.

وللديوان باب يفضي إلى الحرم لتنقل منه مواد الطعام وحاجات الضيوف من فراش ولوازم ويسمى (المدربان).

بعض أصحاب هذا الديوان يجلس بالنهار وبعضهم يجلس بالليل أو ما بينهما فإذا كانت جسلتهم بالليل فيستعد لها من العصر إذ يسمع للهاون (النجر) رنين وهو يدق القهوة وتشم لها رائحة وهي تحمس على النار، عندها يفتح الباب على مصراعيه ويأتي الضيف بعد صلاة المغرب أو قبلها أن كان مدعواً على طعام ويدخل الضيف ليرى صاحب الديوان ينتظر زائريه. وقد يكون للديوان مجلسان مجلس للصيف ومجلس للشتاء، فمجلس الشتاء يكون في أحدى حجرات هذا الديوان وتكون ساحته كبيرة واسعة مفروشاً بقطع الزل له شباك أو أكثر وينتصب في أدناه الكانون ويسمى القهوَجَاغ) توضع فيه الدلال ولهذا الكانون فتحة من أعلى تلتصق بالسقف يخرج منها

(*) من الخال عبد الكريم الشيخ محمد العبد الجبار في ٧ / ١٢ / ١٩٦٨.

(١) مما يلفت الذهن أن للمرافق في المجتمع الزبيري عدة مسميات فهو يسمى: المطهر والخلاء أو بيت الخلاء والمرحاض. وتنزيهاً عن ذكر الحاجة التي تقضي فيقال: أروح أقضي الحاجة أو أطير الشراب وكان يردف بعدها ماء الورد على وجهك ومن مسمياتها الأدب والمستراح.

الدخان يسمى (السيسر). ومجلس الصيف هو حوش هذا الديوام مفروشاً بالبسط والمساند. أما الماء ففي الحِب[1] مبرداً من العصر.

فأذا حضرت القهوة يكون معها طبق من التمر الجيد والماء وبعد أن يدخل الضيف ويأخذ مكانه من بعد السلام ورده يضيف صاحب الديوان كلمات من التحية يقول: «مساك الله بالخير ـ كيف أمسيت. . ؟» ويكون الرد: «طاب الله مساك أو بخير أكرمك الله . . بخير الله يسلمك». وربما وردت تعبيرات أخرى ومجاملات ثم يأكل شيئاً من التمر ويشرب القهوة العربية.

ومن هذه الدواوين ما تكون الجلسة عند الفجر فإذا صلوا الفجر قصدوه وبالطبع فأن صاحب الديوان يكون جلوسه من الآذان الأول يحضر القهوة والتمر ويشب النار (نار القهوة). ومن هذه الدواوين ديوان الحاج ابراهيم بن عبد اللطيف الزهير ومنزله في محلة الزهيرية ويجلس عند آذان الفجر الأول. وديوان الحاج محمد العلي الدهيشي في آخر القرن الثالث عشر ومنزله جوار مدرسة الدويحس ويجلس بعد صلاة الفجر مباشرة وهو جد المؤلف. وكذلك ديوان الحاج سليمان بن ابراهيم المطلق ومنزله في محلة البراحة وعبدالله بن عبدالرحمن المشري ويجلس عند آذان الفجر وفيه ضرب المثل بالكرم حيث قالوا:

«بع بيتك وانزل بالكوت
وجاور عبدالله المنعوت»

وديوان المطير في الرشيدية ويتصدر فيه عثمان المطير أبو ناصر وصالح وعبد العزيز وأحمد وأخوه محمد أبو يوسف المطير ومنزلهم جوار مسجد الرشيدية (مسجد الصبيح) ثم تحولوا في عهد الأولاد إلى بيتهم الجديد في الجهة الشمالية من الرشيدية نفسها حيث أخذ الأولاد ناصر وأخوانه جلستهم المعتادة حتى هذه الأيام وتستمر جلستهم إلى طلوع الشمس.

---

(١) الحِب: هو أناء مصنوع من الفخار يوضح فيه الماء.

ويجلس الحاج حمد بن صالح أبو عبد المحسن بعد الفجر كذلك وضيوفه يخرجون من المسجد ويدخلون الديوان ومنزله يجاور بيت المطير.

وكذلك الحاج راشد الصقير ومن قبله كان أخوه الأكبر يجلس بهذا الوقت وهو حمد (أبو عبد الرزاق) ومنزلهم بين المطير والصالح.

وكذلك الحاج عبد الهادي الدوسري يصلي الفجر ثم يجلس ومنزله في الرشيدية مجاور بيت (براك الصبيح).

ويجلس الحاج يوسف محمد الصبيح بعد آذان العصر ومنزله يلاصق مسجدهم وضيوفه من محبي التاريخ والأخبار وهم قلة.

ويجلس الحاج عبد المحسن المهيدب ما بين الصلاتين المغرب والعشاء.

ويجلس ابراهيم العمير ما بين الصلاتين المغرب والعشاء.

ويجلس آل ابراهيم. الشيخ ابراهيم وأخوانه (الشيوخ) بعد صلاة العشاء.

ويجلس محمد الفريح (ابو جاسم) بعد صلاة العشاء.

ويجلس الحاج أحمد السويلم بعد صلاة العشاء.

ويجلس الحاج أحمد العنيزي بعد صلاة العشاء وقبله.

ويجلس الحاج عبد الكريم الريس بعد العشاء وقبله.

ويجلس محمد وسليمان (الصوالح) بعد العشاء وهؤلاء منازلهم في محلة الرشيدية.

ويجلس السيد عبد المحسن الطبطبائي بعد الفجر وبعد العشاء ومنزله في محلة الرشيدية.

ويجلس العقيل (الحاج محمد سليمان العقيل وأخوانه) جلستهم العامة قبل العشاء وتمتد إلى ما بعده. كما تكون للعقيل جلسة عامة أخرى ليلة الجمعة يقدم فيها بعد القهوة الشاي والحليب والزائرون من طبقةٍ على الغالب خاصة: مشائخ من العلماء أو الأدباء يتطارحون الشعر والقصيد الفصيح والنبط ويتبادلون مسائل وطرفاً من حياة بعض العلماء ونوادرهم.

ويجلس الحاج منصور النافع عند الآذان الأول للفجر ثم يصلون ويستأنفون المجلس إلى ما بعد طلوع الشمس فينصرف كل إلى عمله ومنزله مقابل مسجد النجادة، ثم يستأنف مجلسه بعد المغرب ثم بعد العشاء إلى الساعة الثالثة غروبي. فينصرف طبقة الحاج لتأتي طبقة أخرى هي طبقة أولاده الشباب. وللحاج منصور أحاديث طلية وكان رحمه الله موسوعة في قصص الأعراب والبادية.

وكان الشيخ خالد الصباح ويجلس معه الشيخ عذبي الصباح والشيخ سعود وهم أخوة يجلسون بعد صلاة المغرب وبعد العشاء. كما يكون المجلس بعد العصر قائماً قليلاً ما، حيث يخرج الشيخ خالد والشيخ سعود يتمشيان خارج البلدة.. ويخرج الشيخ عذبي زائراً لبعض الدواوين. ومنزل آل الصباح في الرشيدية بجوار (المتياهه) وكانوا على جانب كبير من الكرم ودماثة الأخلاق وأهل الزبير عامة يحترمونهم ويحتفظون لهم بود.

ويجلس عبد الحميد عبد العزيز الصانع عصراً إلى المغرب ثم يواصل جلسته بعد المغرب وبعد العشاء ومنزلهم في الزهيرية على الشارع الرئيسي العام.

ويجلس الحاج راشد الملحم والحاج سعود الملحم بعد صلاة المغرب ومنزلهم في دروازة مقابل مسجد الحنيف.

ويجلس عبد الرحمن البراك العصيمي بعد صلاة المغرب وصلاة العشاء ومنزلهم في الزهيرية مجاور منزل عبد الحميد عبد العزيز الصانع، ومن قبل كان أخوه محمد العصيمي يجلس وهو ذو شخصية بارزة في تاريخ الزبير.

ويجلس يعقوب الدليحان بعد العشاء ومنزلهم في درواز.

ويجلس عبد العزيز المبيض بعد المغرب وبعد العشاء ومنزلهم في الرشيدية مجاور بيت المطير الأخير.

ويجلس عبد العزيز العبدالله البسام بعد صلاة العشاء ومنزلهم في الرشيدية.

ويجلس فهد الأحمد النصار بعد العشاء ومنزلهم في الشمال.

ويجلس عبدالله العبد اللطيف العوجان بعد المغرب وبعد العشاء ومنزلهم في الباطن.

ويجلس عبد الكريم العبدالله الحسن بعد صلاة المغرب ويستمر المجلس من بعد صلاة العشاء ليجلس الأولاد من بعده ومنزلهم في الحصى.

ويجلس ناصر الأحمد الناصر الحميدان بعد صلاة المغرب والعشاء.

ويجلس سعود عبدالعزيز البابطين بعد صلاة العشاء ومنزلهم في الرشيدية .

ويجلس الحاج خالد الياسين السعود القضيب واخوانه سعود وياسين بعد صلاة المغرب وصلاة العشاء ومنزلهم في الرشيدية.

ويجلس الحاج موسى الفارس بعد صلاة المغرب وصلاة العشاء ومنزلهم في محلة الشمال.

ويجلس أحمد الثاقب (أبو يوسف وناصر الثاقب) طول اليوم وزلفاً من الليل.

ويجلس الحاج أحمد القريشي بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب.

ويجلس الشيخ محمد العسافي بعد صلاة العشاء ومنزلهم في محلة الرشيدية قرب مسجد الإبراهيم .

ويجلس أحمد الفريح بعد صلاة المغرب وصلاة العشاء ومنزلهم في الرشيدية قرب مسجد الابراهيم.

ويجلس الشيخ محمد السند بعد صلاة العصر ومنزلهم قرب مسجد النجادة.

ويجلس الحاج فهد المحمد الراشد بعد المغرب وبعد العشاء ومنزلهم في الرشيدية.

ويجلس الملا عبد الرحمن العوهلي بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.

ويجلس آل عبد الكريم بعد صلاة العشاء ومنزلهم في محلة الشمال.

ويجلس محمد بك وأخوه علي بك المشري طول النهار وزلفاً من الليل ومنزلهما في محلة الكوت .

ويجلس عبداللطيف ويوسف الفداغ بين المغرب والعشاء ومنزلهم في محلة الزهيرية .

ويجلس عبد العزيز محمد المكينزي بعد العشاء .

ويجلس الحاج حمود المحيسن بعد صلاة الفجر ومنزلهم في ديم خزام .

ويجلس ناصر حمد الشماس بعد صلاة الفجر .

ويجلس الحاج عبدالله الشملان بعد صلاة الفجر .

ويجلس الحاج صالح العبد العزيز الدايل بعد صلاة المغرب إلى العشاء ومنزلهم في ديم خزام .

ويجلس ذيب بن علي الذيب بين المغرب والعشاء .

ويجلس الشيخ سليمان القملاس من المغرب إلى العشاء ومنزلهم في الباطن .

ويجلس الحاج سعد أحمد الربيعة بين المغرب والعشاء . ومنزلهم في الرشيدية .

ويجلس الحاج سعود الصالح أبوعبدالرزاق من المغرب إلى العشاء (فقط ليلة الجمعة) ومنزلهم في محلة الرشيدية .

ويجلس عبد الرحمن البشر (أبو أحمد) بعد صلاة العشاء . ويجلس جاسم محمد عبد الرحمن المبارك عصراً أو بعد المغرب ومنزلهم في محلة البراحة .

ويجلس الحاج عبد العزيز الفليج بين المغرب والعشاء ومنزلهم في الكوت .

ويجلس الحاج ميضان الميضان بعد صلاة المغرب ومنزلهم في الكوت .

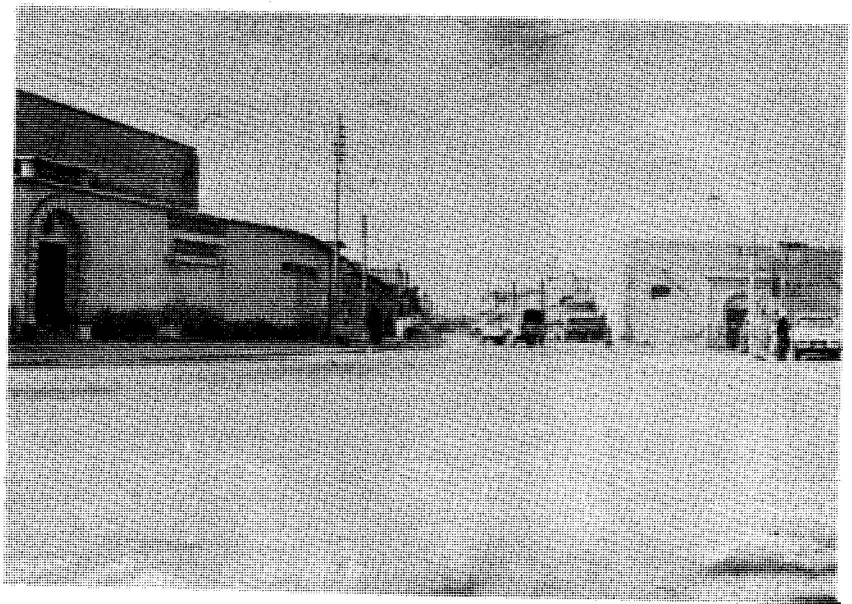
ومعذرة المؤرخ أن لم نورد أسماء أخرى من الأفاضل أصحاب الدواوين الذين سبقوا عصر التأليف ـ أو عصر الراوي من أوائل القرن الهجري الرابع عشر . مع علمنا أن غالب أهل الزبير كانوا يتخذون الدواوين بطبيعة الحال كالرئة يتنفسون منها أو هي بمثابة النافذة على خارج محيط البلدة يلتقطون الأخبار ويطلعون على ما استجد من أخبارهم .

والمجالس كانت بمثابة الصحف في عهدنا هذا. أو بمثابة الراديو والتليفزيون اليوم. مع ذلك فما نحن بمن يقلل من شأنها فهي تؤدي اليوم رسالة أخرى لا تقل أهمية عن ذي قبل من شد الآصرة أو مشاركة ذوي الرأي والمسؤولية في ايضاح الفكرة البناءة للدولة أو ما شابه ذلك مما هو ضروري وجوده للبلد الواحد.

مع علمنا بأن هناك دواوين أخرى قد لا تقل أهمية مما ذكر غير أن الراوي غَفَلَ وسبحان من لا يغفل.

أحاديث الدواوين

هـذه الدواوين وهي مجـالس القوم من أهـل الزبـير لكل منهـا طـابـع خاص يميز بعضها عن بعض، وبعض هذه الـدوانين يكـون ضيوفـه هم من هذا الصنف فترى أحـاديثهم تنصب على توارد القبائل من ربيـع هذا العـام فمنهم من جـاء من بريـة نجد أو الحجـاز ومنهم من جاء من عشـائر العـراق ويتساءل الآخر عن قحـطان وشمر وأنهم في السنـة الفلانيـة قد جـاءوا وجاء معهم الخير وأن في هذا العام قد مطرت هـذه الباديـة ووسمت، وأن الدهن في العام الفلاني ضرب رقماً قياسياً في التوارد وذاك يقـول أن هذه السنـة تبشر بالخير لكثرة ما سقط من أمطار وأن الأرض الفلانية ظهر فيها الكمأ (الفقـع) أو أن الأمر جاء عكس ذلك.



منزل الحاج محمد العقيل ويقابله بيت النصار

وهذا آخر صاحب ديوان يتحدث لجلسائه عن أغرب ما صادقه من قضايا البدو الذين يجلبون الصوف والغنم ويبيعونها في الزبير وأن منهم من لا يعرف الحساب إلا بالنوع الفلاني من النقد والدراهم فهو لا يأخذ إلا الروبية أو الريال الفرنساوي ولا يقبل سواهما ويحصل من هؤلاء من يستضيف هو وأصحابه عند صاحب هذا الديوان الذين يشترون منهم ويبيعون. يشترون التمر والتمن (العيش) ومن هؤلاء التجار الزبيريين الذين يتعاملون بهذا النوع من البضاعة القريشي والمزروع ويوسف العومي ومحمد العبيد وأحمد بن الشيخ ومنصور النافع والمقيط وعبد العزيز الناصر البعيجان.

ومن أصحاب المجالس من هو من أصحاب النخيل والأملاك والتمور فنجد أصحابه الذين يقصدون مجلسه هم من هذه الطبقة وهم يتحدثون عن موسم هذا العام من التمور والضمان وسعر الشركة وعن أصحاب الخشب الذين يشترون التمر مطروحاً في الجوخان وتجارتهم مع المدن الساحلية للخليج العربي أو مع الهند وفي هذه الدائرة تجد المهندس الزراعي يسألونه عن اصلاح أرض كم تكلف لأصلاحها واستثمارها فترد قصص منوعة في هذا الباب وعن أخلاق الفلاحين مع صاحب الأرض الحسن منهم والسيء. كما يتحدثون عن الربح والخسارة لهذه المعاملات ومن هؤلاء العنيزي والشيخ ناصر الأحمد والمطلق والعقيل والمهيدب والقصير والخرجي والضانع. ثم أن منهم من يسكن أيام الصيف في النخل (في القاع)[1] ويعقد هناك مجلساً يحضره الجيران من الملاك كما يقصده بعض الفلاحين القدماء في الفلاحة ومن هؤلاء الخرجي والعون والسند والشيخ ناصر الأحمد.

وتجد هؤلاء من الزراع الذين يزرعون في برية الزبير في القريطية وسفوان وسلمى والكرى فترى أكثر أحاديثهم تنصب في هذا الموسم أو ذاك من السنة الفلانية إن كان محصولهم جيداً من البطيخ والطماطا وأنهم باعوا بأثمان رابحة ومنهم من يقول إن السنة الفلانية هذه أو تلك خسرنا لتسلط

---

(١) يطلق على (القاع) ويراد به البستان. والقاع عربية فصيحة.

الحشرة الفلانية كالحميرة والدوباس أو أن هذه السنة جاء برد شديد وسقط الصقيع على زرعنا فماتت الطماطا ويقول أن السوق هذه السنة ما تشجع لوضع رسوم جديدة على المنتوج وهم يتداولون كيف الخروج من هذه الحال وخاصة أن المزارع قد وضع كل ما عنده على الجليب إلى غير ذلك مما يدور في هذا الفلك من الزراعة وأصحاب تلك الدواوين هم أمثال الشارخ والمديهيم والدريهيم والتركي والعواد والحجيل والعقيل والزير والديحان والبابطين.

ومن أصحاب الدواوين من التجار المستوردون الذين لهم متاجر في العشار أمثال الحاج سعود الصالح والحاج عبد العزيز البسام والذكير والحاج فهد الراشد، فتجد أحاديثهم تدور في أستيراد هذه المادة أو تلك وخلو السوق من هذه البصاعة أو أمتلائه منها كالسكر والشاي والقهوة والأقمشة والعطاريات وتمر الهند وتتناول أحاديثهم الشركات الأجنبية التي تتعامل عن طريق القومسيون أو الشراء لحسابهم وعن الأسعار وعن سوق لندن وسوق بومباي وعن البضائع التي في السوق أو التي في الطريق أو في المنشأ كل هذا وذاك تدور فيه مثل هذه الدواوين.

ومن هذه الدواوين من يعمل مع الحصَّانة ومشتريات الخيل وتسفيرها إلى بومباي أو في السباق. وفي السباق مغامرات ترفع وتخفض ومن الحصانة من له مهارة في معرفة أوصاف الحصان الجيد يشتريه من عشائر العراق ثم يبيعه على أنه حصان أصيل وهؤلا قليل وجودهم لترشيح هذا الحصان الأصيل بعد شيء من التربية والسياسة[1] والتدريب ومن هؤلاء أحمد المانع (أبو خلف) وعبدالله الفارس. وابراهيم الذيب وعبد الهادي الدوسري والعماني

وهناك مجلس من نوع آخر فهو يضم الأفاضل من الكتاب والأدباء والذواقين للشعر والجديد من الكتب والمطبوعات والمكتبات فلو رأيتهم

---

(١) السياسة ويراد بها تربية الحصان وتأهيله ليدخل في السباق والرهان.

وسمعت منهم حديثاً منتقىً في الشعر والأدب والثقافة يطوون من الليل الساعات كألذ ما تكون الساعات. ومن هذا الشعر ومن هذه القصص ما هو الفصيح والنبطي وذلك كمجالس محمد العقيل وعبد الحميد الصانع وابراهيم بن عبدالله البسام (أبو عبد الرحمن) والشيخ عذبي الصباح ومحمد الدخيل ومقبل الرماح وأحمد العبد العزيز البسام وحمد السليمان البسام. ومنهم من له اهتمامه في القنص أمثال محمد الصوالح ومحمد وعبد الكريم البتيري وسعود العبد العزيز البابطين وابراهيم البعيجان والشيخ أحمد الابراهيم وعبدالله المشري وعبد الرحمن القضيب وخالد المسافر وخالد القملاس والحاج عبدالله العوجان. فتجد هؤلاء يهتمون في أمر الصقور يشترون الطير الجيد بأغلى الأثمان وهم يحرصون ويترقبون موسم القنص وهو الشهر العاشر من السنة حيث هجرة الحبارى إلى هذه البلاد فيقنصون ويبعدون في هذا القنص إلى أميال في البراري وقد يكون قنصهم في بلد آخر ويرصدون المبالغ لهذه الرحلة أو تلك أما المردود فلا يساوي بالقياس إلى ما أرصدوا له ولكن في الأمر سراً لا يعرفه ولا يقدره إلا ذووه ومن العجيب أن صيدهم مهما كثر فيذهب هدايا فيما بينهم أو للأمراء وقد تطول رحلتهم أياماً وليالي ويتعبون ولكن هذا التعب لذيذ وما أسرع ما تنسىٰ همومها .ومن غير شك أن من يعشق هذا الفن لهو ذو أمكانية من اليسر فما تقعده قضية الربح والخسارة لأنه لا يتعامل معاملة التاجر في السوق.

ويلتزم أصحاب الدواوين على أنفسهم أنهم يتواجدون على طول الوقت الذي يجلسون فيه. ورأى صاحب الديوان محترم فإذا طلب من جلسائه أمراًما فغالب ما يكون ايجابياً. وابقاءً على كرامة المجلس فإنه لا يسمح في مجلسه الأشتغال في الغيبة ولا سعياً في فتنة أو نميمة ورأيه محترم. ومن كان في نفسه ميل إلى ذلك نبه عليه فإما أن يلتزم وأما أن يترك الديوان وبهذا يكون معزولاً لأن هناك شبه تعارف واتفاق على هذه المكارم بين أصحاب الدواوين فاما أن يقلع أو يقاطع. وصاحب الديوان يسأل أصحابه عن الغائب فقد يكون لمرض أو لأنشغال أو سفر يتفقدهم ويسأل عن

أفراحهم وأحزانهم وربما أدلى أحدهم بخبر من الأخبار كقدوم من سفر أو ولادة أو ربح أو خسارة في بيع . . أو شراء لشيء خير ذي أهمية أو أي خير يمكن أن يشارك به آخرون. وقد يقترح أحد أعضاء الديوان بعمل جماعي فيه بر ومعروف مما من شأنه أن يقوّم حياة هذا الديوان.

ومن هذه الدواوين من انحلت عروته بأن نزح صاحبه إلى الكويت أو إلى المملكة ومن الحسن أن نذكر عدداً منهم : عبدالمحسن عبدالعزيز البابطين (أبو براك) ذوالمكارم وعبدالعزيز سعود البابطين وشقيقه عبدالكريم .

ومنهم آل السميط وعميدهم سعود فهد العبد العزيز السميط وآل الغربللي ـ عميدهم اليوم السيد / ياسين السيد هاشم الغربللي والشارخ وعميدهم عبداللطيف عثمان الشارخ ، وآل الإبراهيم الراشد وزعماء بيوتهم علي الحسن الابراهيم وعثمان المحمد الابراهيم ، وآل الثاقب وعميدهم يوسف بن أحمد الثاقب .

من حديث المجالس

حدث الحاج أحمد عمر العثمان في الزبير ١٣ / ٣ / ١٩٧٧ م يقول:

كان أخي عبدالله بن عمر العثمان شاباً ذهب مجاهداً مع الترك لمحاربة الأنجليز في سيحان[١]، ثم أنه قبل أن يصل إلى ساحة المعركة نزل مع أصحابه من أهل الزبير عند الشيخ بدر الحامد شيخ أبي مغيرة من بني نهد وكان قد وصل هو وأصحابه مشياً على الأقدام فأعطاه بندقية (موزر) بدل (التنبل) التي معه وواصلوا سيرهم حتى وصلوا سيحان فاستشهد برصاص العدو بضربة في جبينه. ولما جيء ببندقيته بعد أستشهاده إلى أبيه (عمر العثمان) كانوا لا يملكون في بيتهم شيئاً.

---

(١) سيحان قرية على شط العرب قريبة من الفاو (ميناء البصرة) على الخليج العربي.

يقول الحاج أحمد: حتى ماي ما عندنا وفنطاسنا خالي. فذهبت ببندقية الشهيد لأرهنها عند ملا مشاري بـ (١٢) روبية لقضاء بعض حاجتنا.

ثم دخلت السوق وأنا لا أملك شيئاً فبضعني خالي (سليمان القَّناص وفتح لي دكاناً في الزهيرية. ثم كتبت على نفسي ورقة أذكر فيها أن خالي سليمان القناص سلمني (١٥٠) روبية أبيع وأشتري فيها والربح بيني وبينه مناصفة. أما إذا خسرنا ـ لاسمح الله ـ فالخسارة من رأس المال ولا يلحقني منها شيء. ثم ربحت ربحاً يعادل ضعف رأس المال. ثم بضعني بـ (٨٠٠) روبية ونجحت وفتحت دكاناً في السوق سنة ١٩٢٢ ومعي أخي ابراهيم وكان الدكان يحمل اسمي فقط. ثم لما رأى بعض الجماعة ذلك نصحوا ابراهيم أن يكون بجانب أسمي فقال لهم: لا أحرك ساكناً فإن مت فإن أخي لا ينسى عيالي وإن مات قبلي فالدنيا لا تسوى عندي بعده شيئاً. وعملنا طويلاً حتى نقل لي عبد العزيز الشريدة خبر الفاجعة (بوفاة أخي ابراهيم) وكان ذلك بعد أن ذهب عبد الوهاب ابن شقيقي المرحوم ابراهيم إلى الكويت للعمل والأرتزاق فأرسلت إليه فحضر وجعلت له راتباً عندي سنوياً وهو عندي في البيت يأكل ويشرب وبلغ راتبه الآن (٢٠٠٠) ألفين دينار في السنة وجعلت له نصيباً في رأس المال كما لأولادي وبناتي غير داخل معهم عبد العزيز وعبد الحميد ومحمد لأنني بضعتهم ثم أستقلوا بأعمالهم وهكذا وأنني كنت وفاءً للكلمة التي قالها شقيقي المرحوم ابراهيم.

ثم حكى عن الشهيد عبدالله أنه كان أديباً ويحضر مجلس خالد باشا العون وكان يومها يحضر المجلس فهد السبهان ممثل ابن رشيد وأختلفا في رواية بيت من الشعر، وحكم الطرفان عبدالله البغادة. فقال: أنا أحفظ القصيدة أقرأها عليكم ثم انظرا . فقرأها فاذا الصواب بجانب خالد باشا. الأمر الذي يدل على حكمته إذ لم يشأ أن يقول لهذا أخطأت وهذا أصبت.

ليلة النصف من شعبان

ومن الليالي الجديرة بالذكر بهذا الخصوص (ليلة النصف من شعبان) وهي من الليالي الجميلة لما ورد فيها من فضل ببعض الآثار، فتجتمع بعض النساء ويصلين آيبات إلى الرب الجليل يسبحنه ويستغفرن ثم يقضين بعض الليل يشربن الشاي والدارسين والزنجبيل أو الشربت بين ليالي الصيف والشتاء ثم يتفرقن بعد أن ملأن جوانحهن بالأمتاع والسرور.

يوم قريش

وأعتادت النساء في اليوم الذي يسبق شهر رمضان أن يجتمعن متجملات بزينتهن حيث يسمى اليوم «بيوم قريش» نساء الجيران والصديقات كلّ منهن تأتي بغدائها ويكون غداءً مجملاً ومنوعاً فيتغدين ويشربن الشاي ويسترسلن في أحاديث ممتعة ويأنسن إلى بعضهن يستعدن بعض الذكريات من أيامهن السالفات ويضحكن ويتطارحن الملح والطرائف وهي أحاديث حبيبة ولذيذة حتى يمضين الساعات من النهار وكل منهن ملأت جوانحها بالفرح والمسرة فهن يتفرقن بعدها إلى بيوتهن ويصبحن من الغد على صوم رمضان .

الاحتفاء بشهر رمضان

شهر رمضان هو أجود الشهور وهو من الشهور الكريمة وينظر إليه المسلمون على أنه شهر مباك (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ـ الآية) ويبدأ الناس بالاستعداد له من شعبان وقد كان أهل الزبير يشترون حاجات الشهر قبل حلوله ويطحنون الحنطة (الكولة) لعمل الجريش وكانوا.. يحبون هذه الأكلة، ويعملون منها (الكبة) ويعملون الجريش ليناً ويسمونه (هريساني) أو يعملونه خشناً. كما يهيئون لأكلة تقليدية اسمها الهريس وهي أيضا من الحنطة ويهيئون للمحلبية[1] وهي من نشا الرز مضافا إليه الحليب والسكر ويطبخ على النار حتى يكاد أن ينعقد ويصب في الصحون ليبرد وهي طعمة للصائم تطيبها رائحة الهيل.

ويشمل الأستعداد كل حاجات البيت مما يؤكل ويشهي كالمخلالات والمربيات التي تصنع من الفواكه محلياً ويحضر طعام الفطور من اللبن والتشريب[2] والشوربة ويختلف الفطور بين الصيف والشتاء فيقل هذا النوع أو يزيد في النوع الآخر. وإن ربة البيت تعني كثيراً بطعام الفطور تقدمه لزوجها والأولاد ومن معه من الأقارب والضيوف والشراب المفضل هو اللبن. وقد يكون طبق (الدولمة)[3] مما يجمِّل هذه المائدة إلى جانب اللقيمات

(١) تنسب هذه الحلاوة إلى المهلب بن أبي صفرة أمير العراق في العهد الأموي ولذلك يطلق عليها اسم المهلبية أيضا.

(٢) التشريبة هي خبز يقطع صغاراً وينضح بالمرق حتى الامتلاء ويعلوه (الحشو المكون من البصل ومهشوم اللومي المقلي بالدهن مع بعض البهارات اضافة إلى قطع اللحم الناضج).

(٣) الدولمة: خليط من الرز والكشمش وقطع اللحم الصغيرة مع البهارات ملفوفا بورق العنب أو بالبصل أو بالطماطا ويصف بالقدر وينضج على النار فيكون طعاماً شهياً وهي أكلة تركية.

والهريس أو المحلبية. وأول طعام يبدأ به الصائم التمر ثم يشرب الماء فيصلي المغرب ثم يقبل على الأفطار وهو أفضل من أن يأتي الصائم على طعامه مرة واحدة بعد ذلك الخلو من ساعات النهار.

وإذا أجتمع رب البيت مع أولاده وعياله فإنها تكون مائدة نموذجية إذ يشعر أولاده بالمجتمع العائلي الواحد. أو إذا اجتمع بضيوفه فإنما يكون قد سكب على الشهر الكريم سمات الضيافة ورمضان كريم بطبعه وأفضل الطعام ما أختلفت عليه الأيدي ثم يشرب الشاي والقهوة والليمون ويمتلىء الصائم غبطةً وفرحاً وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ومن عبارات التهنئة بالشهر أن يقول أحدهم للآخر «مبارك عليكم الشهر وعساكم من عواده» فيجيبه: «الله يبارك لكم وعساكم تعودونه».

ويلتقي الرجال في الدواوين بعد الأفطار وبعد صلاة العشاء وتلتقي ربة البيت بجاراتها وتدور كؤوس الشاي واللومي والزنجبيل أو الدارسين أيام الشتاء والشباب والشابات مع أبائهم أو أمهاتهم. ويذهب الرجال للمساجد يصلون التروايح كما تصلي النساء مع الجماعة وراء الستار وتمضي الليلة تتبعها ليالي الشهر والطبخات تتبادل بين الجيران قبيل الأفطار وتسخو اليد فتعطي ويبذل الطعام إلى الفقراء والمحتاجين وتحتفل العوائل عامة في الزبير بليلة النصف من رمضان وكذا الأمر في الكويت فهي من الليالي الجميلة حيث يشتري رب العائلة المكسرات[1] والنقل والحلوى ليدخل السرور إلى قلوب أهله وأطفاله ويوزع منه على الجيران على أنه قرقيعان الطفل أو الطفلة فلانة) . ويجتمع أطفال المحلة كل يحمل كيساً معلقاً في رقبته فيذهبون إلى هذا البيت أو ذاك ويطرقون الباب وهم يقولون : (قرقيعان . . قرقيعان . . كل سنة وكل عام . . انطونا الله ينطيكم . . بيت مكة يوديكم . . قرقيعان بيتكم الله يخلي وليدكم . .) أو يقولن : (قرقيعان في سكتكم . . الله يخلي بنيتكم) .

---

(١) تحتوي هذه المكسرات على الباصورج (النقل) والفستق والبندق والجوز واللوز والحلوى. والنخي ودق السبال وهو السباري ويدعى أيضا بفستق العيد،

وفي الكويت يتجمع أطفال الفريج الواحد ويدورون في الفريج ويقولون أمام البيت بصوت منغم: (عادت عليكم صيّام كل سنة وكل عام). فيطرب أهل البيت لهذا الصوت فيفتحون لهم الباب قائلين: أدخلوا وقرقعوا لولدنا. والطفل محمول على كتف أمه فيقولون: سلم ولدهم يالله. خله لأمه يالله. يرددونها مرات. عندها تكون ربة البيت تحمل القرقيعان المكون من الحلوى والمكسرات فتوزع عليهم كل في كيسه.

ولا يفوتنا أن نذكر «أبو طبيلة» وهو شخص يقوم في منتصف ليالي رمضان بعمله يحزم وسطه ويحمل طبلته ذات الوجهين معلقة في رقبته مدلاة على صدره ويضرب بها بنغم شجي وهو يسرع الخطى ويدور في المحلة تلو المحلة وقد يتبعه بعض الصبيان ولا يكادون يلحقون به مزهوين بنغمة الطبل الذي يوقظ النائمين من ربات البيوت ليهيئن طبخة السحور وهي لحظات ممتعة لا تحصل إلا في هذه الليالي الجميلة.

علماً بأن هذا الشخص «أبو طبيلة» إنما كان يقوم بعمله قربة لوجه الله ولكن أهل الخير لا ينسونه بالهدايا والأعطيات يوم العيد.

وقبيل أن ينتهي الشهر يقوم رب العائلة فيزكي فطرة الصيام عن نفسه وعن أهله عيناً من طعام غالب أهل البلد أو قيمة ذلك نقداً للفقراء.

وينقضي الشهر ويودع بحسرة بعد أن شعر الصائم بفرحة. وكان يطلق على الشهر بأنه ضيف نزل في الوسط الإسلامي ثم رحل والضيف عزيز، وبذلك يسعى الصائم أن يصدق الأعمال إلى ربه فتكثر المبرات ويؤدي الغني زكاة ماله في هذا الشهر. وهو مع شعوره بقرصة الجوع والعطش خاصة في نهار الصيف إلا أنه نوع من الألم المقبول الذي ينبع من الأيمان يتطلع معه إلى رمضان آخر.

وفي شهر رمضان تمتلىء مساجد في المملكة والزبير والكويت بالمصلين. وفي صلاة العشاء حيث يخصص قسم للنساء وفي العشر الأواخر من رمضان تقام (صلاة القيام) ويختم فيها القرآن بكامله ويلقي الامام موعظة دينية في

منتصفها تقدم بعدها بعض الأشربة الحلوة. كما يجري ذلك في الكويت. وفي العيد تجري التهاني كما جرت في دخول رمضان. فما أجمل رمضان هنا وهناك.

الاحتفال بالعيد

هناك عيدان في السنة هما عيد رمضان (عيد الفطر) وعيد الأضحى، فأما عيد الفطر فهو ثلاثة أيام من شوال (١ ـ ٣ منه) ويفطر المسلمون على رؤية هلال شوال. ونحن إذ نتحدث عن الفولكلور في هذه المناسبة فأن الاستعداد لهذا العيد يبدأ مع الأيام الأخيرة لشهر رمضان فأول الأهتمامات تبدأ بملابس العيد ولبس الجديد حيث يهرع الآباء لتفصيل الملابس لأولادهم كما تهرع المرأة لتفصيل ثيابها الجديدة من حرائر وأصواف فيما بين فصلي الصيف والشتاء. وهذا التجديد يشمل بدلة الرجل أو الطفل أو السيدة من الرأس إلى القدم فالتجديد في الكوفية أو الشماغ وحتى النعال (الحذاء) فترى الخياطين والخرازين وحتى الحلاقين يزدحم عليهم العمل في هذه الأيام وبعض الزيجات تحل مع حلول العيد فإذا كانت ليلة العيد تهيأ الدواوين لاستقبال المهنئين فتحمس القهوة وتدق بالنجر (الهاون) ويسمع لصوته رنين ولرائحة القهوة عطر خاص إذا حليت بالهيل والقرنفل. كما ترى الصبايا تجملهن أمهاتهن، بالحناء والخضاب وربما حصلت بعض السهرات للشباب يقضونها بالسمر، وفي صباح أول أيام العيد يهرع الناس لصلاة العيد بألبستهم الجديدة وبعد الصلاة يبدأون بالمعايدات (عيدك مبارك.. فيرد عليه: إيامك سعيدة أو عساكم من عواده.. كل عام وانتم بخير..) إلى مختلف التعبيرات مصافحة وعناقاً والبسمة تملأ الوجوه وقد يلتقي أحدهم بالآخر وكانت بينهما بعض البرودة فإذا هي هذا اليوم قد زالت وعقدت بينهما الأبتسامة صفاء وتسامحا وقد يكون أحدهم لم يكن قد رأى الآخر من ذوي رحمه لفترة ما ولكن في هذا اليوم يقصده ليزوره في بيته وفي الأمثال (زيارة القاطع يوم العيد) ومن العادات الكريمة أن يخرج الناس بأعيادهم في

الساحات أمام بيوتهم كل محلة تقيم هذا الطعام في صف طويل يقدم طعامه في مجموع من الجيران حيث تمد الحصر والبسط كل وصحنه الكبير تعلوه قطع اللحم وتعتني ربه البيت عناية بالغة في هذه المناسبة لتقديم الأفضل ويتفقد كل واحد منهم صاحبه أو جاره فيقال فلان مسافر أو فلان مريض وفي هذا ما فيه من التواصي والتفقد فالمريض يزار والمسافر ترجى له العودة والسلامة ثم يقول كبير المحلة (تفضلوا . . تفضلوا . .) ومن العادات هنا أن يذوق كل واحد طعام الآخر فهم يتنقلون من هذا الصحن إلى ذاك وتدور تعليقات وأبتسامات ويتفق أيضا أن يكون في المحلة ضيف جديد لا أهل له فيحرصون على حضوره للمشاركة معهم ومواساةً له وبعد الطعام يكون كل صاحب ديوان قد هيأ محله مستعداً لأستقبال ضيوفه فيأتي المهنئون ويستقبلهم بالبشر ويتبادلون التحايا والتهاني فيقدم لهم القهوة العربية المعطرة أو الشربات أو البارد (الأشربة الغازية) ويتبادلون الأحاديث الودية وقد تقدم أيضا بعض الحلوى ويقولون لصاحب الديوان (أعادكم الله . . فيجيبهم: أعاد الله الجميع . .) فينصرفون ويأتي غيرهم وهكذا حتى ينتهي النهار وفي الزبير تم أتفاق بين أصحاب الدواوين على أن تقسم الزبير إلى أربع محلات



أكلة العيد صباحا (المعيد)

بين صباح أول يوم إلى عصر اليوم الثاني وذلك ليضمن التقاء الناس بطريقة منتظمة وضماناً لكسب الوقت. وتتبادل الزيارات بين النساء من العوائل

كذلك. ولو عنَّ لراصد أن يلقي نظرة على الساحات التي تزدحم بالناس والأطفال لرأى عجيباً من الألبسة ذات الألوان الزاهية ولرأى عيوناً تطفح بالبشر ووجوهاً تشرق بالبسمات وقد يرى الأنسان صديقاً له أو قريباً لم يره منذ شهورا أو من سنين ويحرص البعض أن يقطع عمله في بلد ليحضر العيد في مسقط الرأس وذو الأرحام يزور رحمه من النساء والشيوخ وفي هذا ما فيه من تأكيد صلة الرحم وذي القربى وتنبسط القلوب والأيدي بالبذل والعطاء (العيدية) عطية يقدمها الرجل لأولاده بالتسامح والرضى ولأولاد أصدقائه وتستمر هذه الأفراح طيلة ثلاثة أيام. هذه لمحة من مظاهر العيد في الزبير.

وأتماماً للفائدة وختاماً للبحث (والختام مسك) لابد من الالمام بالأعياد ورمضان في المملكة العربية السعودية وفي دولة الكويت؛ فرمضان له حرمته في هذه البلاد جميعها فلا ترى في الشارع ولا المتجر ولا في المصنع ولا في المصالح الحكومية إلا صائماً، وإن لم يكن مسلماً فهو يحترم رمضان وهذا الشعور طيب. ولرمضان في نفوس أهليه أحترام لا يدانيه سواه فالشاب الصغير والمرأة لا تراهم إلا صائمين كأبائهم.

وفي المملكة العربية السعودية عامة تنار المساجد والمنائر ليلاً وتزدحم بالمصلين تقرباً لربهم ويقرأ القرآن في (ختمات) فتجد من يختمه أكثر من مرة ونظراً لتقاصي أقطار السعودية فأنك تكاد أن تجد لكل منطقة أسلوباً ومظهراً يتميز به عن المنطقة الأخرى ونعني بتلك (المظاهر الشكلية) ويعمم الخبر إلى جميع المملكة فيصومون وفي ختام الشهر يرى كذلك هلال (شوال) ويتحرى فيه فيفطر الناس وقد يفطر على أفطارهم أفطار أخرى.

وتجري التهاني برؤية هلال رمضان وتحيا الليالي في الدواوين وفي الديوان الملكي يهرع الناس لتقديم التبريكات حيث يستقبلهم خادم الحرمين الشريفين وولي عهده وأمراء البيت السعودي الكريم. وفي الحرمين الشريفين تمتليء البقاع والسرحات بالمصلين من رجال ونساء خشعاً يبتهلون إلى الله يرجون رحمته ويخشون عذابه ويجري مثل ذلك في القصيم وفي

الشرقية ونجران كما يجري في الرياض ولكل مظهر يتميز بـه . وفي العيد تعم البهجة وتشرق العيون بالأفراح والمسرات فيقبل الناس كذلك إلى الـدواوين الملكية يقدمون التهاني فتجد مثل ذلك في مجالس الناس وغدواتهم وروحاتهم بالتزاور وصلة الرحم .

أما في دولة الكويت بلد الأسرة الواحدة فيستقبل الناس العيد بالمبادرة بتقديم التهاني بـالعيد إلى الـديوان الأمـيري فيستقبلهم صاحب السمـو أمير البـلاد وولي عهده والشيـوخ في مجلسـه . . وفي اليـوم الثـاني ينتـظر الأهـالي (السكان) أصحاب الدوانين رد صاحب السمو الزيارة عليهم . .

ورأينا أن بعض أصحاب الدواوين ينشر في الصحف مواعيد استقبالهم للمهنئين كأن يكـون اليوم الأول أو الثـاني في حين يعلن الآخـرون أستقبالهم هذا في يوم غيره ليتسنى للجميع روئية بعضهم البعض حيث يقدمـون القهوة والشربات ويتبادلـون الأحاديث ويشكـرون الله على مـا أنعم عليهم بالألفـة والعافية بهذا الشهر الكريم .

الأطفال وليلة العيد

من العـادات المألـوفة عنـد الأطفال (الـذكور) ليلة كـل من عيـدي رمضان والأضحى . أن ينشطوا كـل محلة بمحلتها ينـظفون مكـان (المعيد) وهو الذي أعتاد أهل المحلة الواحدة أن يفرشوه بالحصر ليضعوا فيه أعيادهم من الطعام الذي يقدمه كل بيت . . هؤلاء الأطفال يحرصون أن يهيئوا هـذا المكان يزيحون عنه ما تراكم من السوافي والأتربة وربما نضحوه بالمـاء ويظلون يحـرسونـه يتناوبـون على حـراسته وقـد يحيون ليلتهم تلك يصنعـون الشـاي ويـظلون في فرحهم يسمـرون ويثرثـرون فـرحـين حتى إلى مـا بعـد منتصف الليـل . فـاذا أستيقنـوا أن كـل طفـل في البلدة قـد هجـع أنصرفـوا هم إلى فرشهم يقينا منهم أنهم يستيقـظون من الغداة يحضرون صـلاة العيد وطعـام العيد مع أبائهم في هذا المعيد . وفي هذا أعتزاز أيما أعتزاز بالمجلة .

وأصل هذا الأحتراز على نظافة المعيد في هذه السكة أو تلك هو أن هناك بعض التخاصم في هذه المحلة مع أطفال المحلة الأخرى فهؤلاء يخشون من خصومهم أن يتغفلوهم فيهجموا على سكتهم فيعيدوا تلك السوافي إليهم .

ومن العيب بمكان أن يأتي أهل المعيد معهم حصرهم فاذا المحل غير نظيف فيلقون اللوم على أولادهم إما لكونهم لم ينظفوا المكان أو لأنهم غفلوا عن حراسته ولهذا يعزى حرص أطفال المحلة على نظافة المعيد . .

وهذه العادة الكريمة ـ عادة أكلة صباح العيد بالشارع (السكة) هي عادة أتى بها أجدادنا معهم من نجد . وكان الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه (تاريخ الكويت) منذ حوالي نصف قرن قال : أن عادة أكلة العيد بالسكة كانت موجودة أيضا في الكويت لكنها تركت فأنقرضت ولكنها لازالت قائمة حتى أيامنا هذه في الزبير ، أي أيام الشيخ الرشيد حينذاك .

الأطفال والعيد أيضا

إن الأطفال من بنين وبنات يسبقون أباءهم وأمهاتهم في فرحة العيد . فالأولاد يظهرون أبتهاجهم في اليوم الذي يسبق العيد حيث يلبسون الجديد ويُرَون في الشارع بملابسهم الزاهية فاذا رآهم الرجل على مثل هذا قال : هذا عيد الصبيان .

ولكن البنات يتعجلن بيومين تذهب أمها فتزينها بالحناء تصبغ به باطن كفيها وظاهر رجليها وبصبغ آخر هو الخضاب وهو أسود فتحلى به أجزاء من يديها ورجليها . تظهر هذه الطفلة مرسلة الشعر أو معقوصاً الى جدائل ويسمى هذا اليوم بعيد البنات .

أما الأولاد فيهرعون إلى الحلاق يحلق رؤوسهم على طريقة محسنة (الخطة أو التواليت) .

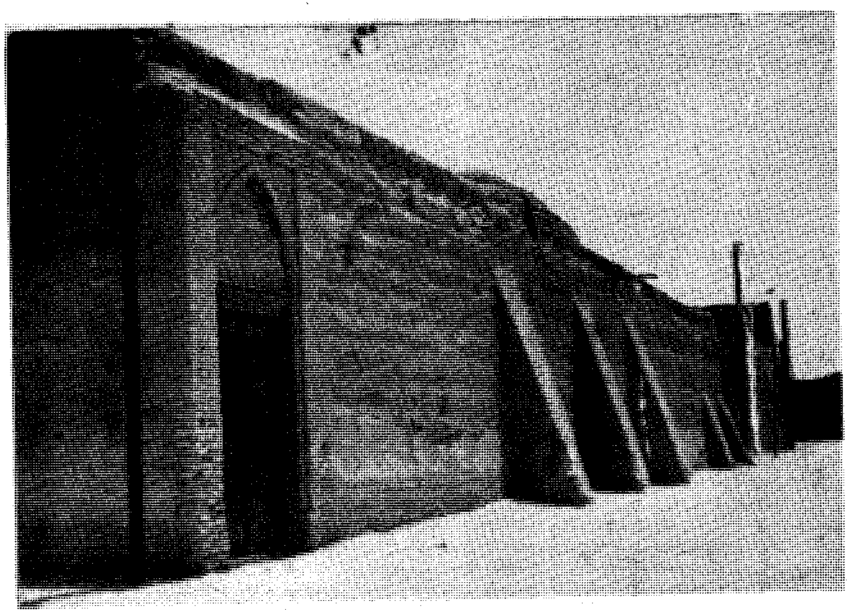
وبعض من الأولاد أو البنات من يستعد للعيد قبل ثلاثة أيام ويسمى عند الناس بانه (عيد المطايير) كل ذلك فرحة بالعيد وأيامه .

وهذا ينطبق على أي من العيدين (عيد رمضان وعيد الأضحى) ويسميان عند البعض (عيد الفطر وعيد الضحية) وقد يسمى عند بعض آخر (العيد الصغير والعيد الكبير) .

عيد الأضحى

هو العيد الثاني في الأعياد الأسلامية حيث يقوم من نوى الحج وفرضه على نفسه في هذه الرحلة الى بيت الله الحرام . والحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وعيد الأضحى سمي بهذا لأن الحاج يريق دم أضحيته في منى بعد الأنصراف من عرفه وأداء المناسك اللازمة في ذلك وهذا العيد في العاشر من ذي الحجة ويحتفل الناس به أحتفالهم بعيد رمضان ومدته أربعة أيام ويذبح الناس أضاحيهم والأضحية سنة تأسياً بأضحية ابراهيم (أبي الأنبياء) يوم فدى أبنه اسماعيل بالكبش وتجد الناس من يضحي بعض الأحيان بالواحدة أو بأكثر منها وأول أضحية هي عن النفس وللوالدين ولمن شاء فيوزع صاحب الأضحية للجيران والأقرباء ولعموم المحتاجين والفقراء وتبدأ من اليوم الأول ولذلك يسمى هذا العيد بعيد النحر وذبح الأضحية بعد صلاة العيد مباشرة ويجب أن تكون الأضحية سليمة من كل مرض ومن كل عيب وكلما كانت كذلك كانت أولى بالقبول عند الله وأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ـ والعادات التي مرت في عيد رمضان من حيث التهاني والتزاور والأحتفاء بالعيد تتكرر هنا كذلك .

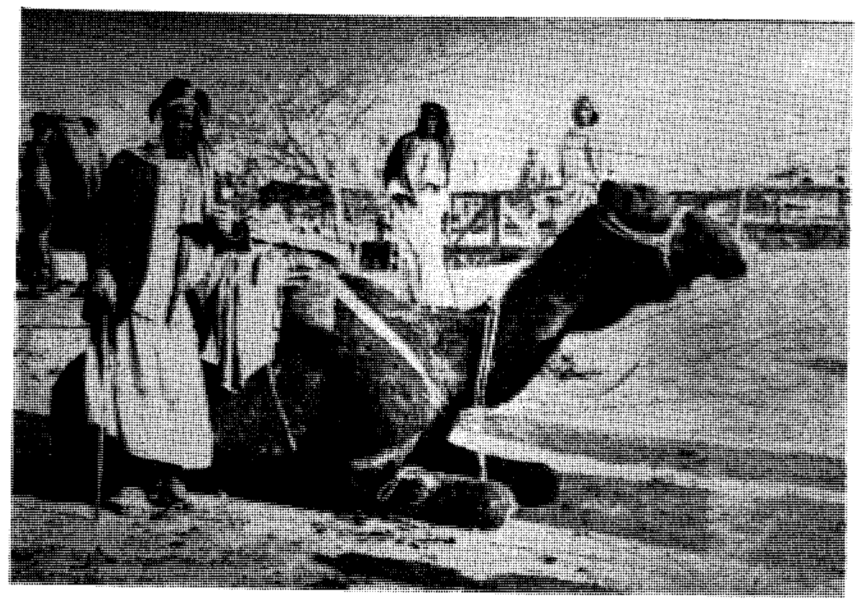
ومن كان له أب أو أخ أو والدة في الحج فما تكمل فرحته إلا بعد أن يصل هذا الحاج أو تلك الى الوطن بالسلامة عندها تتجدد الأفراح .



بيت زبيري

ومن الفلكلور توزيع لحم الأضحية أن بعض أطفال هذا البيت أو ذاك يتنادون ليشاهدوا الخروف والقصاب بيده السكين واذا هو قد ذبحه والدم يطفر من نحره . ثم يأخذ القصاب بنفخه وينفخ حتى لتصبح الذبيحة بضعف حجمها ويعجب الأطفال . ثم يضرب على بطن الخروف وبالمثل يقلده الطفل فيضرب على تخوّف ثم يعلقه ويبدأ بسلخه وترى الطفل يحرص على كعوبه هذا يحصل على الكعب الأيمن وربما يكون صولاً وهكذا الباقون كلّ له كعبه منه واذا بدأ القصاب بتفصيل اللحم يحرص من حرم من الكعب أن يحصل على التفاخة ينفخها ليترامى بها مع أصحابه وقد يحصل على الكلية أو الكليتين يشويها على النار ليأكلها . ثم تبدأ عملية التوزيع على البيوت من الجيران والأصدقاء والفقراء فيقوم بها هؤلاء المستفيدون يسعون بين هذا البيت وذاك في هذه السكة أو تلك .

وهذه كلها متعة أي متعة طفل مع إطلالة يوم العيد . أما الجلد وبعضهم يذبح أكثر من واحدة فيوهب الى مدرسة النجاة أو يوهب الى القصاب لتجتمع أخيرا هذه الجلود عند أصحاب المدابغ في البلد .

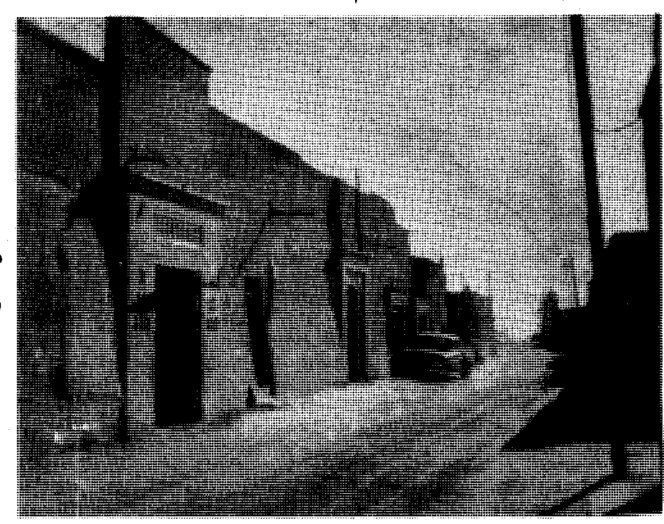


أحد الجمالين من الزبير مع بعيره عند جمرك العشار «الجمرك القديم»

عودة الحجاج

ان عودة الحاج أو أستعداده للذهاب من قبل الى الحج كل ذلك يأتي تباعاً بعضه آثر بعض . فحين يعتزم الحاج أداء الفريضة يجهز نفسه فيفرح أهله فيشتري المحارم ، وقد كان الحجاج من أهل الزبير فيما قبل يشترون الراحلة التي هي الناقة وقد يحج بنفسه أو يصحب معه أهله ويشتري لوازم ذلك كله بعد أن يسدد ما عليه من ديون ويترك نفقة لمن خلّفهم حتى يعود ، ويخرج الحجاج من الزبير جملة واحدة فيخرج بعض الناس من أهاليهم وأصدقائهم لتوديعهم الى مكان يسمى بخبر الحاج بشعيب الباطن يخيمون ليلة بنهار أنتظاراً لمن سيلحق بهم . معهم الدليل ضاربين الصحراء عن طريق الكويت ثم الى عنيزة أو بريده أو الرياض في نجد ثم الى مكة المكرمة أو المدينة المنورة ، وفي الطريق الطويل هذا يستريحون بين مرحلة وأخرى فينحرون الذبائح ويملأون قربهم بالماء من الخباري أو الآبار وتستمر الرحلة شهراً تقريباً فإذا وصلوا مكة دخلوا من الميقات الذي منه يحرمون فإذا دخلوا

البيت كبروا وطافوا طواف القدوم وعلى حسب ما نوى الحج قارناً أو متمتعاً أو مُفرِداً يسعى ويقصر ثم يتحلل أو يمسك بأحرامه . ونحن لا نريد ان نسير في هذه المناسك فهي معروفة لدى الحاج فإذا جاء اليوم الذي ينصرف فيه الناس الى عرفات ثم الى مزدلفة ثم الى منى يكونون قد أمضوا تسعة أيام من ذي الحجة ليصبحوا في يومهم العاشر الذي فيه بداية العيد بعد أداء بعض المناسك فينحر الحجاج ضحاياهم ثم يتحللون من أحرامهم ومن بعض ما ألزموا الأمساك عنه فيظهر الحاج بملابس العيد في الوقت الذي ينعم فيه أهله في بلده بهذه الأفراح ويتزاور الحاج بعضهم مع بعض ويهنئون ويتعرفون الى بعض الأماكن المقدسة وفي اليوم الثالث من العيد أو الرابع يعود الحجاج الى بلدانهم بعد أن أدوا هذه الفريضة يرجون الله أن يتقبلها منهم فيشترون الصوغات لأهلهم وأطفالهم ومن هذه الصوغات ماء زمزم أو بعض السباح والخواتم والملابس المزركشة ومن الحجاج من يذهب الى المدينة المنورة لزيارة الرسول ﷺ وفي المسجد النبوي والمدينة المنورة عدة بقاع كريمة تزار ويعود الحاج من نفس الطريق التي قدم منها . وقبل وصول الحاج الى بلده قد يجد من يستقبله على مسافة مرحلة أو مرحلتين وحينما يصل تنحر الذبائح تيمناً بقدومه وحمداً لله على وصوله بالسلامة يجلس الحاج بعد وصوله بالديوانية ثلاثة أيام يأتي الناس للسلام عليه والتبريك له .



طريق يوصل الى ديم خزام مروراً ببيت الحاج سعود وعبدالعزيز البابطين

ومن العادات الكريمة في هذا المجال ان يقيم الأصحاب الولائم للقادمين وقد تدور بينهم ثم يدعوهم هو بعد ذلك رداً لدعواتهم .

أن هذه الحال في مسيرة الحجاج كانت قائمة من قبل نصف قرن تقريباً ثم ظهرت السيارات وظهرت الطائرات فكان الحجاج من الزبير يركبون السيارات مروراً بالكويت فالدمام فالرياض فالمدينة المنورة أو الى مكة المكرمة ، أما حجاج الطائرات فيركبون من مطار البصرة أو من مطار الكويت وتهبط في مطار جدة .

وفيما نحن نتحدث في الأعياد فمن الطريف أن نصف أكلة العيد في صباح اليوم الأول حيث يخرج الناس إلى (المعيد) ويكاد يجمع أصحاب كل معيد أن يقتصروا الطعام على ثلاثة أنواع رز مطبق على اللحم أو الدجاج أو قروص البيض .



The ancient town of Zubair.

منظرة بلدة الزبير القديمة

فالأول يسلق اللحم حتى ينضج فيحتفظ بمائه ويطبق عليه التمن حتى ينضج فيؤخذ اللحم ويلقى بالدهن ويوضع على الرز فيكون عيداً شهياً .

والثاني يسلق الدجاج حتى ينضج بمائه ليطبق عليه التمن ثم يقلى الدجاج بالدهن حتى إذا تحمص وضع على الصحن فوق التمن . إن هذا أو ذاك بعد أن يطيب بالقرنفل والهيل وماء الورد والزعفران يخرج طبقاً شهياً يقبل عليه الحاضرون .

أما الثالث فهو المحمر (التمن مطبوخاً مع السكر أو الدبس) ثم تكسر البيضات بعدد كبير وتقلىٰ بالدهن على شكل أقراص بحجم كبير وتوضع على الصحن فتجد الناس يختلفون على هذا الصحن أو ذاك ويحرص كل واحد أن يذوق عيد جاره .

وفي هذه العادة في (المعيد) يتفق أن يكون هناك غريب أو مستطرق يدعي ليشارك في المناسبة لتزول غربته ووحشته .

ومن جميل العادات في هذه المناسبة أن يسأل أحدهم صاحبه قائلا : يا جماعة فلان وينه ؟ فيجيبه : مسافر أو يقال : الله يرحمه وهذا وليده يحيي ذكر والده جايب عيده فيترحمون ويباركون الولد ويثنون على والده جبراً لخاطره .

ونجد كل صديق يقول لصاحبه ما ذقت عيدنا فترى الواحد يقوم من مكان ليجلس في مكان يذوق عيد فلان فيطريه أو يصفه بكلمة يقصد بها النكتة للتطرف فيضحك الأصحاب وعندما تعاد الصحون إلى البيوت فالمرأة تفرح إذا كان عيدهم مأكولاً لأن ذلك يدل على طيب طعامهم فأقبل عليه أهل السكة . وبعكس ذلك تغتم إذا لم يمس عيدها الا قليلاً .

الولائم

هناك مناسبات شتى تقام فيها الولائم . وطعام الوليمة ومناسباتها تختلف من بلد الى بلد ففي الزبير تقام وليمة الزواج وتكون في أول ليلة عشاءً قبل ساعات (الدخلة) وطعامها يسمى (الضيفة) وتقدم قبل المغرب بحيث ينتهي المدعوون منها ثم تقدم لهم القهوة ويطيبون بماء الورد ويخرجون الى المسجد لصلاة المغرب وليس فيها جلوس في الديوان (وفي بعض الأحيان) أن تحمل صينيتان[1] واحدة الى بيت الزوجة وقد تكون أكثر من صينية نظراً لكبر حجم الحمولة والصينية الأخرى لفقراء مسجد الزبير بن العوام وتغطى الصينيتان بغطاء بسلة (الروط) وفوقها منشفة بيضاء ضافية .

وطعام الضيفة معمول من تمن الهند الجيد ويسمى (المزة) و (البشاور) وتكون الطبخة كتلك التي مرت في الأعياد غير أن اللحم من لحم الخراف والقطعة تكون كبيرة غير مجزأة فتحمل الصينية نصف الذبيحة مقسومة الى قطعتين كبرتين أنضجها الحمس بالدهن العدان وطيبت الطبخة بالقرنفل والهيل وماء والورد والزعفران يعلوها الحشو المكون من لباب اللوز والبيذان أو الصنوبر والبصل والكشمش . وهذه الصينية بما حوت لا يقدم معها شيء كما يقدم عادة في الولائم الأخرى كالفواكه والحلويات والمخللات . هذا ما يجري في الزبير . قد يصاحب هذا الطعام أصناف أخرى في غير الزبير .

أما الولائم الأخرى التي تقام في مناسبات أخرى كوليمة القدوم من الحج أو من السفر البعيد أو الطهر أو نزول بيت جديد فلا بأس أن نقدم مع الطعام نوعيات مختلفة من لحم الخراف أو الغزلان أو الدجاج أو الحبارى مع ما يلازمها من المرق بأصنافه والحلوى واللبن والفواكه والمخللات . تلك

---

(١) ويقوم أهل العروس بتوزيع هذه الضيفة على الجيران والأقارب حتى لا يبقى لهم منها إلا قدر عشائهم فيقولون هذه ضيفة (فلانة) وهي ابنتهم ولهذا سميت بالضيفة .

عادة جارية في محيط الولائم الزبيرية ويكون المدعوون لهذه الولائم الأهل والأقارب والأصدقاء والجيران ثم بعد الأكل لابأس أن يحصل جلوس في الديوان وتقدم القهوة العربية كما يقدم الشاي وقد تجري أحاديث ما ثم يعطر الحاضرون بالطيب (البخور وماء الورد) وينصرف المدعوون .

مضايف نموذجية

عام١٩٨٦

تقوم في الزبير هذه الأيام عدة مضايف لأستضافة جنود جبهة الفاو في البصرة . وتؤدي هذه المضايف دورها في الحرب العراقية الأيرانية في الوقت الحاضر . ويقوم على هذه المضايف فتيان مكرمون من أهل الزبير[١] في البقعة التي بين قبر طلحة والمسجد التاريخي وطريق الزبير / الكويت .

والفكرة رائعة بحد ذاتها تعبر عن كرم أهل الزبير ينحرون الذبائح ويطبخونها مع الرز بعناية يهيأونها للجنود الذين هم في طريقهم الى الجبهة (جبهة الفاو وأم قصر وخور عبدالله) من جنوب العراق غداءً وعشاءً ، كما يقدمون الشاي في الوجبتين .

أما طعام الفطور (الريوق) فهو لا يقل أهتماماً ايضا (الشاي والحليب والخبز والبيض والجبن) .

فالجندي بذهابه أو عودته بمجموعاته في سيارات الجيش ومعداته العسكرية يجد عندها الطعام الحار الوافر في الليل والنهار ويجد من دون ذلك مواطنين مندفعين ومبتهجين وهم يقومون بالخدمة والتمويل من ذات أنفسهم لأخوانهم المحاربين. فالجنود وهم يجودون بأرواحهم فلا أقل أن يقف أخوان لهم من وراء الخطوط بهذا الوفاء المتواضع طبقا لقوله تعالى : ﴿ **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم** ﴾ .

علماً بأن أهل الزبير وهم الطليعة في أقامة هذه المضائف يبرز آخرون

(١) حجي ايوب يوسف العوهلي وعبدالله ناصر السهلي وابراهيم عبدالله العمران وغيرهم .

من رجال القبائل والعشائر من المواطنين العراقيين والعرب الذين يرابطون في منطقة الزبير والبصرة يقومون بمثل ذلك النشاط والحيوية .

هذه المظاهر لم نعهد لها مثيلاً في التاريخ عموماً قديمه وحديثه . لا نقول في الزبير وحسب أو في العراق أيضاً . بل هي الفريدة في التاريخ العربي على أمتداد التاريخ .

المولود البكر

ومن الأفراح ـ ضمن العادات الأجتماعية في الزبير ـ أن يحتفلوا بالمولود الذكر خاصة إذا كان بكر والديه وهم بقدر هذه الفرحة يفرحون بسلامة الوالدة لأنها عندئذ تكون نعم الودود الولود ، ومن حمل البشارة الى ابيه فانه حينئذٍ سيظفر بالبشارة (الجائزة الكريمة) ـ وتكبر الجائزة خاصة إذا كان هذا الغلام يجيء بعد أمتناع أو أنتظار طويل ، إذا الأمر هنا يصبح ذا مظهر خاص إذ أمنت مظنة العقم وتعم الأفراح لأكثر من طرف وفي اليوم السابع من ولادته يسمىً ويطهّر وتذبح له العقيقة ويسميها الناس هنا التميمة وهي كبشان للمولود الذكر وواحدة للأنثى تأسياً بسنة نبيهم محمد ﷺ إذ ذبح كبشين لابراهيم وكبشاً واحداً لزينب وأولم ودعا الى طعام .

وتبدأ التهاني والتبريكات لكل من الأب والأم ويقبل الأقارب يتحمدون السلامة لأم الطفل كما يهنئونها بالمولود وتطفح المسرات على وجهها كما يفرح أهلوها وذوو القرابة من الطرفين وترى أمه أعتزازاً بالوليد وتبدأ الهدايا تقدم أليها وتدور كؤوس الشربات فرحاً وأبتهاجاً بالحدث السعيد وقد تنافس الأنثى أخاها بوقع المسرات عند أبويها خاصة إذا أنتظرت من بعد أخوة لها وعندما تقضي الأم أيام نفاسها وتعود الى بيتها تحظى بتكريم خاص من زوجها والأقارب من الطرفين وتجزل الهدايا من أمها وأبيها . وتقيم الزوجة في بيت أهلها أربعين يوماً هي أيام النفاس، والزوج هو الذي يأتي في نهاية الأربعين يوماً لأخذ زوجته من بيت أهلها .

في بناء المسكن

ومن الأفراح الأجتماعية أن الرجل اذا بنى بيتاً جديداً لسكناه فأنه يولم ويذبح ويدعو الجيران وأهل المحلة الى طعامه فيهنئه الأصحاب ويدعون له بالبركة في هذا البيت . وربما تنادىٰ له الأقارب والأصحاب بالهدايا المناسبة وفي زماننا هذا أصبحت هذه الهدايا لازمة من لوازم الحضارة خاصة عند النساء بدعوى أن الأنسان مدين بهذه لأنها سترد اليه بمناسبة تماثلها من قبل الآخرين . وأصبح الناس اليوم يتفننون في أطار البناء وهندسته بعمل الديكورات وهي مظهر حديث لم يكن للجيل به من قبل سابقة حتى لتكون نفقات الديكور أكثر من تكاليف البناء ذاته بعض الأحيان وحتى ليقال للآخر قد سبق الأول في هذا أو ذاك وهكذا دواليك وتتمثل هذه الظاهرة في دول الخليج في صورة أظهر .

وتتضح مظاهر البهجة في سياق الأفراح ان الانسان اذا اشترى له قصراً أو بستاناً أو حتى السيارة أو أي شيء جديد يقتنيه يكون مدعاة لأن يُنطق الآخرين بعبارات التهنئة والتبريك وهذه عادة طيبة لتآصر الأصحاب وشدّ يد بعضهم على بعض .

ومن دواعي هذه الأفراح أن الأنسان يهنأ إذا نجح في عمل ما أو سباق أو مشروع ما كالنجاح من نهاية الدراسة الجامعية أو حتى أدنى منها فأنها مرحلية لهذا الأنسان أو ذاك وحتى لو نجح من خلاصه من حادث مؤسف ومن أبلاله من مرض فإن هذه كلها وأمثالها تدعو الى التهنئة والدعاء لصاحبها بالسلامة والبركة في المال والذرية . ومجتمع كهذا أحرىٰ أن يكون مثالياً مغبوطاً .

عيادة المريض

من العادات المتبعة في المحيط الزبيري عيادة المريض سواء كان في بيته أو في المستشفى للأطمئنان على صحته فيقال له في هذه المناسبة (طيب . . . طيب .) وبعضهم يقـول (السـلامـة . . السـلامـة). أو (خـطاك السـوء)[1] . وبعضهم يقول (مـا تشوف شر أنشـاء الله). أو (أجـرٌ وعافية). وقـد يحمل هـذا العائـد[2] هديـة مناسبـة وفترة العيـادة للمريض تكـون قصيرة تقضي بـالحديث الـذي يـدخـل السرور الى قلبـه ومن السرور غذاء . ويتحاشى عنده ذكر المزعجات من الأخبـار ثم ينصرف هذا العـائد بـالتمني لصاحبـه بعاجـل الشفـاء . ويقـال في تـوديعـه (نـراكم أنشـاء الله بخير) .

وعند أبلاله من مرضه وخروجه يزورونه في البيت ويشعرونه بأنه الآن في حـال طيبة أحسن من ذي قبـل كثيراً فيقـولون (الحمـد لله على السـلامة والعافية). فان في هذه الكلمات ما تزيد في معنوياته .

ان مثل هذه الزيارات في حال الصحة والعيـادات مما تـوثق الوشـائج بين أفراد العائلة الواحدة وتقوي أواصر الأخوة في المجتمع الواحد .

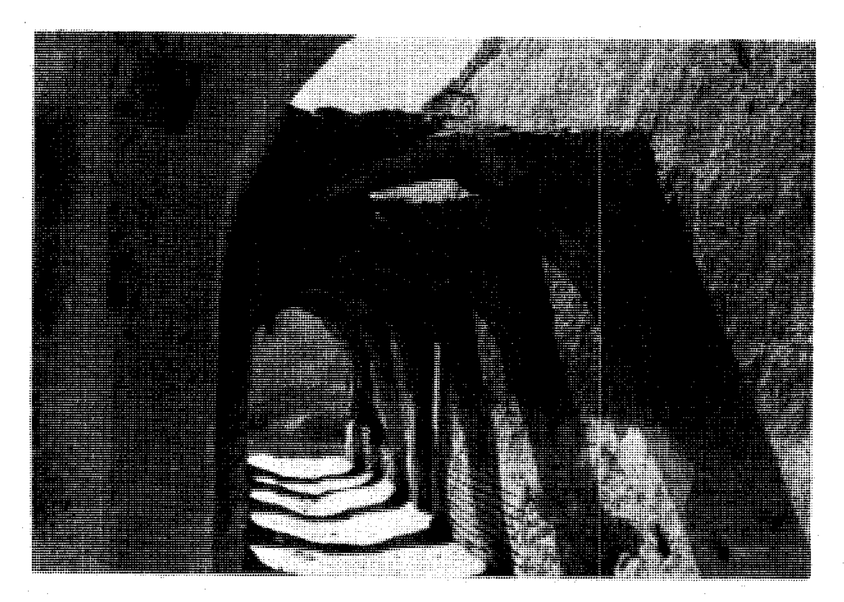
المجبب (الميبب)

هذا الميبب معروف في الزبير . فقد يكون لأحدهم الداران متقـابلتين يفصل بينهما شارع ضيق ولأجل أن يصـل صاحبهـما بينهما يبنى هـذا المسقف وهذا ما يطلق عليه (بالمجبب) .

---

(١) أن خطاك أي بمعنى أخطأك فلم تكن من ضحاياه .

(٢) يقال زيارة يقوم بها الصديق لصديقه وهو في حالة العافية أمـا اذا كان مـريضاً تسمى عنـدئذ عيادة .



مجبب محلة الشهال

وفي كثير من الأحيان يكون هذا المجبب مظلماً الأمر الذي يخيف المارين أجتيازه . ونظراً لحرص الآباء على أولادهم من الخروج ليلاً الى الطريق يخوفونهم فيقولون لهم أن هناك الطنطل[1] أو الشيفة أو خضراء أمّ الليف[2] تتربص للمارين بهذا المجبب .

وقد حدثت بعض المروعات من هذه المجابيب وهو أنه يتفق أن يلجأ لهذا المجبب جمل مريض بالجرب مثلاً أو حمار أو حصان يتركه أهله لفترة ما . ففي أيام الشتاء والمطر يلجأ هذا الحيوان إلى هذا المجبب ألتماساً للدفء وفراراً من هاطل المطر فيبرك ماداً رقبته الى الأرض أو عالية الى السماء فيمر الولد دون سابق علم بهذا فيفزع ويذهب ليخبر أصحابه بأنَّ هناك طنطل في المجبب (الفلاني) ساداً الطريق وما أسرع أن تسري الأشاعة فيكذبونه ثم

---

(١) الطنطل : هو خرافة شائعة بأنه حيوان غريب الشكل يتخلق بأشكال مروعة يخشاها الأولاد أو الشباب الصغار وأنه يسكن في الأمكنة المظلمة ويتعرض للناس .

(٢) الشيفة : اسم غريب غير معروف . أما خضراء أم الليف فهي النخلة ولكن الأطفال يجهلون ذلك .

تجري مراهنات ويذهبـون لتصديق الـرهان فيتخلف بعض ويتقـدم آخرون وقد تأكدوا من رؤية طنطل فيجرأ أحدهم ويضربه بالحجارة من البعد فيهدر عليهم فيفرون وقد تأكدوا من الطنطل .

فوانيس البلدية

وفي أيام ما كانت الزبير في العقود الأولى من هذا القرن تغط السكيك في ظلام حالك . وكانت البلدية تعلق الفوانيس الصغـيرة في مفارق الـطرق مملوءة نفــطاً وفي رأسهـا فتيلة وتحيط بهــذه بيت من الـزجــاج لــه بــاب صغير فيأتي الموكل بـالأضاءة فـيرقى على سلم خشبي فيشعـل الفتيلة ويغلق بابه وينزل ويحمل سلمه الى الآخر وهكذا ، فلكل محلة موكلها علماً بـأن هذا الفانوس ينتهي نوره بأنتهاء النفط فيه آخر الليل فينطفيء .

أو يتفق أن تهب رياح لا يصمد لها هذا الفـانوس فتنـطفيء الفتيلة أو تتمايل فتحدث السخام فتسود الشيشة فيحجب هذا السواد النور .

وتتأزم المشكلة عندما تكون السكيك موحلة بـالأمطار ويمـر الرجـل أو المرأة فيتعثر في الماء والطين الموحل ، ولم تنته هذه الأزمة حتى دخلت الكهرباء الى الـزبير في أواخـر الأربعينات من هـذا القرن . فتنفس النـاس الصعـداء وأنيرت الشوارع .

زيارة القادم من السفر

كان أهل الزبير كثيراً ما يقومون بالأسفار الى أقطار الخليج العربي بدءًا من الكـويت الى البحرين والى قـطر والى دبي بقصد التجـارة فيحملون التمر تحملها الأبوام الكويتية فيبيعون ويشترون بأثمانها بضاعات محليـة أو مستوردة من الهند مثلاً ثم يبيعونها في البصرة وفي الزبير أو بغداد .

أو يسافر بعضهم الى الهند وفي الهند متسع كبير من أنـواع البضاعـات يسافرون بالمركب ويطلق عليه (الميل) وبضاعتهم إمـا الخيول أن كـانوا من أصحـاب الميدان (السبـاق) أو ممن يجلب الخيول ليبيعهـا في أسـواق الهنـد التجـارية . . فيبيعـون بضاعتهم ويتعـوضون بـدلها بـالحريـر (الجز)[٢] أو العطور أو الأقمشة الصوفية الجيدة كالكشمـير أو بعض الملابس الفـاخرة الى غيرها ممـا تنتجه الأيـدي الهنديـة الماهـرة يعودودن الى البلد فيبيعـون بأربـاح مشجعة .

وهناك من التجار من تكون له معاملات مستديمة في الهند بما في ذلـك مدن كراتشي وبومباي وكلكتا يتاجـرون في السكر والشـاي والتمور مـع تجار الهند والشركات الأجنبية وسفر هؤلاء قد يطول ليتجـاوز الشهور الى السنـين فـإذا عاد الى الـوطن تلقّاه أهله وذووه وأصـدقاؤه وعـارفـوه وأهـل المصلحـة والتجارة ويدعونه الى الولائم وتدور دعوات بين الطرفين فـرحاً بـه وإبتهاجـاً بسلامته وكثيراً ما يحمل هؤلاء الصوغات للأهل والأصدقـاء مما لا يـوجد لـه مثيل في وطنه .

وربما أوغل أحـدهم في البعد في الأسفـار فذهب الى المـلايو والفلبـين وأندونيسيا وجاوه . كما يسـافر التجـار الكويتيـون ومعهم من أبناء الـزبير في هذه السفرات إلى هـذه الأقطار القـريبة منهـا والنائيـة على سفنهم الشراعيـة يحملون بضـائع العـراق من التمور ويصلون بهـا الى الهند وخليـج بنغـالا أو يصلون بها الى افريقيا او ساحلها الشرقي وينقلون البضائع من قطر الى قـطر يبيعـون ويشـترون ويـطلقـون عـلى اسم هـذا النـوع من الأبـوام الكبـيرة (بالسفار) واذا عاد هذا السفار الى الوطن كانت له فرحة وبهجة لأنه إقتحم المحيط بأمواجه وأهواله وأعاصـيره . ولله در البحارة وصـبرهم ومعانـاتهم . ولله در النوخذة الكويتي استطاع بحنكته وصبره وسيـاسته ان ينجـح في هذه السفرة .

---

(١) وهناك فريق يسمى الحصانة وسنبحث ذلك في صفحات تالية .
(٢) القز .

كما كان البعض من أهل الزبير من يصحب أهل الكويت في سفره الى الغوص وموسم الغوص مشهور عند الكويت ويطلق عليه (صيد اللؤلؤ) وفي هذا السفر مغامرة تحتاج إلى دربة ومؤهلات كيف وأن واسطة هذا السفر هو البوم ذو الشراع تسرى به الريح على ظهر هذا البحر الغضوب المتلاطم رخاءً أو عنفاً فإذا رجع أصحاب الغوص الى بلدهم كانت فرحة العودة بهم سالمين أكثر من عودتهم بما غنموا .

هم يصيدون اللؤلؤ وقد يكون الموسم رابحاً فيبيعون بالثمن الربيح أو فاشلاً وهنا تكون الحسرة وما ييأسون فإنهم يعاودون (الغوص) في العام القابل بمثل تلك الرغبة وتتمثل حياتهم بالعزم والصبر والمصابرة والحلم والبأس[1] وهم بهذا يضربون مثلاً أعلى للرجل الذي يصارع الحياة ليعيش عزيزاً كريماً . فإذا رجع أهل الغوص من سفرتهم هذه فكأنما رجعوا بعمر جديد . بعد أن كانوا أمضوا في البحر (أربعة شهور) .

ومن التعبيرات الحبيبة الى النفس أن يسأل أحدهم صاحبه اذا لقيه وهو متهيء الى السفر ولا يعلم أين وجهته فيقول له : وين هالراشدة . فيجيبه قائلاً الى بغداد مثلاً ، يقول : راشد مصحوب الصحة والسلامة . وبعدها يقول في أمان الله ، وربما يعانقه . .

في موسم الامطار

ومن الأفراح الأحتفال بموسم الأمطار التي تأتي بموعدها الطبيعي ويسمى هذا المطر بالوسم ويبدأ بالعشرة الثانية من تشرين الأول فإذا أنعم الله بهدا الغيث فأن الأرض تكون قد وسمت وعندها تكون مستعدة للانبات

---

(١) في موسم الغوص شهور تدعى (الغلاق) أي يمتنع النوخذة من المغامرة في الأبحار فيها وهي (جون وجولي وأوقست ـ أي حزيران وتموز وآب) فان البحر فيها غير مأمون للعواصف التي قد تهيج فتدع السفينة كالريشة في مهب الريح .

فترى الناس يفرحون ويستبشرون خيراً وعندها يبذرون أرضهم بالحنطة أملاً في استمرار الأمطار في الأيام المقبلة ويظهر النبات وتتوالى الأمطار أسبوعاً بعد اسبوع طيلة شهور الخريف والشتاء وتمرع الأرض وتكتسي بالخضرة فيشبع الحيوان وتنضج السنابل وعام مثل هذا لهو عام الخير والبركة وفي الربيع تتوالد الأغنام وتنتج ويكثر السمن وتزدهر الصحاري بأنواع النباتات والأزهار فيحصد الناس زروعهم . وعام مثل هذا نجد الخير قد عم ، ولا نجد أنساناً إلا وله حصيلة في هذا الخير .



سوق الحزم في الزبير ١٩١٤

كان أهل الزبير في غالبية أحوالهم يزرعون الحنطة ويحصدونها فالقمح يطحنونه ومنه غذاؤهم والسفير (التبن) علفاً لحيواناتهم يخلطونه بأنواع أخرى من الغذاء الحيواني فتدر الأغنام والأبقار وعلفاً بمثل هذا الخليط الى جمالهم وحميرهم وخيولهم . وقد يصدرون مازاد من هذا القمح الى البصرة والى بلدان اخرى . والسنة من هذا النوع تكون عميمة الخير فتمرع النخيل وتفرع الأشجار ويكون موسم التمور والأثمار موفوراً فتطيب الأثمار . وفي الصحراء تمد هذه الأمطار الآبار والعيون في مدرارها ويبقى ذلك مدداً الى

أيام الصيف ، والمزارع الذي يزرع البطيخ والطماطا وبقية الخضروات يجد في بئره الماء العذب وقد يجده عميق الغور وفير الكمية فتزهو مزرعته وتنتج أنتاجاً وفيراً . وحين تمر القوافل بطرق الصحراء تكون هذه الآبار قد اختزنت الماء كما يجد هذا الأنسان الحشائش الجافة والخضراء على حد سواء علفاً لابله . وتفرع أحطاب البراري كالحمض والعرفج والغضا والعضرس والبان والأثل وهذا يعني أن الأمطار بصورة عامة حين تجيء بموسمها وتتتابع فانها تبشر بخير عميم ، فإذا تلاها عام آخر وثالث بمثل ذلك فإن البدوي والحضري على حد سواء يكونون في بحبوبة من العيش ومن الطاف الباري يومها إن السماء كانت تمطر ليلاً ثم تصحو نهاراً وقد عشنا تلك الأعوام الخوالي .

ولا ننسى الكمأ التي تظهر في مثل هذه المواسم الجميلة والكمأة نبتٌ بري يلتقطه الناس ويكون طعاماً شهياً يعوض عن اللحم بعض الأحيان . وكان الحجاج اذا خرجوا من الزبير أو من الكويت في قوافلهم لا يشعرون بنصب ولا تعب بل وكأنهم في سفرة ومتعة بجمال الأرض المبسوطة بزهر الربيع ومياه الخباري ويقطعون هذه الآلاف من الكيلومترات وكأنهم في نزهة .

في مثل هذه الأيام من هذا العام أو ذاك يخرج الناس الى البراري للنزهة وقد يمكثون يوماً أو أياماً بلياليها ينصبون الخيام التماساً للراحة وأمتاعاً للنفوس المكدودة من أيام العمل في المدن يشمون الهواء النقي ويشربون من مياه الأمطار فيكسبون صحة وراحة يعودون بعدها بنفوس تقبل على النشاط والعمل .

ولذلك فلا مندوحة لأهل الزبير وأهل الكويت وأهل المملكة العربية السعودية أن يقيموا مواسم للأفراح بهذا الضيف الزائر وترى الناس من غير أهل الزبير من يقصد هذه البراري يقضون فيها متعهم وتخرج المدارس بطلابها وطالباتها لأقتناص هذه المتع أيام الربيع .

وكان من الناس من يخرج بعائلته الى البر ويطلق عليه اسم (مكشاة أو كشتة) ومنهم من يدخل الى البلد صباحاً يزاول عمله ثم يعود الى أهله وأطفاله ظهراً فيتغدون سواءً ومنهم من اذا أوغل في البعد وخشي على نفسه من الضواري يتسلح بالبندقية أو المسدس . وتجد هؤلاء (الكواشيت)[١] ، يتزاورون فيما بينهم خاصة إذا كانوا في منطقة واحدة فيدعو بعضهم بعضاً على الغداء أو العشاء أو السمرة حيث يقضون بعض الوقت في لهو بريء . وقد يتخذ أكثرهم موقعين أو اكثر في المخيم الواحد فخيمة مجلساً للرجال وأخرى للعيال وثالثة للمطبخ وربما رابعة لتناول الغداء أو العشاء يصحبون معهم الراديو وفي هذه الحالة تكاد تكتمل الفرحة وتجد السيارات تختلف بالزيارات بين هذا المخيم أو ذاك .

تتمثل هذه الحياة الجميلة اكثر ما تتمثل في الكويت وقد أعتاد الناس على مختلف أحوالهم أن يخرجوا في موسم الشتاء أو الربيع من كل عام حتى ولو لم تسقط الأمطار ولم يتبسم الربيع بأخضرار .

هذه الحال كانت ميسورة قبل أكثر من ثلث قرن ثم تلتها سنون تقاصرت فيها الأمطار وتقلص الربيع وأرتفع البدوي من بادية الزبير الى بوادي أخرى في المملكة العربية السعودية والكويت وجدت أحوال أخرى لسنا بصددها فإذا العام تلو العام يمضي فلا نرى إلا شحاحة من مطر لا تسمن ولا تغني عن جوع .

ومن العادات المستملحة بين الناس اذا نزل المطر الموسمي وسقى الأرض تباشروا وصار بعضهم يهنيء بعضاً ويقول أحدهم للآخر : « مبارك عليكم هالخير » . واذا تتابعت الأمطار بكمية تبشر بالري قالوا : « هذي سنة خير » .

---

(١) الكشتة كلمة تركية وتعني الخروج من البيت للترويح عن النفس في البر . وقد اتحفنا بهذا الدكتور محمد عيسى صالحية من معجم باللغة التركية ـ مشكورا .

وإذا سالت الدريهمية وامتلأت هنأ بعضهم بعضاً : « سـألت أمنا » و « الحمد لله سالت الدريهمية » . وهـذه الحالـة يوم كـانت الدريهميـة مصدر سقي الأهالي وقبل أن تصل الأسالة الى البيوت .

وكـان المـاء في الأجيـال التي سبقت العقـد الـرابـع من هــذا القـرن (١٩٣٦ م) يحمل الى البيوت على الحمير فان السقا يحِّمـل حماره ثـلاث قرب من الدريهمية التي تبعد عن البلدة من الجنوب بخمسـة كيلومترات ويتجمـع السقـاة في مكان في جنـوب البلدة يسمى (المحط) ويطلق اسم (الـدرب) على هذا الماء المحمول فيقول : « كم الدرب . . . ؟» فيقول السقا مثلاً بقران والقران ما يعادل ١٩ فلساً واذا أتفق أن المشتري سمع السقاء ينادي على الماء بين المنازل بعبارة لو سمعها أحد من غـير أهل الـزبير لم يفهمهـا ، فهو يمشي وراء حماره ماسكاً بطرف ذيله يقول : « موله . . موي !!» يرددها بين الحين والحين فيفهمها ابن البلد فمن كان محتاجـاً الى الماء نـاداه فيعامله عـلى الثمن وقد يكون بأقل من ١٩ فلساً أعتماداً على العرض والطلب . فإذا دخل البيت سـأل : « وين حِبكم[1] أو وين الفنـطاس . . ؟» ويفـرغ القـرب ثم يقبض الثمن . أما اذا كان الماء ميداناً للديدان تسبـح فيه وتمـرح فيقول السقـا أول دخوله للبيت : « هاتوا لنا منخل أو جيبوا لنا جدر عندي جـربة جـديدة . » فـإذا حضر المنخل مسكـه صاحب البيت فـأفرغ السقـا قربتـه واذا الديـدان منوعة الأشكال مابين مكعب وخيطي وأسود وأخضر يتقلب على رقعة المنخل بنشاط ملحوظ . هذا المرئي . . . !! فكيف بالذي يمـر من عيون المنخـل مما لا تـراه العين المجـردة . . . !! . رحم الله أهل ذاك الـزمان ! وأمـا القـربـة الجديدة فتعني أنها من قـريب خرجت من يـد صانـع القرب (الخـراز) وقد ريغت بالودك[2] ، وهذا الماء يستعمل للغسيل أما الماء الأول فإنه يترك ساعة

---

(١) أين الحِب . الفنطاس وعاء كبير من الفخار موضوع على حامل من الخشب يسمى المرفع .
(٢) الودك : هو شحم البعير الذي يغلي على النار بعد استخلاصه من الخلع والخلع هو بواقي من قطع الشحم بعد خروج الدهن منه .

من الزمان ثم يستعمل للشرب . واذا بقي القليل في قاع الفنطاس فإنك ترى الديدان مازالت تسبح ثم يغرف بالطاسة وينشر على الأرض حتى يخلو . وربما جاء أحد أولاد الجيران بيده السطل يطلب الماء فيقال له : « فنطاسنا يابس من أمس مما يدعو الأمر الى الحرص الشديد لشراء درب الماء ولو بثمن الضعف .

وفي بعض الأحيان يلجأ أهل الدار الى البئر يمتحون منه للشرب اذا كان هذا قريباً من العذوبة أما غسل الأواني فمن ماء البئر لا محالة وكذلك غسل الأيدي والوضوء . وقد يغتسل الواحد من ابناء هذا الجيل بماء البئر والشنان[1] . والمترفون يغسلون بالماء العذب (ماء الدريهمية) والشنان والسدر أو بالصابون . وعندما يحتاج صاحب الدار الى الماء والوقت بالليل فأنه يذهب الى ديم خزام فيدلي دلوه ويملأ أناه ويحمله أما على حيوانه أو على رأسه .

ومن الطرائف أن السقاة من كان أعمى يمسك بذيل حماره فيدله على الطريق . كان ذاك هو السقا حمدان السهو يذهب للدريهمية راكبا حماره وحماره يدله على الطريق الى الدريهمية قد علق على رقبته أجراساً لتسمع من في طريقه فإذا وصل الدريهمية وقف الحمار على البئر الذي فيه ماء فيأخذ حمدان بملء القرب والحمار واقف ينتظره ثم يضعها واحدة واحدة على ظهره بترتيب معروف ثم يمسك بذيل حماره فيمشي الحمار فيركب على ظهره ويغمزه بعصاه غمزاً خفيفا فيمشي الحمار مشياً الى الجري أقرب فإذا وصل المحط ربما وجد المشتري فان لم يجده ساق حماره بالطريق الذي يريده صاحبه وكأن حماره يفهم ما يريد وهو ينادي (موله . . ماي) وربما أتجه الحمار الى جهة لا يرى صاحبه بدأ من أن يتابعه تخميناً بوجود من هو في حاجة الى الماء ثم ما يلبث أن يجده فيدعوه بعبارة « أبو الماي » أو « السقا » فيميل الحمار الى زاوية

---

(١) الشنان : نبات بري (شجيرة) أوراقها خيطية لونه ترابي يقطع ويجفف ويطحن فيغسل به مع الماء وحده أو مع السدر .

الصوت وأن كان المنادي في طريق أخرى غير مرئية وحمدان ممسك بطرف ذيله حتى يوقفه على باب المنادي .

وما رؤي مرة أنه ضل طريقه ولا أرتطم بحائط ولا بأنسان صغيراً أو كبيراً فسبحان من علم الانسان وألهم . . الحيوان .

ومن السقاة المشهورين جيعان الجيعان وأبو سموم والناري . ومن هؤلاء من كانت له (عملة) مع زبائن معروفين فأن هذا السقا يملأ قربه ويقصد الى عميله رأساً فلا ينادي بدربه . كل هؤلاء ذهبوا الى رحمة الله .

كشتة الاطفال

حتى الأطفال في سن العاشرة أو حواليها يقلدون أباءهم يقومون بكشتة لأول رشة مطر يجمعون مادتها من طعام ومتاع يخرجون يوم الجمعة الى مكان قريب من البلدة بمظهر طفولي مرح يرفعون بيرقاً من قطعة حريرية زاهية في رأسه (خرخاشة) يصنعها (التنكچي) ، فيحمل البيرق أكبرهم سناً ويهزه بيمناه وهو على الأرض فيكون لصوت الخرخاشة بعثاً لفرحتهم ويدورون حوله بهوسة وردحة ويحصل من بينهم من يرتجل عبارات هذه (الهوسة) مما يثير حماسهم بينهم ينتمون الى هذه السكة القوية . ثم يقصدون بجمعهم هذا بعض البيوت ويطرق كبيرهم الباب ويعلن عن هويتهم بأنهم عيلان سكتهم يطلبون العانية . وحين يدخلون هذا البيت أو ذاك يضرب حامل البيرق بيرقه على الأرض بقوة ويهزه فتنطلق الردحة من جديد وهم يدورون حول البيرق وسكان الدار ينظرون اليهم مبتهجين وهم يقولون :

رشيدية عز الدين . . . لا تحاربها يا مسكين .
رشيدية وفص قلاص . . دانه ولقاها الغواص .

فان كان الأولاد من أهل الزهيرية أو درواز أو محلة أخرى أبدلت « رشيدية » باسم محلتهم . ويدعو هؤلاء الأطفال الى صديقهم الطفل في هذا البيت بالصحة والعافية فتبتهج أم الطفل وجدته فيجزلون لهم العطاء

ولا ينصرف هـذا الجمع حتى يقتنعـوا بهذه العـطيـة أو يستمـرون ، كـما إذا صادفوا رجلاً له بعض الهيبة توجهوا إليه يطلبون العـانية فينفحهم بشيء مـا من النقـود تعينهم على أجـرة العربـانة وأخيـراً يجمعون مـا يكفيهم من الـرز والماش والعدس . أما الفلوس فهي لأجرة العربانـة أو السيارة وشراء بعض الحاجات الضرورية لهذه الكشتة . ويودع طبخ ثمن الكشتة الى أحـد البيوت كـما تؤخذ الصحـون والماء من بيـوت أخرى أطفـالهم أعضاء في هـذا الجمع المحروس .

ومـا أشده فـرحاً لتلك الأمهـات اللاتي شـارك أطفالهن وهم يـركبون العربانـة وأمهاتهم داخـل بيوتهن وراء البـاب يزغـردن أو يذكـرن الله لحمايـة أولادهن وما أعظمها ساعة حين يعود هؤلاء الأولاد عصراً سالمين فرحين .

الختـــان

والختان عند أهل الزبير والكويت والمملكة العربية السعوديـة يجري في اليوم السابع من ولادة الغلام وفي هذه الحال لا يجـري هناك احتفـال أو فرح لأن الأفراح حلت بحلول المولود فإذا تقدم الطفـل بالعمـر سنة أو سنتـين أو نحوهما ولم يكن قد ختن فأن اباه يهتم بالأمر ويعلن لأهل البيت أننـا سنطهـر الطفل في يوم كذا وفي بعض الأحيان يقدم بعض الآباء أطفالهم ليتم ختانهم مع هذا الـطفل المـرموق . ويحتـال الحلاق (المـزين) لهذا الـطفل الـذي لا يدري ما يصنع به بأن يستدرجه ويقدم له الحلوى ويقول له ما جرى هناك ؟ أنظر . . ! ! ويشير الى أعـلى البيت بعبارة أنـدهاش وربمـا سمي له حيـواناً أو طائراً يعرفه الطفل يرفع ناظريه الى أعلى وما هي إلا لحظة خاطفة حتى يكون المزين قد قطع الحشفة من ذكر الطفل ثم يلفه بقـطعة معقمـة من القماش في حـين أخذ الـطفل بـالصراخ وهو يـرى الدم . ويخفف عليـه هو وأبـوه هـذا الحادث ويشغلونه بالهدايا . ويحملونه الى أمه وأهله فتعلو الزغـاريد وتنحـدر بعض قطرات الدمـع من عين الأم فـرحاً بـالحادث السعيـد . ويصنع والـد الطفل وليمة يدعو اليها الأقارب ، ويحاط الطفل بعنـاية ملحـوظة خشيـة ان يمس ذكره بأذى ويمنع الطفل من أن يقترب منه طفل آخر وتحضر له المـلابس

الزاهية وملاعيب الأطفال الأخرى فأن هذا الطفل يكون في حالة نفسية أثر هذه العملية الصغيرة لأدخال السرور الى نفسه ، ويأتي الأقارب يهنئون ذوي الطفل . ولا يرى الصحة والاطمنان عليه إلا بعد أن يبرأ العضو ليأخذ الطفل بالحياة الاعتيادية .

ومن الذين عرفوا بأنهم يختنون الأطفال : عبدالقادر المزين والزعرتي وجاسم الشريدة هذا ما كان في الجيل الذي يسبق هذا العصر ثم أصبح الآباء يأخذون أطفالهم الى المستشفى وعلى يد الطبيب يتم الختان .

تهنئة الخريج من الدراسة

كانت الدراسة في الأيام الخالية يوم كان التعليم ظاهرة جديدة . لقد شهدنا الطفل في عمر السادسة أو السابعة يدخله والده الى الملا ليتعلم القرآن والكتابة ومبادىء الحساب ويضم الأطفال من هذا السن كتّاب صغير يدرسهم فيه معلم الصبيان[1] ، فإذا اكتسب الطفل هذه المبادىء خاصة اذا أختتم (جزء عم) وأقتنع الملا بأنه حفظ القرآن أعلن ذلك لأهله وهذا الاعلان بمثابة الشهادة .

ذاك ما كان يجري أيام زمان أما اليوم فإن الطفل يأتي به والده ليسجله

---

(١) في أثناء ذلك يأخذ الصبيان فترة من الوقت يقدم لهم فيها الملا أكلة من الرطب تسمى «الهيور» كان قد ألزمهم بها. فما أجملها من صورة حين يُرى هذا الطفل وهو ذاهب إلى الملا معه هيوره موضوعاً بصحن ملفوفاً ويجري هذا التعليم بصورته البدائية فيوزع (الملا) الألواح الخشبية أو الحجرية مصنوعة لهذا الغرض لكل واحد لوحاً مصبوغاً بالطين الأبيض أو بالصبغ الأسود فيكتب المعلم على الأول بقلم القصب بالحبر الأسود وبالثاني يكتب بالطباشير ويظل الطفل يردد الحروف أو الكلمات حتى يحفظ الذي أمامه ثم يتجدد العمل بالدرس الجديد وهكذا حتى يحفظ السورة من القرآن وهي (فاتحة القرآن) وبعد شهور يكون الطفل قد أنهى الدراسة الأولية مع صحب له أمام الملا ، عندها يحضر الأب الهدية للملا ويُكسى الطفل بدلة جديدة ويقوم زملاؤه بالأحتفاء به يأخذونه بالأفراح وهو في وسطهم الى أهله بيت والده فيستقبلهم وتستقبلهم أمه بالبهجة والزغاريد فيدخل هو وأصحابه وتوزع عليهم الحلوى والشربات وتنتهي الحفلة أستعداداً لهذا الطفل أن يدخل المدرسة النظامية .

في الروضة أو التمهيدي حتى اذا أنهى الخامسة من عمره ودخل في السادسة كـان أحد الـطلاب المسجلين في الصف الأول الأبتدائي دون أن تجـري أي حفلة من هذا القبيل .

وفي هذه الأعوام وقد تطور الزمن فإن الولد الشاب اذا أكمل دراسته في الكلية والجامعة فإنه مرشح لجائـزة والده أو والـدته أو أخـوته الكبـار التي وعـدوه بها أيـام الدراسـة والولـد في هذه السنـة محتاج الى من يشجعـه ويثير حماسه للفـوز بالنجـاح وتختلف الجوائـز بين أب وأب وعـائلة وكل مـا كانت متزنة تضمن النفع الأدبي والعلمي للولد كـانت أصلح ، وقد يخـطيء بعض الاباء ترك الأمر على طبيعتـه بدون أنضبـاط فيجعل لـولده مـا يتمنى ويطلب فربما ضر بـولده ولم ينفعـه والعقل غـالب والتدبـير واجب والتصرف الحكيم مطلوب من الآباء .

ولـو عنَّ لنا أن نستعـرض أسماء بعض المـلالي الـذين أقـراوا القـرآن ومبـاديء القراءة والكتـابة لـلأطفال في سن التعليم الأولى لـظهرت لنـا هذه القائمة :

١ ــ ملا سليمان الملقب «ابو وجده» وسمي بذلك لأنـه كان يؤكـد على هـذه الكلمة بالأشارة إليها في اللوح في الجـزء مرة أو أكـثر من مرة حتى أطلق عليه بذلك .

٢ ــ ملا عبد العزيز بن عبدالله اللعبون حفيد الشيخ الفاضل حمـد بن محمد بن لعبون المؤرخ والنسابة .

٣ ــ وملا عبد الوهاب الشرهان الملقب «ملا زغير» وكان قاسياً في تعليمه .

٤ ــ والملا مشرف كان يدرس ويقرىء من اجتاز فيحفِّظ ما بعد «جزء عم» .

٥ ـ وابن دايل الملقب بـ «ملا قميص» .

٦ ــ وآخر يلقبون بـ «ملا قطوف» .

٧ ــ وآخر هو ابن فهيد .

٨ ــ سيد يوسف .

٩ ــ الشيـخ ابراهيم الـرماح . . وغـير هؤلاء آخرين إلى عـدد من الملايـات النساء رحمهن الله وأكرمهن .

ثانياً : العادات في الوفيات والأفراح :

الإنسـان يمضي في حياتـه بين الأحـزان والأفراح والحيـاة خلقت هكذا (إن سره زمن سـاءته ازمـان) وحينها تكلمنـا عن المباهـج في حياة الأنسـان نعرج الآن على ما يلقاه في أحزانه وأتراحه وهـذه الأحزان قـد تنتهي بالـوفاة وهي خاتمة المـطاف ، وأهل الـزبير كغـيرهم من الناس لهم عـاداتهم في مثل هذه الحال . فإذا توفي أحدهم بادر أهله وذووه في نشر الخبر بين أهل المدينـة والأقرباء ينعونه باسمه (فلان بن فلان أو فلانة بنت فلان) صغيراً أو كبيـراً حتى ينتشر الخبر . فيما ينشغل أهله بتجهيزه في البيت أو في المسجد فإذا جُهِز كان جمهرة من الناس قد تهيأوا له بالنعش فيحمل على الأكتاف ويحـرص كل من مشى في الجنازة أن يتولى الحمل جزءاً من الوقت كسباً للأجر والجنـازة في الطريق الى المسجد سكوت لا يقطعـه إلا قول أحـدهم للآخـر (سلم الميت يـرحمـك الله) يتنـاولـه قليـلاً ليتسلمـه غـيره بعـده حتى يصلوا الى المسجـد فيضعـونـه في الصف ويتجمـع النـاس تهيؤاً للصـلاة عليـه في حـين يـذهب البعض يتوضأ ثم يتقـدم أمام المسجـد أو أحد أقـرباء هـذا الميت مع تـوخي التقوى في هذا المتقدم للأمامة .

والصلاة على الجنـازة شيء مبسوط ومعـروف في كتب الفقه فـإذا سلم الإمـام تولى حمله الـرجال حتى يخـرجوا بـه من باب المسجـد ثم يستمر حمله المشيعون على الأكتاف إلى المقبرة وهناك يودع مثواه الأخير ويحـرص الآخرون أن يشاركوا في هذا الدفن ولو بحفنة من تراب . وأن كان المتـوفى امرأة تـولى انزالها الى القبر ذوو رحمها . بعدها يرشح القبر بالماء بكثافة وتقرأ الفاتحة عـلى روحه ويطلب له الغفران ثم يقف آل الميت وأقرباؤه في صف ليعزيهم الناس واحداً واحداً بالمصافحة أو بالعناق يقول أحدهم (عظم الله أجـرك وأحسن عزاك) فيجيبه هذا قائلاً : (أجرنا وأجرك)[1] أو يقول المعزي (أحسن الله عزاك وغفر لميتك) فيجيبه صـاحب الميت (لا أراك الله السوء) وقـد يعزي

---

(١) أي عظم أجرنا وأجرك .

آخر بعبارة تدل على المشاركة والدعاء للميت فيجيبه بما ينم عن الشكر والدعاء بالسلامة ثم ينصرفون . وهنا يبدأ هؤلاء المفجوعون يعزي بعضهم بعضاً وربما بكى هذا وبكى ذاك، ثم يعطون حفار القبر أجرته بسماح ثم ينصرفون .

ولا يجري في العادة بعد الدفن تلقين الميت ولا إلقاء أي عبارات بل يخيم السكون على الجو ثم ينطلقون . فإذا وصلوا الى البيت عزوا النساء لأن النساء لا تتبع الجنازة ووزعوا شيئا من الصدقات على الفقراء وفتحوا الديوان على مصراعيه لإستقبال المعزين الذين قد وصلهم الخبر بعد التشييع بسلِّم ثم يصافح أهل الميت بعبارة (عظم الله أجرك وأحسن عزاك) ويجيبه بمثل العبارة التي كانت تقال في المقبرة ، وتقدم القهوة وقد تتبادل بعض العبارات المناسبة في سياق التعزية وذكر خلال الميت ومحامده وأعماله ويتحاشى عن ذكر المساوىء والأخطاء عملاً بحديث رسول الله ﷺ : « أذكروا محاسن موتاكم » . ثم يغادر المعزي المجلس بعد أعادة المصافحة لأهل الميت أو بدونها فيشكرونه ويسألون الله له السلامة وأن لا يفجعه بفقد عزيز. ويجلس أهل الديوان ثلاثة أيام ولا عزاء بعد ثلاث .

وتختلف التعازي ومجالس التعزية من بلد الى بلد ففي الكويت يقضي المريض أيامه في المستشفى للعلاج والتداوي فإذا قضى الله فيه أمره يسارع ذووه في أعلان الخبر عن طريق الراديو والتليفزيون بذكر الاسم الثلاثي كاملاً مع اللقب وموعد التشييع ومجلس الفاتحة وموعده ومكانه ، فيغسل الميت ويتنادى الناس بالحضور في الساعة المعينة في المقبرة ويصلى عليه ثم التشييع إلى القبر محمولاً على الأكتاف وتجري مراسيم الدفن كما تجري في أي بلد أسلامي وبالصورة التي مر ذكرها[١] . وتجري التعازي ايضا في المقبرة ثم

---

(١) يودَع جثمان الميت محمولاً على النعش مغطى بعباءته أو بمحرم من القطن أو الكتان بصورة بسيطة غير موضوع في صندوق وكذلك قبره لا يبنى عليه ولا يعلم إلا بشيء بسيط وهذا طبقاً للسنة « وخير القبور الدوارس » .

في مجلس عميد العائلة لمدة ثلاثة أيام كذلك تقدم القهوة والماء ويستقبل المعزون ويشيعون بالشكر والاحترام والدعاء لهم أن لا يصابوا بمكروه . وقد تجري التعازي عن طريق البريد والتليفون اذا كان المعزي في بلد آخر أو يأتي شخصياً لحضور التشييع أو لمجلس التعزية . وقد يرد أولو الميت بالشكر على صفحات الجرائد ، ويعمل أقرباء المفجوعين الغداء لأهل الميت أو يقوم بذلك الجار يقول: يجيكم عشاكم أو يجيكم غداكم لا تطبخون ثلاثة أيام وهذه سنة نبوية يوم دعا الرسول ﷺ بصنع الطعام لآل جعفر . لأنهم مفجوعون . وقد تجري قراءة القرآن وتسمي (الختمة) ثواباً للميت. وقد يقوم آل الميت بتوزيع شيء من الصدقات على الفقراء في ذلك اليوم كالحنطة أو الرز غير مطبوخ تسمى وحاشة .

أما في السعودية فالمراسيم تجري أعتيادياً تماماً كما في الزبير والكويت من حيث التشييع والدفن والتعزية ، وفي مجلس التعزية تقال العبارات التي تقال في مثلها عند أهل الزبير وأهل الكويت ويقدم صاحب المجلس الماء والقهوة والعزاء ثلاثة أيام ويشيعهم بالتكريم والأحترام في حين يقدم المعزي الدعاء للميت بالرحمة والرضوان ولأهله الصبر والسلوان وكذلك الأمر في أمارات الخليج العربي بمثل ما مر إلا بفروقات طفيفة .

ثالثاً : العادات في المروءات والبر والمبرات

١ ـ كان أهل الزبير كالعائلة الواحدة يتواصون بالبر والمعروف فإذا كان لأحدهم المزرعة في البرجسية أو القريطية مثلاً تنتج البطيخ والرقي والبصل والطماطا والقرع فإنه ولأول الانتاج يسارع فيقدم لجاره من هذا الخير . وقد يتفق هذا الثاني أن تكون له قطعة من النخل في احدى قرى البصرة فهو بالمقابل لأول ما يحل موسم الأرطاب تراه يخصص لجاره او لجيرانه يومياً بالقفف والركوك[1] يحملها الحّمار ليوزعها على أصحابها من الجيران وقد يكون مع الأرطاب هذه بعض الثمار كالرمان والنارنج ويسمى في ذلك الجيل (الدمبلان) وقد يصحبه أيضا الخيار تماما كما كان يفعل ذلك الزاروع صاحب البطيخ مع جيرانه ولذلك فيندر أن ترى الحمولة في الزبير تشتري حاجتها من الأرطاب والتمر والبطيخ والبصل من السوق ثم تتابعت الأعوام فقل هذا العطاء . وتصنع العائلة مرقها فيقول رب البيت لأهله زيدي من مائه لنطعم منه جارنا فله علينا حق .

٢ ـ كان صاحب البيت اذا ذبح ذبيحته لسبب ما قام بتوزيعها الى ثلاثة أقسام . كانوا يقولون (ثلث للجار وثلث للمار وثلث للدار) فأول ما يُبدأ بالجار أما المار فهو نادر الوجود فيذهب ثلثه للجار كذلك . والجار على ثلاثة أنواع الجار ذو القربى والجار الجنب والجار الأبعد والواقع ان الذبيحة توزع كلها فلا يبقى إلا طعام يوم واحد لصاحب الدار . كنا نشهد هذه المواقف اعتيادياً . وكانت مناسبات النحر كثيرة منها لدفع البلاء لمريض أبلّ من مرضه أو لقدوم مولود جديد أو لقدومٍ من حج أو من سفر أو أيفاءاً لنذر أو ذبيحة لدخول بيت جديد وغيرها وكانت هذه الهدايا تتبادل بين الجيران في المحلة الواحدة .

---

(١) الرك : إناء يصنعه الفلاح من عيدان سعف النخيل (الجريد) منه الصغير والكبير ينقل فيه الرطب والبطيخ والطماطم .

٣ ـ كانت الزكوات والصدقات تخرج من البيت الواحد الى الفقراء والمحتاجين فتخرج الأولى علناً وتخرج الثانية سراً . نكاد نجزم أن مجتمعاً هذه عاداته لهو مجتمع مثالي وكان هذا موجوداً في الزبير .

وكان ذلك موجوداً بتمامه فيما مر من الفترة الأولى والثانية في الكويت وعند أهل نجد مما هو موفور وجوده كل حسب أقليمه . وقد يكون السمك بعض هذا الموجود بطبيعة الساحل البحري وفي الأمثال يقال (الجود من الماجود) .

٤ ـ قد تكون بين سطح الدار والدار الأخرى فتحة صغيرة تسمى (النقبة)[1] ، فإذا عرضت الحاجة من ربة البيت الى جارتها جاءت الى الفتحة وضربت الباب الصغير وتنادى جارتها فتحضر فتقول بحاجتها . وما حاجتها ؟ بصلة أو قطعة من الحامض (تمر هند) أو قطعة من السمن أو اللحم المقدد أو الطري ، أو قد تطلب أناءاً قدراً أو صحناً أو ما شابه ذلك فتحضره لها أو تعتذر عن بعض ما لم يكن موجوداً . وكانت هذه النقبة فوق السطح مدعاةً لأن تجتمع ربة البيت بجارتها أو أخوات جارتها وقد تجتمع أكثر من جارة وخاصة في ليالي الصيف فيتسامرن بتلك البساطة على طبيعة الحال ، وذلك اذا كان رب البيت قد خرج لحاجة ما فإذا طرق الباب تفرقت النسوة وغلق باب النقبة . تلك كانت حال الجارة مع جارتها قبل الراديو والتلفزيون والسيارة والتلفون وقبل طغيان الطلعات والحفلات .

٥ ـ لقد يكاد ذلك المعروف يبلغ مداه بعض الأحيان ليتحول إلى نوادر . يتفق أن يكون صاحب الدار غائباً في سفر أو في الغوص والغائبون كثيرون فتخلو بيوت من أصحابها ولا يبقى إلا النساء والأطفال فيتبرع أحد الرجال المسنين أن يمر بباب هذا البيت أو ذاك فتعطيه ربة الدار قدراً من

---

(١) النقبة : فتحة في سطح الدار بين الجارة وجارتها ولها باب ذو مغلاقين تدعو الجارة جارتها وقت الحاجة لطلب شيء ما .

الفلوس ليشتري لها حاجتها من اللحم أو العيش وتعطيه (الزبيل) معلماً بقطعة قماش ملونة ويمر كذلك على بعض البيوت فيشتري حاجات كل بيت قد شكها على ذراعيه فيوزعها كل بيت وزبيله ، يقوم بذلك كما يقوم غيره وفاءًا للجيرة والمعروف لا يبتغي من ذلك إلا خدمة الجار ورضى الله .

٦ ـ ويتفق أن تمطر السماء مطراً مدراراً فيحار الماء في البيت أو في السطح فينسد طريق الخروج فترى بعض العاملين قد وضع كيساً (خيشة) على رأسه بشكل يقيه من رشاش المطر وقد حزم وسطه وحمل فأسه أو مسحاته فهو يمر على البيوت يسألهم (السيل ماشي عندكم ـ أو مرزامكم يعبر. . ؟) فإذا كانت هناك حاجة فتح له الباب وعالج طريق السيل حتى يخرج الماء أو ينزاح من السطح وقد يكون رب البيت شيخاً أو عاجزاً ، كل هذا يجري مروءة وخدمة بالمعروف .

٧ ـ اللقطة أن يضيع أحدهم قطعة ذهبية أو غيرها فيلتقطها آخر فيحتفظ بها حتى يستمع منادياً ينادي بها معطياً أوصافها ومسمياً حفاظة لها[١] فإذا وجد الوصف ينطبق عليها سلمها له دون أن يفكر في طمسها ولا يأخذ أجرة ، فإذا لم يسمع هذا المنادي بعد ثلاثة أيام قام هو ينادي بها فإن وجد صاحبها بأوصافها سلمها له وإلا سلمها الى مختار المحلة دون أن تحدثه نفسه بطمسها . وفي بعض الأحيان تضيع السخلة (العنزة) من الراعي فيحتفظ بها يطعمها ويسقيها حتى يسمع منادياً لها فيسلمها له .

٨ ـ أودع أحدهم مبلغ ثلاثة آلاف دينار عند أحد التجار من غير أن يأخذ بها أيصالاً ثم أن هذا المودع قد توفى بعد سنين ولم يكن قد سجلها عنده في مذكراته كما لم يخبر أهله ولا أحداً من الناس .

---

(١) الحفاظة هي الاجرة . والعبارة التي ينادي بها قائلا يا من حفظ الذاهبة عقل الله عليه . وإذا كان العكس يقول الذي عنده شيء يامن ضايع له الذاهبة . ومن الواقع العجيب أن لا ترى واحداً من الطرفين من يأخذ هذه الأجرة (الحفاظة) .

وفي يوم من الأيام أخبرني الحاج ابراهيم بن عبدالرحمن الشهوان قائلاً إن فلاناً له عندك حاجة وهو يريد أن يراك بالضرورة والموعد عندي في الدكان فأضرب لي موعداً تحضر فيه . وتحدد الموعد فألتقينا وإذا هو راشد احمد البابطين وكنت أعرفه جيداً فقال أن المرحوم داود سليمان العنيزي المحامي قد أودع عندي ثلاثة آلاف دينار وأنت من أقرباء المتوفي وأريد أن ابريء ذمتي من هذه الآمانة . أرجو أن اسلمها الى ورثته بحضورك بوصفك خالهم فشكرت له هذه المكرمة . ثم أنني ضربت موعداً مع ورثة المتوفي ، وحضر التاجر راشد البابطين وبعد التعزية لهم قال أن المرحوم قد أودع عندي ثلاثة آلاف دينار يقول : أبقيها عندك ذخراً لعيالي وهذا خالكم عبدالعزيز عمر العلي يشهد على تسليمي الأمانة لكم فأخرجها وعدها لهم كما هي بالكمال والتمام . وأعطوه بها وصلاً وشهدتُ له فيه وأكبرنا له أمانته . بارك الله فيه وفي أمثاله .

٩ ـ ذكر في الأندية الزبيرية أن البلدة تحتاج الى مستشفى للحالات الطارئة وخاصة الولادة لبعد الزبير عن البصرة (ولو لبضعة عشر من الكيلومترات) فقد يكون الوقت ليلاً فتعوز صاحب الحاجة سيارة للذهاب الى البصرة فلا يجدها . فنهد المحسن محمد سليمان العقيل فبنى مستشفى في الزبير يقوم بالحاجة وجعله مستشفى مستكملا لوزامه ثم قدمه هدية الى مديرية صحة محافظة البصرة ، وفعلاً فقد سد الحاجة كما جدد الحاج العقيل بناء مسجد ديم خزام . جزاه الله والمحسنين أجراً عظيماً .

وفيما نحن بهذا الصدد فأن العقيل رحمه الله كان قد سور مقبرة الزبير وجعل لها بوابة حصينة تتسع لدخول السيارات حفظاً لها من الحيوانات السائبة . كما أنه رأى حاجة الناس في منطقة (القريطية) الى بئر يستقي منها عرب البادية والصادر والوارد من المزارعين بين المنطقة وبلدة الزبير فحفر بئراً

ولحسن الحظ كان ماؤها عداً لا ينضب وعذباً[١] .

١٠ - وفي أوائل هذا القرن أنبثقت لجنة من أهل الزبير يتحسسون عيناً منهم يرجعون اليه في بعض الأمور الهامة ذات المصالح العامة فوجدوه في شخص عبداللطيف باشا المنديل[٢] .

ظهرت الحاجة لبناء مدرسة أهلية تضم شتات أولادهم وكانت الحكومة أول قيامها للدولة ضعيفة الحال فتنادي أهل الفضل والمروءة ببناء المدرسة وكان الداعي الأول لها هو الشيخ محمد امين الشنقيطي وكان من المتبرعين بالأرض المحسنة منيرة العبداللطيف العون[٣] ، وتبرع آخرون بعينيات[٤] مختلفة وكان الشيخ محمد الشنقيطي هو الذي شد الرحال لجمع التبرعات من بعض بلدان الخليج ومن الهند ، وكان في عداد القائمين بالعمل الشيخ عذبي الصباح وشيخ احمد وعبدالرحمن آل ابراهيم[٥] وبلغت هذه التحركات الخيرة أن يتبرع أحدهم بباب المدرسة الضخم[٦] ويتبرع بحمله من مكانه الأول الى مكانه الثاني آخر[٧] وتبلغ عاطفة التبرع بالمدرسين أنفسهم أن قبلوا بالرواتب الرمزية طيلة أيام حياتهم التعليمية بدأ

---

(١) كان يمكن أن تذكر هذه المناقب في سياق ترجمة العقيل ولكننا أوردناها هنا بمناسبة باب المبرات والمروءات .

(٢) كان وزيرا للأقاف والتجارة في أول وزارة تكونت عند تأسيس الدولة العراقية سنة ١٩٢٣م .

(٣) شقيقة خالد باشا العون .

(٤) تبرع احمد بن راشد الشايجي بصنع رحلات الدراسة ولوازم آخرى نجارية وكان نجاراً صنعها بيده هو وولده .

(٥) هم آل ابراهيم الذين يطلق عليهم لقب آل ابراهيم الدورة وكانت تجمع التبرعات عنده من تجار الهند العرب والخليج العربي وترسل الى الشيخ عذبي الصباح بالزبير .

(٦) أن باب المدرسة الضخم كان قائما على قصر خالد باشا العون في الشعيبة ثم تبرع به أولاده بدر وبندر للمدرسة المذكورة وقد كان هذا الباب مهدي من شيخ مبارك الصباح شيخ الكويت إلى شيخ خالد باشا العون شيخ الزبير .

(٧) أن الذي تبرع بنقله من قصر خالد العون بالشعيبة الى الزبير هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن التركي حمله على ظهره ابلاغاً للأجر وإيفاءً بالمعروف .

من مدير المدرسة الى المعلمين[١] من سنة التأسيس ١٣٤١ حتى ١٣٩٥ هـ كانت المدرسة رغم الصعوبات تؤدي واجبها العلمي في التربية والتعليم . تلك هي مدرسة النجاة الأهلية .

١١ ، ١٢ ـ وظهرت الحاجة في الجيل الذي سبق جيلنا أن أنكسر سد الدريهمية[٢] وأصلاحه يكلف كثيراً ، والى أن تتم التبرعات وربما لا تفي بالغرض فيحتاج الأمر الى وقت والحاجة الى إصلاح السد ماسة فما كان من الحاج فوزان الدليجان سنة ١٢٢١ هـ ألا أن يقوم بالمهمة فباع ملكاً له من النخيل فأصلح من ثمنه سور ألدريهمية ثم حفر بئراً في الحصي تشرب منها الحيوانات وعقده بالطابوق ثم بني أخرى في ديم خزام لنفس الغرض وبنى مسجدا في ديم خزام وحفر بئرين أضافيين في نقرة ديم خزام وسبلهما[٣] . وفي الكويت وفي المملكة العربية السعودية فأن كثيراً من المساجد لا تبنيها الحكومة بل يقوم بذلك أهل البلد نفسه لا قصوراً في مالية الدولة ولكن الدولة تحب أن ترى من أبناء شعبها من يقوم بهذه المبرات وفي الزبير بنيت

---

(١) لقد تبرع الأفاضل في تدريسهم بمدرسة النجاة الأهلية في الزبير بالراتب الرمزي أبتداء من الشيخ محمد امين الشنقيطي (المدير) والشيخ ناصر الأحمد (الوكيل) وولده الشيخ احمد والشيخ احمد الخميس (الكويتي) والشيخ جاسم العقرب وولده الشيخ عبدالرحمن والشيخ محمد الشهوان والشيخ احمد عبدالله العرفج والشيخ عبد المحسن البابطين والشيخ يوسف محمد الجامع الشيخ مشعان المنصور والشيخ عبدالله السند والشيخ عبدالله محمد الشارخ والشيخ عيسى الشرهان والشيخ عبد الرزاق الدايل والشيخ عبدالوهاب الصانع وهؤلاء كلهم في ذمة الخلود رحمهم الله وأسكنهم الجنة .
كما أن هناك المشايخ الذين وقفوا معهم جنباً إلى جنب ورضوا بالراتب الرمزي أمثال الشيخ عبدالله المزين والشيخ عبدالمحسن الشقير والشيخ سليمان العبدالكريم وأخوه محمد العبدالكريم والشيخ ابراهيم ناصر الأحمد والشيخ علي ناصر الصانع والشيخ يوسف عيسى الصانع والشيخ احمد بن الشيخ جاسم العقرب والشيخ ابراهيم محمد المبيض والشيخ عثمان الدليجان والشيخ يوسف عبدالله الحميدان والشيخ يعقوب العقيلي وكلهم أحياء أمد الله في أعمارهم وجزاهم خيراً

(٢) مجموعة آبار (أحساء) في منخفض جنوبي بلدة الزبير بخمسة كيلومترات يصب فيه شعيب سمي بأسمها (شعيب الدريهمية) يشرب منها الناس عامة .

(٣) وتفصيل هذه التبرعات سترد في ترجمته .

مساجد كثيرة بناها المحسنون كالقرطاس والإبراهيم والزهير والرميح والمشري وآل عبدالكريم والبسام والخضيري والذكير كما بنى السيد محمد سعيد النقيب مسجداً في الكوت والشيخ ابراهيم المزعل السعدون بني مسجداً عند مدخل بلدة الزبير وبنى الصبيح مسجد الرشيدية .

١٣ ـ ومن قبل هذا وذاك بُني مسجد النجادة قام ببنائه أهل الزبير في أول تأسيس البلدة وذلك سنة ١٠٠٦ هـ كما كان تأسيس مسجد الزبير سنة ٩٧٩ هـ ثم قام المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت الأسبق بنقض مسجد النجادة من الأساس ثم تجديده بناءًا حديثاً متيناً بعد أن ضمت إليه أرض مجاورة وقام بالإشراف الشيخ سالم صباح المحمد الصباح .

١٤ ـ وحينما رأى أحد مشايخ العلم في الزبير أن البلد يحتاج الى مدرسة دينية تضم الطلاب ومحبي الدراسات العلمية دعا بمن يتبرع بهذا البناء فما كان من أحد أبناء الزبير المتحمسين إلا أن تبرع بكلفة البناء وهو شيخ دويحس الشماس [1] وذلك سنة ١١٨٠ هـ فبنيت ودخل الطلاب في سلكها وظلت المدرسة تؤدي رسالتها وخرجت طلاب العلم وقبل في صفوفها طلبة من أماكن شتى حتى سنة ١٩٦٧ م .

١٥ ـ وهذه مبرة ومروءة تحكى وتذكر في هذا الزمان وقعت سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦ م يحكيها يوسف بن الشيخ محمد الجامع يقول : توفى والدي وبعد أيام جاءنا عبدالجبار محمد الجديمي يعزينا وقال لم أكن حاضراً يوم توفى والدكم وكان صديقا حميماً لوالدنا ونحن نعرف ذلك وبعد أن ترحم قال هل في أوراق المرحوم ما يذكر أنه يطلب أحداً أو يطلبه أحد فقلنا له لا لم نجد شيئا في هذا الموضوع فقال بل أنا عندي له أمانة خمسمائة روبية أودعنيها وقال هذه احفظها لي عندك ذخراً حتى أطلبها فأخرج صرة وقال عدّوها فإذا هي كما ذكر وشكرناه ودعونا له بطول العمر فقال أحدنا أنعطيك

---

(١) الحديث عن مدرسة الدويحس ورد مفصلا في الجزء الثالث من هذا التاريخ .

بها وصلاً فقال لم يأخذ مني ورقة بهذا فكيف آخذ منكم . والأمانة لا تقتضي الوصولات وإنما هي أمانة في النفوس .

هذه مبرة ومكرمة ليست غريبة على ذوي الشهامة والأمانة أن يحتفظ بالوديعة ليردّها إلى أهلها كما وقعت عند هذا الرجل الكريم .

تعقيبنا :

هذه الواقعة كانت في سنة ١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م واذا علمنا أن الخمسمائة روبية يومها كانت شيئاً كبيراً في الميزان التجاري في ذلك التاريخ يتضح لنا كم هي في قيمتها المادية والمعنوية وبعدئذ كم هي تلك النفس كبيرة في ذاتها فلم تطمع بمبلغ وقع في يدها ليس فيه أثبات ولا شهود . تلك كانت أخلاق وأمانة أهل ذلك الزمان . ويـاما خلق الله في الغابر ويخلق في الحاضر .

رطب جنى ولحم شهي وخبز طري
قامت بها بيوت من أهل الزبير قربة لوجه الله
حتى ضرب بهم المثل

رطب السميط :

من الطرائف التي هي من صميم البر والكرم والمروءة ومما هو نادر المثال بأن تقوم هذه العائلة (السميط) أيام موسم الرطب في الصيف وهم أصحاب نخيل[١] . يضرب الحمّار الباب كل صباح لينزل ركين مناني[٢] من

(١) السميط يملكون مقاطعة من النخيل في المناوي تسمى (الاشمونية) .
(٢) المناني : منسوب الى المن . والمن يزن (٧٥) كيلوغرام .

رطب الحلاوي أو الساير أو الشكر أو غيرها ، فتستلمها ربة البيت وتكشف أحد الركين عن رطب جنى فتأخذ منه قدر سلة متوسطة الحجم للبيت وتدع الباقي، ليفرشوا له حصراً أو بارية في الدهليز ويفرغا وتترك الباب مفتوحاً ، وقد اعتاد المتلهفون ذلك فيأتي الطفل أو المرأة الفقيرة من أهل المحلة أو غيرها تحمل طبقها أو ماعونها فتملاؤه من ذلك الرطب وتمشي وهكذا حتى تفرغ تلك الحصر من رطبها . وهذه العادة جارية يومياً في موسم الصيف مادامت الثمرة قائمة من كل سنة .

جدر الصحن :

أما جدر الصحن فهو موسوم لهذه العائلة التي آلت على نفسها أن تهيء قِدراً كبيراً يتسع لكمية من اللحم الطازج (لحم الغنم أو لحم البعير أو لحم البقر) تطبخه ربة البيت مع ما يلزم من الخضرة بالماء والملح والبهارات ليكون مرقاً ناضجاً جاهزاً للأئتدام به ويحمل هذا القدر الى الدهليز ويترك الباب مفتوحاً ويكشف الغطاء ليعلن عن رائحته الشهية للآكلين وهو معد لكل قادم معه رغيف خبز أو أرغفته مثرودة أو غير مثرودة واناؤه معه فيغرف له الموكل بالمرق واللحم .

وهكذا تقدم ربة البيت هذا الأدام لوجه الله تعالى كل يوم حتى عُرف بجدر الصحن جزاهم الله خيراً . . وهم غير الصحن الموجودين الآن .

تنور النصار :

وهذا التنور الذي ينسف بالخبز الحار كل صباح أو كل ضحى يومياً عرف به هذا البيت . فالتنور يُحمى ليتلقى العجين الذي تأتي به صاحبته ليخبز . فقد يتفق أن هذه العجوز ليس معها في بيتها إلا أبو عيالها ، أو امرأة ليس معها في بيتها إلا طفلها أو أمها العجوز ولا يستدعى أن تحمي تنورها الذي يستهلك الحطب الكثير فتأتي الى تنور بيت النصار الذي يستقبل هذه

الشانوضات[1] وهذه العجوز أو ذلك الرجل الفقير ما هو إلا أن ينتظر قليلاً ليستلم خبزه الحار.

كل ذلك يقوم به أصحاب هذه البيوت لا يبتغون من أحدٍ أجراً « جزى الله المحسنين أجراً عظيماً » .

(١) الشانوضة : هي العجينة المعدة لتخبز في التنور .

رابعاً : النجدة وغياث الملهوف :

إن من يصاب في حالة طارئة يدعو للنجدة والإستجابة لهذه النجدة هي إنسانية محضة . يقول الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم . . في النائبات على ما قال برهاناً .
وقد تأتي النجدة أندفاعة طبيعية يفزع فيها الأنسان لصاحبها طواعية .
وتختلف مواضع النجدة في الحالة الإنسانية فهناك :

نجدة يدعو صاحبها العون من غرق أو حريق أو معتدٍ يعتدى عليه والاستجابة للنجدة تدل على نبل وأخلاق رفيعة لا يفكر المنجد بما يناله من خطر وقد يكون في هذا هلاكه أو ضرره في ناحية ما ومع ذلك فهو لا يفكر بالنتائج وهذه غاية الخلق . . . نذكر من ذلك الواقعة التالية حدثت في الكويت :

١ ـ حادثة من المروءة في الكويت وقعت لعبد المحسن عبد العزيز البابطين كان هذا الرجل واحداً ممن ضرب بهم المثل في النجدة والمروءات. كان في الكويت في أواسط هذا القرن نزح إليها من الزبير.

وجيل الأربعينات والخمسينات وحتى الستينات يذكرون تلك الأيادي بالتقدير لما كان يقدمه للشباب الزبيري النازح إلى الكويت. وكانت ديوانيته في (المرقاب) تعج بهم. كان يساعدهم بالحصول على الدخولية أو الحصول على الإقامة. ويظلون يضيافته إلى أن يحصلوا على العمل في الدولة أو في الشركات. كان ذلك إبّان بزوغ شمس الخير بتفجر النفط وبداية عهد النهضة وأعمال الشركات.

ثم كان لعبد المحسن البابطين الموقف المشرف الذي لا ينسى ويأتي في أوج أعماله عندما تقدم باسم أهل الزبير للمغفور له الشيخ عبدالله السالم

---

(١) تذكر الحادثتان الأولى في الكويت والآخرى في الزبير.

الصباح أيام مطالبة ـ عبد الكريم قاسم سيء الذكر ـ بالكويت وقال: «إننا جميعاً تحت تصرفكم بما تأمرون». كما تقدم أيضاً بالتبرع بسيارات للجيش الكويتي... فكان موقفاً صريحاً حاراً أشعر بالوفاء وروح المواطنة. وكان هذا الحدث في ١٩ حزيران ١٩٦١.. وظلت ذكرى عبد المحسن البابطين عطرة كلما ذكر في المجالس تستمطر الرحمة والرضوان من ذوي النفوس الكبيرة.

٢ ـ مع محمد بن عبد الرحمن الباحسين :

كان لمحمد بن عبد الرحمن أبا حسين معرفة وصداقة مع الشيخ فهد السعدون الملقب بالدواي (أبو عبد الكريم وعبد المحسن[1] السعدون وكان يودع عنده فلوسه أيام لم تكن هناك (بنوك) وكان الشيخ يقيم في ـ علوى ـ القريبة للبصرة من الشمال الغربي مع بعض أتباعه. بينما الحاج محمد بن عبد الرحمن أبا حسين يسكن الزبير وله مجلس يلتقى به فيه العيال من آل أبا حسين. وفي هذه المرة كان الشيخ فهد الدواي قد أودع عند الباحسين مبلغ (٢٠٠٠) ليرة وقد وضعها مع دراهم له في صندوق في بيته ووضع مفتاحه تحت وسادته وقسم الله أن تلصص عليه سارق فسرق المفتاح وسرق المبلغ من الليرات. وجاءت أمه توقظه من منامه على اثر حركة مريبة ففزع وتحسس المفتاح ثم تحسس الصندوق فإذا بالصندوق مفتوح ومسروق ما فيه وشاع الخبر حتى وصل إلى الشيخ فهد أوصله الحاسدون الذين لا يخلو من وجودهم مكان ولا زمان.

وأسرع الشيخ فهد فكتب إلى الباحسين كتاباً يطلب فيه إعادة الأمانة.. فأسقط في يد محمد عبد الرحمن أبا حسين وفزع إلى إنباء عمه يوسف وحمد[2] يخبرهم بكتاب الدواي وكيف الخروج من المصيبة فجمعوا ما عندهم فكان (٨٠٠ ليرة) واستدان (١٢٠٠) ليرة من عبد الهادي الدوسري

---

(١) عبد المحسن السعدون رئيس وزراء العراق في عهد الملك فيصل الأول عام ١٩٣٠.
(٢) هما أبناء عبد المحسن.

(أبـو أحمد) وحمـل نفسه وولـده جاسم وولـد عمه أحمـد الملقب (أبو مخيـور) وذهب إلى الشيـخ الدواي في علوى ووصلوا مغـرب اليوم وحلوا في المضيف وسلموا.

فقال الشيخ فهد: يا محمد حنا احتجنا للمبلغ فلا يـزعجكم الأمر.. فقال محمد: لا يا طويل العمر حنا جئنا بالمبلغ وفتح الخرج وأخرج الأمـانة. فقال الدواي وهو ينظر إلى المبلغ ولم يتسلمه وقد أسف وعجب للأمر وسكت مطرقاً وهو يحوقل ويقول بصوت خفيض ما ذاك الـذي بلغني ثم قال: محمـد سمعنـا أنك (مبيـوق)[1]. فقال: لا يـا طويـل العمر إن البـوقة كـانت على فلوسي فقـال الـدواي: يـا محمـد علمني الصحيـح. قـال: الصحيـح أنها (مبيوقات).

فقـال: من أين حصلت عـلى هــذا المبلغ ؟ قـال: من أولادي وقسم استقرضناه... فتألم الشيخ بينه وبين نفسه ولم يمد يـده إلى المبلغ وقام ومضى الليل.. وفي الصباح قـال الدواي: يـا محمد هـل عندك ملك ؟ قـال: نعم عندي ما هـو أعظم من الملك. فقـال: ما هـو؟ قال: عنـدي الله وأبو عبـد الكريم. فقال: شوف يا محمد خذ هذا المبلغ وارجع فلوس أولادكم وارجع القرض لأهله. واشتري ملك لنا ولك وحول القيمة علينا.

وجاء محمد واشترى (١٨) جريباً من جيد النخل في أبو سلال، وكتب نصفها باسم فهد الدواي ونصفهـا باسم محمـد عبد الـرحمن باحسـين وصار يسدد قيمتها من أثمارها حتى استوفيت.

وبعد ما توفي فهد جاء أولاده وباعوا نصيبهم على السادة القريّـة وهي ماتزال لليوم باسم السيد عبدالله القرية[2].

هذه واقعة تحكى فتستدر الشؤون كل مـا فيها صـدق ومروءة. وينصر الله الصادقين ويثيبهم أجرهم مرتين في الحياة وبعد المات.

---

(١) مسروق.
(٢) روينا هذه الواقعة من الشيخ أحمد الباحسين عن المعاصرين من شيوخ الجيل.

٣ ـ كان ذلك سنة ١٣١٤ هـ وهي سنة (غرقة الرشيدية) وذلك أن هطلت سيول غزيرة في برية الزبير وجرى شعيب سديرة الذي يصب في ديم خزام فإذا امتلأ عبر الى محلة الرشيدية بين البيوت في مجرى يسمى الباطن فيصب في الحصى فإذا أمتلأت نقرة الحصى خرج من شرق البلدة فاتفق أن سقط جدار بيت في مجرى السيل فسد الطريق فعب الماء وطغى فرجع على محلة الرشيدية واقتحمها وكان احد هذه البيوت للشيخ محمد العبدالجبار يجاوره بيت الحاج سعود الديحان (ابو خلف) كانت عتبة داره عالية فلم يقتحمها الماء وعظم الأمر على الشيخ فاولاده غائبون والنساء في الدار مروعات فما كان من (ابو خلف) الا ان اندفع الى داره ورجع يحمل صرر ملابس اهله يسد بها العتبة المهدومة ونجح العمل وتَلَفَت الملابس مع الماء والطين وسلمت دار الشيخ .

وفيما كان (ابو خلف) يغالب الماء قال الشيخ : بملابسْ عيالك أبو خلف !! فيجيبه : ما هِنْ بَعَزّ منّكْ يا شيخْ . .
فأية جيرة واية نجدة تعدل ذلك ! رحم الله (أبا خلف) ورحم الله الجار الشيخ محمد ورحم الله زماناً أنبت مثل هؤلاء الخيرين من الناس .

٤ ـ كان عبدالرحمن بن ابراهيم البعيجان يستعد لحج بيت الله الحرام ولسبب طاريء وجد أن مفتاح شنطته وقع في بئر مهجورة[1] وأعتزم أن ينزل فوقف في وجهه ولده ابراهيم تخوفاً من هذه العملية . ثم أن عبدالرحمن تغفل ولده فنزل البئر ولكنه لم يخرج فضج من في الدار : « أن والدنا انصرع » . وأعجل ولده ابراهيم ونزل وراءه ولكنه هو الآخر قد صُرِع أيضا وكثر الضجيج وبلغت الصيحات من في الخارج . وفيما هم كذلك إذ مر ابراهيم العبدالمغني فما أن عرف بالأمر حتى خرط نفسه في البئر لعله يدرك عبدالرحمن أو ولده ابراهيم ، ولكن ما أن وطأت قدماه قاع البئر حتى ثارت

(١) يعبر عنها بأن البئر أو البالوعات صارية أو مصروعة حين ينتشر فيها غاز الميثان جراء الترك والهجر وعدم الأستعمال وهذا الغاز سام قاتل وعلاجه أن يُلقى في البالوعة وهج من نار ليشتعل ويخلو جو البالوعة منه .

روائحها فصرع هو الثالث وعلت الصيحات والأستغاثات حتى كان عبدالله فوزان الحميان يندفع من خارج فيوآلي على نفسه أن يحرز النصر ، وكاد أن يدركه الصرع ولكن عبدالله المحارب هو الآخر يسرع وينزل فيحالفه الحظ وأستطاع أن ينقذ عبدالله الحميان قبل أن يموت . وانتهت المأساة عن ثلاثة شهداء ثم تدارك الناس الأمر وعالجوا الخطر وأخرج الثلاثة وشيعوا إلى مثواهم الأخير .

ذلك كله يأتي في نطاق النجدة التي تهيب بالرجل الى هذا الأندفاع دون الأنتظار أو التفكير في العواقب.

٥ ــ مر السقاء على حماره في أحد طرق الزبير فلمح حزاماً منتفخاً فنزل وحمله وتحسسه فإذا فيه نقود لها صوت الذهب وفي جيب آخر عملات ورقية وفي طريقه الى البيت ظل يفكر ـ مسكين صاحب هذا الهميان[١] !! كيف أضاعه ؟ وكيف الوصول اليه ؟ ثم ظل يسائل نفسه وهو في عالم آخر حتى دلته رجلاه الى أمام المسجد قال يا شيخ وجدت هميانا في الطريق فيه فلوس كثيرة وهن أمانة الله وأمانتك وأنصرف. كان السقاء مزيد الجيعان وأمام المسجد هو الشيخ محمد العوجان .

أما صاحب الهميان فإنه تاجر قدم من سوق الشيوخ وكان قد قبض قيمة أغنام له ولجماعة معه ، قبضها من تجار في الزبير . صلى في المسجد ولما خرج لم يكن الهميان قد أوثق حزمه على بطنه ونظراً لمشغولية ذهنهفإن الهميان أنحل ولم يشعر ثم أنه أمتدت يده الى بطنه واذا يده والخلا[٢] . فجن جنونه وظلت يداه لمرات عديدة ترتفع وتنخفض مابين بطنه وجيبه بحثاً عن الهميان ورجع الى المسجد وظل يذرع الطريق الذي سار فيه وفي مساء اليوم نفسه هداه تفكيره أن يراجع أمام مسجد المحلة ويقص عليه قصته وهو يقطع

---

(١) الهميان حزام من الجلد فيه جيوب يحفظ فيه المسافر دراهمه .
(٢) تعبير وكناية عن عدم وجود شيء بيده .

أنفاسه فطمأنه الأمام وقال : إن ضالتك موجودة وأنتظر قليلاً وخذ راحتك من حينها أرسل الأمام على الرجل في بيته فجاء ، فقال الإمام : هذا هو الأمين الذي وجد ضالتك كم تعطيه ؟ قال : أين الهميان وسأعطيه ما يشاء ، ثم أخرج الإمام الهميان وقال : أهذا هو ؟ قال : نعم . قال : كم فيه ؟ قال : خمسمائة ليرة ذهب غازي والف شامي[1] ، ولم يكن الإمام ولا السقا قد حسبا ما فيه فنكثه الأمام على البساط وأحصاه فوجده كما قال . فقال خذه ويبارك الله لك فبهت التاجر غير مصدق ، قال : لا أخذه حتى يأخذ هذا الرجل ما يشاء . فقال السقاء : لا آخذ شيئا وأجري على الله . فقال الإمام : خذ حلالك وأنصرف يا ولدي .

٦ ـ كان الحاج عبدالله الفارس وهو من الحصانة[2] المعروفين يجلس في المقهى عصر يوم وإذا ساعي البريد يسلمه برقية وفتحها فإذا هي من بومبي من أخيه حجي موسى الفارس (والد الأستاذ حمد المحامي) وإذا فيها أشعار بحوالة لشخص من رجال الأعمال معروف كان قد أقترضها الحالج موسى من هذا الشخص في بومبي على معاملات في سوق الخيل وأعطاه بها حوالة على أخيه في الزبير وقدرها ألف ليرة ذهباً تدفع بالشوف[3] .

وظل عبدالله الفارس يراجع البرقية غير مصدق لهذه المفاجأة حتى ظل يردد كلمات بينه وبين نفسه . . ما هذه منك يا موسى . . . لو وردت حوالة الرجل من الغد فمن أين أدبرها . . ؟ نقدي ما عندي ما يكفي ولو أريد أبيع شيئا فما هو تحت يدي فربما ما حصل المشتري . . ! ما هذه الورطة التي ورطتني فيها وأنا أخوك . . يا موسى . . !!

---

(١) الليرة التركية تسمى غازي عبد الحميد. وهناك ليرة انكليزية والتركية أغلى. أما الشامي فمن الفضة.

(٢) الذين يعملون ويتاجرون بالخيل مع الهند .

(٣) تعبير عند التجار من أن الحوالة تدفع حالاً وقت الطلب .

كان كل ذلك يجري دون أن يشعر . . وأتفق أن كان يجلس قريباً منه الحاج ابراهيم الحميم وكان أحد ملاكي التمور في البصرة ويسمع ما تردد على لسان (الفارس) دون علم منه . ثم ما كان من الفارس إلا أن ترك مكانه من المقهى وأخذ طريقه الى بيته فقام على الاثر (الحميم) وظل يمشي وراءه على البعد دون علم منه ولما دخل الفارس ديوانه واذا بطارق للباب ففتحه واذا هو (الحميم) وهو يقول : أنا ضيفك هذه الليلة . فقال : أهلاً ومرحباً تفضل . . وجلس الفارس الى ضيفه دون أن يشعره بما يدور في نفسه وتعشيا سوية . فقال الحميم : لم يخف على شيء مما يدور في خاطرك مذ فتحت البرقية وأنا أملك ما تحتاج ولا تهتم يا ابو حمد . فقال : وكيف علمت ومن أطلعك على الذي ذكرت ؟ . قال : علمت ودعني الآن أذهب الى البيت وآتي بالمبلغ كله . فشكره وقال : والله هذا أنقاذ نزل على من السماء وأحضر المبلغ من ليلته تهيئاً لصاحب الحوالة . . وكاد الحاج (الحميم) لا يأخذ بالمبلغ وصلاً لولا توقف الحاج (الفارس) عن قبولها .

من الطرائف *

(١)

في سنة ١٩٢٥ م كان سليمان السويح يعلن الى الناس في السوق عصراً كلما دعت المناسبة منادياً :

« مطار باكر الساعة بالوحدة من النهار يسافر من الخوير الى الكويت والنول ثلاث ربيات والعبرى اللي ما معه نول يرجع »[١]

هـذا نص ما يقوله الدلال . وهو يقول بما يعتبر زيادة في القول : والعبري اللي ما معه نول يرجع .

(٢)

دلال بيده ثوب مال (مرة)[٢] . . (طرش) عليه الشيخ ابراهيم شيخ الزبير وقد رأى بيده هذا الثوب[٣] يدلل بـه فقال لـه : « زين ما طاح علينا السما . . تبيع ثوب حرمه تفكه بالسوق وتدلل فيه . . . ! ! » .

هذا أنذار للدلال وقد أعتبر الشيخ هذه بادرة غريبة هي أقرب الى الحرام في بلد محافظ كالزبير .

(*) برواية محمد عبدالرحمن المجبل .

(١) سليمان السويح : أحد الدلالين من أصحاب الصوت الصيت . و (مطار يعني الماطور البخاري . والساعة الواحدة من النهار أي بالتوقيت الغروبي وهو أول الصباح . والخوير وهو اللسان من الخليج أو المجدم الذي يسافر منه من الزبير الى الكويت . والنول تعني الأجرة) .

(٢) أي ثوب إمرأة ٨

(٣) الثوب من الحرير المطرز بالبرسيم ويسمى المسرح أعتادت بعض الحمائل لبسه في العْروس .



مقهى في الزبير سنة ١٩١٥ (مجموعة د. بدر البسام)

براك الهدهود رجل ضرير فقير الحال يمر على بيوت محلته كل صباح يشتري لهم حاجاتهم من اللحم والخضرة وغيرها . فاذا عاد وفي كل زبيل حاجاته وزعها على اصحابها دون أن ينسى حاجة كل بيت ودون أن يعطي زبيل هذا الى ذاك . فسبحان من اذا حرم البصر أنار البصيرة .

وبراك هذا يركب دراجته الهوائية يصاحبه صديق له أعمى على دراجته أيضاً يقصدان القريطية ويصلان سالمين دون أن يحدث لهما عائق ما .

(٣)

أعميان يتوسطهما ضرير إلا من عين واحدة والثلاثة هم : براك المتقدم ذكره وأبو سموم الشايجي وأبو حليوه (حسن الزهير) صاحب العين الواحدة . يركب كلٌّ دراجته ويمسكان بطرفي قائدهم كل من جانب فاذا أرادوا عبر الطريق صاح حسن بشرطي المرور : تراحنّا ثلاث نفرات بعين واحدة عبّرنا . فينظر الشرطي ويضحك ويوقف المرور فيعبرون .

أخلاقيات عامة

فيما يلي نبذ ووقائع في الأخلاقيات التي يتعامل فيها أهل الزبير من المكرمات والعادات الفاضلة . ولكل في هذا الوطن العربي مثيل من هذه الأخلاقيات وربما تواجدت في كل من المملكة العربية السعودية والكويت مع بعض الفروقات في الأسلوب والأداء .

فمن الخلق العام في الزبير الصبر على المصاعب والأنسان لا يجزع عند وقوع المصيبة بل يتقبلها برباطة جأش ويحتسب أمره الى الله وهذه الخلة رضعها منذ الصغر ومن الأجداد ومذ كان هذا النجدي في دياره كانت تنتابه شدائد مرة من مجافاة الطبيعة فيصبر على شدائدها من جوع وعطش ونقلات من أرض الى أرض بحثاً عن مصادر العيش ، الى قلة في المؤونة ومع ذلك فهو قدره الذي لا مفر منه ولما نزح الى الزبير نتيجة هذه المصاعب لزم عليه أيضا أن يعمل مستقبلاً الصعاب والمشاق حتى كون له كياناً ، ظل يوفره على نفسه تحسباً للشدائد .

كان الشباب الصغير في المحلة يكوى ساقه بلفائف يصنعها من الخرق بطول ستة سنتيمرات تقريبا وفي غلظ أصبع اليد ويشعل رأسها حتى تكون جمرة فيضعها على (كرشة الساق) ويمسكها بيده (والعطابة) تتآكل من أعلاها الى أسفل دون أن يتحرك أو يتململ وكلما سرت النار تثبّت صابراً والحرارة تحرق ساقه وتتغلغل في اللفائف من أعلى الى أسفل وغيره أمامه بمثل ذلك وصبره هذا يغري بالصبر ، وكلما قربت النار من لحمه كان أثبت في الرجولة بزعم هذا الطفل ليبلغ الدرجة ، فأن تململ دل ذلك على جزعه وجبنه وينظر هذا الى هذا حتى تنتهي (العطابة) وتكون رماداً ، عندها يضغط على الرماد على الجزء المحروق . وقد كنا صغاراً نفعل ذلك فنرى

اللحم المحترق أبيض كالشحم وقد تهرأ الجلد . فما هذا الفعل . . ؟ يحرق الطفل جسده في سبيل أن يقال أنه شجاع وبطل . أولئك أطفال لا يهتمون بالأذى أكتووا فصبروا ، أن هذا يدل على عزيمة نادرة تنشأ عند هذا الطفل . ولابد أنه رأى مايشبه الأمر عند والده أو أخوته حين كانوا يعودون من القتال وقد دفعوا عن بلادهم وأرضهم الأعداء فتستخرج الرصاصة أو السهام من أجسادهم دون أن يغشى عليهم . وأبعد من ذلك أنهم يعدون أنفسهم لمثل هذا الأمر في الكبر . لا أحسب الكثير من أطفال الدنيا يفعل مثل ذلك .

ويبرأ الجرح فيتنافس هذا الشاب الصغير مع أقرانه حينما يكشفون عن سوقهم (سيقانهم) وأيديهم فيقول هذا : كم داغ عندك ؟ فيقول عندي أربع ديغان على سبيل المثال وهكذا يتفاخرون بالعدد .

وربما تقابل هؤلاء الشباب في الكبر وذكّر بعضهم بعضاً فيما كانوا يؤوذون به أنفسهم فيعجبون ويضحكون ولكن يبقى في النفس شعور هو الأعتزاز والقناعة لما فعلوا .

الذكاء

قيل أن أولاد الزبير في سن الطفولة والدراسة قد وُهِبوا قسطاً من الذكاء . ويعثر على هذه الموهبة حينما يكون هذا الطفل في سن الدراسة الأولية أو المراحل العليا مع غيره في صفه إذا يبرز تفوقه على أقرانه في كثير من فروع الدراسة . هل هذا ناتج عن الأنتباه والتلقي من الأستاذ أم لكثرة الدراسة والمطالعة والمراجهة لمواد الدرس أم لشيء غير هذا وذاك . . !! غير أن النتيجة حاصلة .


براك عبدالمحسن حمد العواني الملقب
في مدينة القاهرة – نعمان أفندي

وقد ينتدر المدرس بطريق شحذ الأذهان

لطلابه هذا الزبيري أو هذا النجدي قد غلبكم وأرتفع إلى المعدل المطلوب فما بالكم . . !! ولقد سمعنا بهذا من الكثيرين في الدراسات الجامعية فما دونها وقد يحصل على الأمتياز ولا نريد أن نطيل فنورد الأمثال سواء التي تمت في بلادنا أو بلاد الغرب .

١ ـ أنتدب الدكتور عبدالرزاق السنهوري المصري فأسندت اليه عمادة كلية الحقوق في بغداد ووضع قانوناً لها . وفي نتائج أمتحان السنة الأولى أقترح أن يرسل سبعة طلاب من المتفوقين في العراق لتكملة دراستهم في جامعة القاهرة فكان منهم ثلاثة من الزبير وهم : عبدالرزاق احمد الحمود وعبدالرحمن ابراهيم البسام وعبدالله محمد الشبل . وفعلاً قد أرسل أثنان وأختار الثالث وهو عبدالله أن يكمل دراسته في بغداد وكانت دراسته على حساب الشرطة حتى تولى مديرية عامة في سلك الشرطة في العراق ، أما الأثنان فقد واصلا تفوقهما حتى أكملا كلية الحقوق في جامعة القاهرة . فرأت الحكومة العراقية أن ترسلهما الى جامعة السربون في باريس للحصول على الدكتوراه . وفي العطلة الصيفية حصلا على دراسة اللغة الفرنسية وواصلا الدراسة في باريس الى أن قامت الحرب العالمية الثانية فأستدعتهم الحكومة ، فالأول وهو البسام ظل مواصلاً الدراسة حتى حصل على الدكتوراه وعاد ليستلم كرسي الأستاذية في الحقوق كدكتور في القانون وأما الثاني وهو الحمود فرجع وأنخرط الى سلك المحاماة وفي انتخابات عام ١٩٤٨ رشح نفسه على المنطقة الثانية وفي ضمنها الزبير فنجح نائباً في البرلمان العراقي .

٢ ـ أختارت الحكومة العراقية سنة ١٩٤١ عند فتح (كلية الملك فيصل) في بغداد الأوائل من كل لواء كنماذج للطلاب المتفوقين فكان الأول والثاني والثالث في العراق من الزبير وهم : محمد ابراهيم الحميدان ودعيج علي الدعيج وأحمد يوسف السميط على مستوى لواء البصرة وقامت الكلية النموذجية تواصل نهجها العلمي ونواتها الأذكياء من كل لواء .

٣ ـ في أواخر الدولة العثمانية (سنة ١٩١١ م) حصل سوء تفاهم بين

الدولة وزعماء من العرب أبرزهم الأمام عبدالعزيز آل سعود سلطان نجد والحجاز ولم تستطع الدولة التغلب على الخلاف فكانت في أمر مربك فرأت أن تستعين ببعض رجالاتها لفض النزاع فكانا السياسيين المرموقين : عبداللطيف المنديل واحمد الصانع وهما من الزبير وسافرا إلى الرياض وتمت المقابلة والمفاوضة ونجحت المهمة وكانت لصالح الطرفين فأنعمت الدولة عليهما بالباشويه .

سر هذا التفوق

ذكرنا فيما تقدم أن هناك بروزاً وقابليات ظهرت في الطالب الزبيري أثناء التحصيل الدراسي ونريد الآن أن نتحرىٰ بعض الأسباب التي حصلت لهذا الشاب سواء كانت الأسباب وراثية أو بيئية أو حالة اقتصادية معينة . ونحن حين نقول ذلك فلا نقصر الحديث على الطالب وتحصيله العلمي بل أن هناك ظواهر أخرى في النشاط الاقتصادي والثقافة المالية والذكاء الاجتماعي . وقد قيل أن الذكاء على ثلاثة أنواع : رياضي وصناعي واجتماعي ولكل من هذه الميزات ظواهر وعلامات ونتائج ، فقد تجد أنساناً متميزاً في العلوم الرياضية ولكنه من الناحية العملية غير موفق ، وقد تجده خاملاً في الأثنين ولكنه متميز في الناحية الأجتماعية ويحوز على مراكز في المجتمع يقصر عنها صاحباه .

والأمثلة التي سقناها للطلاب أو رجالات السياسة والدهاة أنما تأتي في سياق الذكاء الموروث يشارك فيه الى حد ما الذكاء الاجتماعي المكتسب والأمثلة على ذلك كثيرة في العالم وقد نجد في المجتمع الطلابي من يكون متميزاً في الناحية العملية فيخترع بعض الآلات ويستعملها في مجالات شتى بحيث يؤهل مع التدريب الى أن يكون في عداد المخترعين مع شروط توفر التشجيع والتأهيل المسند من الدولة أو المؤسسة أو المعهد العلمي . ونعرف من هذا عدداً في الزبير كما في مدن وأقطار أخرى وكثيراً ما قبرت تلك المواهب الشابة لأنها لم تحصل على أسباب النجاح المشار أليها .

هناك شاب أخترع آلة بسيطة لشق حبة التمرة وأخراج النواة منها بصورة آلية سريعة وعلى النطاق التجاري في مكابس التمور في البصرة . . والذي حدا بهذا الطالب أن يتفتق ذهنه الى هذا الأختراع أنه رأى النساء وهن يشققن التمرة بأسنانهن أو بأيديهن وحولهن أطفالهن في وضع غير مقبول . . . فكيف ننتظر عملاً من أمرأة توزع أهتمامها بين طفلها في حضنها وصندوق التمر بين يديها تودع فيه جهدها وعملها ، وقد جرب الأختراع أمام جمعية التمور في البصرة ولكن لم يؤخذ به . . لماذا ؟ لا نعلم . . !! مع أنهم قالوا أن الأختراع صحيح وكان من الممكن تطويره ليصبح آلياً أنتاجيا . ذلك الشاب هو ناصر سعد الخرجي عام ١٩٤٠ م .

وطالب آخر في الدراسة الثانوية كان كثير الأهتمام في مواد الفيزياء والرياضيات والكيمياء وكان مبرزاً فيها في صفه ، وقد توصل الى جهازٍ مبسط له قوة الأنطلاق في الهواء الى الاعلى مصنوعاً من مواد معدنية خفيفة . ويرتفع الى علو عشرات الأمتار . كما توصل على أثر المعلومات الشائعة بأن الشاي الثقيل يحرق الدم ، فعمد الى كأس زجاحي ملأ نصفه بالهيموجلوبين (شراب مكونات مادة الدم) ثم أكمله بالشاي (الصابغ) وتركه ليلة كاملة وجاءه في الصباح فإذا الكأس نصفه الأعلى ماء صاف ونصفه الآخر سائل أسود اللون فيه بعض الحمرة فأستدل بهذا أن أحدهما أحترق مع الثاني وأرتفع الماء وكان كلاهما باللون الأحمر . هذا الطالب هو نزار عبدالعزيز عمر العلي والطالبان من الزبير من أصل نجدي ونحن لا نقول من قبيل التحيز لهذه البلدة بالذات ولربما هناك الكثير من أمثالهم المغمورين الأذكياء في بلاد أخرى .

ونعود لنقول أن مثل هذه الظواهر أو العينات من الشرائح الأجتماعية هي في باب الذكاء سواء كان رياضياً أو صناعياً وهو وراثي على الأكثر .

وفيما نحن بصدد هذه الظواهر في أبناء هذه البلدة (الزبير) نجد بروزاً آخر في العمل التجاري ، وكانت الطبعة الأكثر بروزاً في البيع والشراء وجمع المال لهذا العمل فقد برز تجار في سن مبكرة وجمعوا مالاً وافراً عن

طريق التجارة بطريق العرض والطلب والفرص المتاحة ، فبنوا العقارات وأشتروا الأملاك من البساتين والنخيل والأراضي حتى مر عهد في أوائل القرن (القرن العشرين) حتى الخمسينات منه أن أصبحت السوق التجارية في العراق يستحوذ عليها تجار من الزبير بنسبة ملحوظة بالقياس الى نفوس الزبير البالغة خمسين الف نسمة تقريباً حسب أحصاء ١٩٦٥ م مقارنة الى نفوس العراق أنذاك .

أن هناك أسباباً أخرى في هذا البروز لعله يرجع بداءة لأيام النزوح من نجد الى الزبير وقد كان محتاجاً بالضرورة لأن يثبت له قدماً في المجتمع البشري الذي يجاوره أعني البصرة ، فلم ينزل في البصرة ذاتها بل أختار بادية الزبير فأختط له فيها مساكنه لأنه لا يريد أن يذوب في مجتمع غير مجتمعه ، واختار الزبير ليأخذ من هذه وتلك وأحتال بطبيعه وضعه أن يكسب من خير المدينة والصحراء وساعدته أخلاقياته كوّنها (ذاتية ومكتسبة) فكانت تلك الشخصية الزبيرية كدح وصبر حتى توفر له شأن ملحوظ . وهو لأجل أن يحافظ على هذا الكيان المادي والروحي . حافظ على كيانه الأخلاقي المستمد من عروبته ودينه .

من أخلاق الفرد الزبيري الصدق والشجاعة والاباء

هناك صفات يرتبط بعضها ببعض فالشجاعة مثلاً يرتبط بها صدق العزيمة، والصدق مرتبط بالإباء وهكذا يرتبط بها الكرم فلا يمكن أن ترى بخيلاً شجاعاً . والا جباناً أبياً، فخلال المكرمات لا يمكن أن تقف معها المساوىء، وكل ما كان الإنسان يحترم نفسه فيحب أن يحترمه الناس ومكارم الأخلاق تلزم الناس أن يحترموا صاحبها وقد كانوا يقولون أن رئيس القوم يجب أن تتصف به خلتان رئيسيتان الكرم والشجاعة، والحق أن هـهذا لا يكفي فالكرم والشجاعة يلحقهما الحلم والصدق والنجدة والوفاء والصبر كلها سلسلة يرتبط بعضها ببعض وحتى الإيمان بالله يرتبط بهذه مجتمعة . فلا يكون المؤمن بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً، والفتى الزبيري قد نشأ في أحضان

الشجاعة والإباء والوفاء والكرم رضعها من الصغر. وفي العصر الذي كان الفداء هو السمة الظاهرة في القوم الذين تجانست أخلاقياتهم حين كانوا حرباً على من عاداهم ويداً على ما سواهم. وكانت الزبير قبل قرن من الزمان إذا دعاهم داعي الحرب ودق الطبل تجدهم اليد الواحدة على من تصدى لأمنهم وحقوقهم ينفحون عن عرضهم وشرفهم لا يحسبون تجاه هذه المعاني حساب دم يراق أو روح تزهق فالمرء يقتل دون عرضه ودمه وماله ووطنه فيعود يتمثل ما تمثل به أخوة من قبل وهو به حقيق.

قوم إذ الشر ابدى ناجذيه لهم   طاروا اليه زرافات ووحدانا(١)

وكان رئيس البلدة إذا أوعز فدق الطبل في الحزم (وهو ملتقى الأسواق) فالجميع ينفرون ويأخذ كل سلاحه ويركب فرسه من غير أن يعلم ماذايراد، بل إنه بعد أن يتجهزوا يتلقون الأوامر العسكرية ويسألون زعيمهم ويستوضحونه وربما حصل تبادل الرأي من ذوي الأحلام ليوحدوا الرأي دون أن يتخلف أحد منهم.

كما أن عدم تقبل دية القتيل عادة شائعة عند أهل الزبير. وهي من أكرم هذه الأخلاقيات.

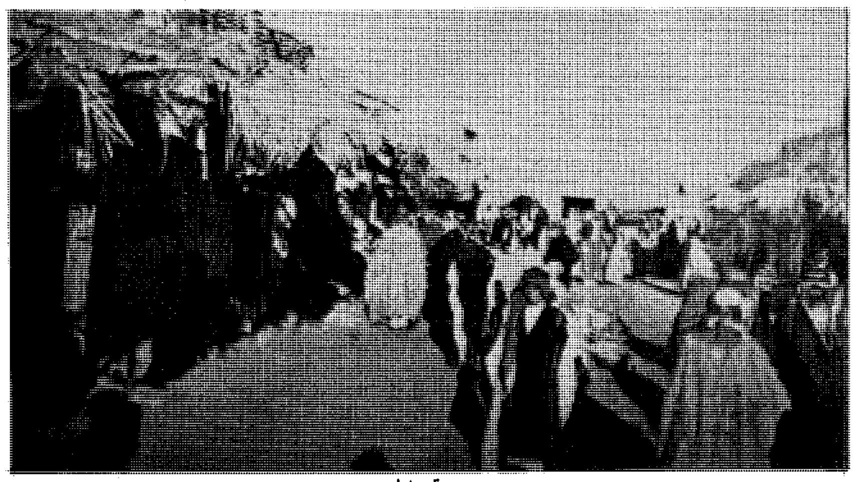
أهل الزبير يكتفي الواحد منهم بزوجة واحدة إلا للضرورة

أستعرضنا الكثير في أحوال هذه البلدة ونحن من أهلها وألصق الناس بها، فرأينا الكثرة الغالبة أن الواحد منهم يكتفي بزوجة واحدة لا يتزوج غيرها إلا للضرورة، فإما أن تتوفى أو يحدث بينهما خصام يؤول إلى الطلاق فيطلق، وهذا نادرا ولو رحنا نتقصى الحقائق في هذا لنجد أنهم لا يشبهون في حياتهم الأجتماعية ولا يجرون مجرى الحياة العشائرية التي تلزم أو تشجع على الأقل أن يأخذ الرجل أكثر من واحدة فإن لدى العشائر قوانين

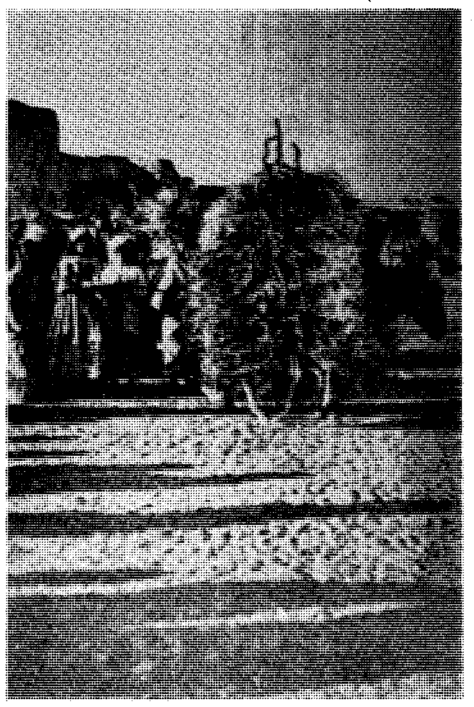
---

(١) قاله قُرَيط بن أُنَيف. ويتم الشاعر قوله:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   في النائبات على ما قال برهانا



سوق الحزم



سوق الحطب في الزبير

عرفية تقضي بأن يأخذ الرجل ما تيسر له نتيجة لعقوبة يفرضها الغالب على المغلوب في الحروب بينهم كما يجري في الفرات الأوسط من العراق . أو كما يجري في بلد آخر يرغب في تكثير النسل . وتكثير النسل هذا تقضي به الحياة القبلية فإنه كلما كثر أولاد زيد كان أمنع من الآخر المقل عند عمرو .

في الزبير الحياة مستقرة والمرأة محترمة، والرجل لا تحدثه نفسه أن يغيظ أهله ، وأهله ابنة عمه العزيز أو ابنة عمته أو خاله أو خالته . هذا فضلاً عن أن المرأة ملتزمة تحترم زوجها وتهابه وهذه الهيبة مصدرها

أنه هو ملتزم أيضا فهو لا يهينها ولا يخدش عواطفها ولا يضربها ولا يحاول أن يسيء إليها بحال ما ، ولذلك فهي تقدر ذلك السلوك ، ولو حدث أن هذه المرأة أساءت العشرة وطلقت من زوجها فالمطلقة في بلد الزبير غير مرغوب فيها . فهي تنظر إلى المستقبل الذي ستؤول إليه ، ولذلك ترى العشرة مستقيمة ولا تنسى متاعب النفقة ومتاعب الأولاد ومصيرهم المتذبذب في حالة الطلاق والحسرة التي تنتاب كلاً من الأطراف الثلاثة الأب والأم والأطفال حين يؤول الأمر إلى الفرقة وكذلك حالة الرجل المطلق فإنه رجل غير مرغوب فيه لو خطب .

يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : «ابغض الحلال عند الله الطلاق» وهناك حكمة ذات حديث تصلح أن توجه لأحد الطرفين أو تقال على لسان أحدهما : «الزم مجنونك لا يجيك أجن منه» يقولها أصحاب المرأة فيها لو كانت هي التي طلبت الطلاق ويقولها أهل الرجل لو أراد هو إيقاع الطلاق.

لو خطب فالبنت لا تأمنه ولا تضمن معه مستقبلاً ، رجل كل يوم له زوجة هكذا تقول هذه البنت وكذلك يقول أهلها . وبناء على هذا وذاك صار الرجل يكتفي بزوجته وتأمن الزوجة زوجها فتكون الحياة مستقرة آمنة . ولو حصل في حال ما شيء من سوء التفاهم أو حالة ركود في الحياة الزوجية فتسوى هذ النزاعات بالحسنى والمساعي ليعود الأمر إلى الصفاء .

ومن قبيل معالجة الأمور بالحكمة وتحاشي ما يؤول إلى الندم حين لا ينفع الندم ، إن المطلق بعد أن أوقعه فهو طلاق رجعي وفي مهلة حددها الشرع ، فيجد الأنسان نفسه بعدها في ضياع يفكر في أمره وأمر أطفاله . وكذلك هي تتقاذفها هذه الأفكار لتجنح إلى السلم إن كانت هي التي طلبت . عندها يعلن خلال الفترة المحددة رجعية الطلاق ليعمل في حدوده ولوازمه وعودة الحياة الزوجية إلى سابق عهدها .

فإذا رجعت المرأة إلى بيت زوجها تأتي والدتها أو القريبة من أهلها

لتقول لأولادها الصغار: (الحمد لله اللي رد أبيكم عليكم) وهي من قبيل (أيّاكِ أعني وأسمعي يا جارة) فالخطاب للأولاد ولكن المقصود به أم الأولاد. وتأتي النساء من أهل زوجها بحضور الأولاد وأمهم فتقول أكبرهن سناً (الحمد لله اللي رد أميمتكم عليكم).

ويقوم الزوج بتقديم هدية نفيسة إلى زوجته وتكون هذه عربون التراضي، يقدمها لها وهي عند أهلها ثم يأخذها بيده وهي بأبهى زينتها وتجري الزغاريد من أهلها بعودة الحياة السعيدة. وتوصي الأم أبنتها فتقول (يا بنيتي لا تعاندين زوجك وترادينه يكفي الذي مضى). ثم تقوم الأم بزيارة خفيفة إلى بيت بنتها وبحضور الزوج ووجود الأطفال فتقول للزوج (الله لا يغير عليكم بهيلكم وبيتكم) وربما جاءت أخت الزوج أو أخت الزوجة أو عمته أو والدته لتقول (الله يهنيكم ببيتكم ويتمم عليكم. والظغبرة[1] ترى ما تفيد. والدنيا ما فيها مطاولة . .) وتجري حفلة صغيرة يقيمها الزوج على شرف زوجته أم عياله وربما تكون مختصرة وعلى شكل ضيق يدعو إليها الأسرة والمحبين.

الأب يتبع في تربية أولاده الحزم والمرجلة:

يعامل الوالد أولاده وهم صغار في أكثر الأحيان معاملة الضبط والتبصرة، والطفل ـ مهما يكن في أطور سنيه الأولى ـ بسيط وله تصرفاته إنما هو قابل أيضا للفهم والتربية والتدبير،

ففي حالة كهذه تجد الأب يكلم ولده بلهجة الجد وبطبيعة الحال فإن الطفل ـ مهام يكن ـ ذكي وحين يستمع إلى أبيه بلهجة ممتزجة بالجد يقبلها بمثل ما سمعها وهو بهذا يسجل في ذهنه الصغير ذلك الانطباع الجدي وقد يكون هذا علبى سبيل الحكاية وقد يكون على سبيل المقارنة بينه وبين أبناء عمه أو جيرانه وهذا نوع من أدب الواقع يقدمه الوالد لولده.

---

(١) الظغبرة: الشقاق.

وبعض الآباء المربين من يمزج بين حديث الجد ليعقبه بعده بحديث الهزل وإن كان «هزلاً جاداً» وللمتعة. وبهذا يفرق الطفل بين حديث وحديث.

ويحرص الآباء على أن ينوعوا في أحاديهم لأطفالهم كل ألوان الحديث. والطفل خارج المنزل يلتقط ما يستمع من حسن الحديث وسيئه وعلى الآباء والأمهات ترشيد أطفالهم حتى يمكنوهم من أن يفرقوا بين هذا وذاك. والأب الزبيري قد احتفظ في ذهنه في أكثر الأحيان بهذه الاشارات ليودعها طفله باللغة التي يفهمها. ويتحاشى أكثرهم أن يكلم ولده بلغة الأطفال ولو تحببا. وهذا أسلوب مطلوب من الآباء ارتفاعاً بعقلية هذا الصغير،

ويحرص بعض الآباء أن يصحبوا أولادهم معهم في المجالس وبعض الحفلات (والطفل بهذا الاعتبار ما تجاوز الرابعة وحتى الثانية عشرة) فيتعلم الكثير النافع من هذه المجالس. وحكمة الأب بالطبع تحدد نوعية هذا المجلس فيما إذا كان يليق أن يصحبه معه أو لا يصحبه.

لبس الجديد عند الرجال والنساء:

غالب ما يكون لباس الرجل بسيطا. والجديد عنده لا يكون إلا لمناسبة العيد ولذلك يقال «ليس العيد بلبس الجديد» ويلبس الجديد أيضا إذا تمزق ذلك القديم. وقد أعتاد الناس من الرجال الذين سبقوا جيلنا وأمتد بعضها إلى الوقت الحاضر، أن الرجل يلبس دشداشته من الخام (المريكان) ليس تحتها فانيلة ولا لباس يكون للدشداشة فتحتان من اليمين والشمال من أسفل الدشداشة وبطول خمسة عشر سنتيمتر تسمى (چاكات)..

والخياطة تتم في البيت بالأبرة فقط فلا ماكينة خياطة ولا خياط. أما الأزرار فتصنعها أيضا أم البيت من خيوط مجمعة بصورة كروية صغيرة تدخل أمام فتحة تقابلها.

ويلبس فوق الدشداشة (زخمة) من الشعري غالباً ليس لها أكمام بل مفتوحة من الأمام لا يربطها إلا أزرارها التي كلها من النوع الذي سبق بالدشداشة.

أما البالطو فهو لباس معروف من الصوف أو القطن يلبس فوق الدشداشة له أكمام. والبشت يلبسه الرجل فوق بدلته وقد يكون من الوبر أو الصوف ويكون أبيض أو أسود أو دبسياً ونسيجه يتم في الزبير أو الحسا وينسج بالآلة اليدوية (الحياكة)، وهو من فجتين يصل بينهما الخياط ويعلو البشت نسيج من الزري من حول الرقبة والأكمام.

وهناك الدقلة[1] وتسمى (صاية) أيضا يُلبس فوقها البشت وتعمل من القطن أو الكتان لها أكمام ويربط بين ردنيها أزرار أو خيطان. وهناك التحياصة حزام له مشبك في الوسط يشد بها بطنه من فوق الدقلة.

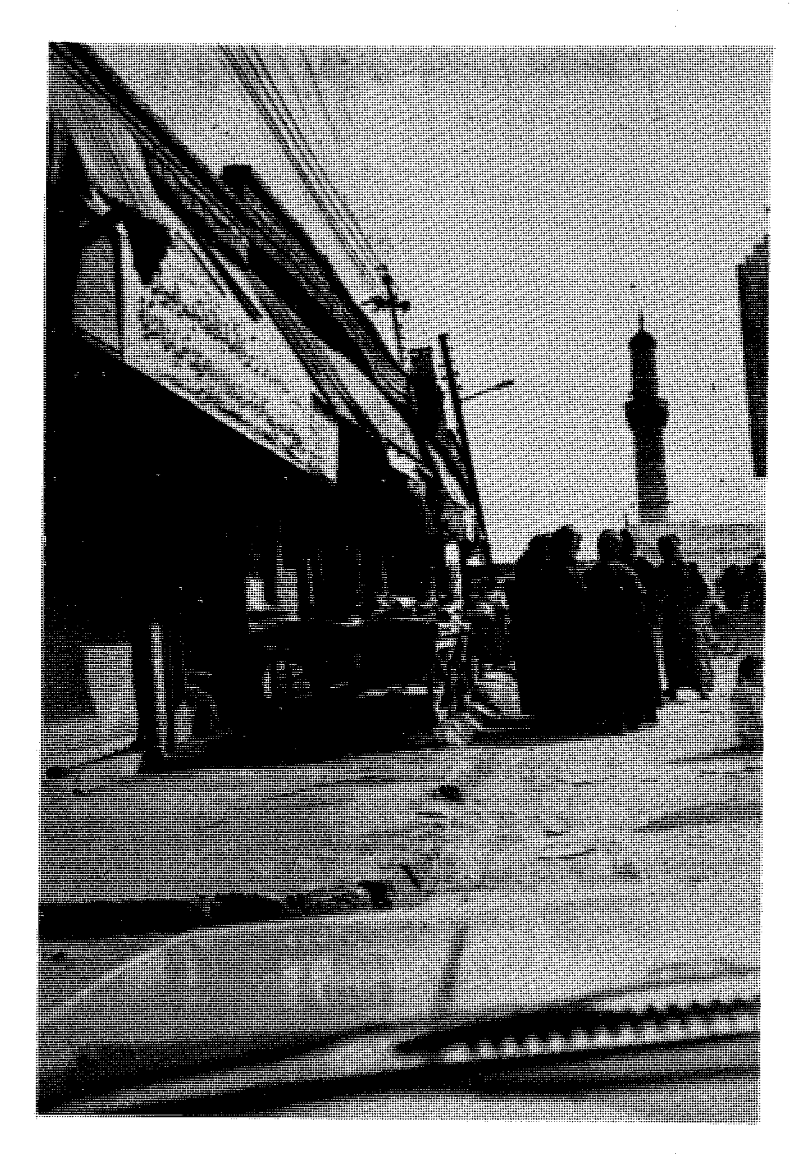
وهناك (اللباس) الذي يتباهى به الشباب وينتهي عند الكعبين بزخرفة جميلة. وقد يلبس الرجال حذاءً من الكتان الفخم.

هذه كانت العادة في الزبير، أما الآن فبالطبع قد تغير الأمر، فالمرأة تلبس الجديد بالمناسبة وغير المناسبة. والمرأة - مع قناعتها - فنفسيتها تحب الزينة والتحلي بالجديد من الثياب، مع هذا فإن المرأة الزبيرية في غابر الأعوام تخضع لتلك الفترة فكانت تقنع بثوب طويل يزحف وراءها ويلفها من قماش «خام عوفا» وقد يكون من الحرير القزويسمي الجزّ وقد يكون نوعاً آخر من الكريب وغالب ما يكون أسود اللون أو أخضره من تحته دشداشة نسائية «نفنوف» طويلا يغطي الساقين إلى الكعبين. ملون بلون ما.

أما إذا تزينت لحفلة عرس أو لزيارة أبويها وذويها فترتدي أجمل ما عندها «على بساطته» وتلبس العباءة الطويلة السوداء ومن تحتها الزبون

---

(١) الدقلة وهي من قماش يسمى العزيزي . والصاية يكون قماشها من البافتة وهما من قماش يصنع في مصر يدخل فيه القطن والحرير .



وسط سوق الزبير (الحزم) وترى منارة مسجد الزبير

الأبـريسم البراق الأحمـر أو الأزرق أو الأخضر أو الأصفر ومـا تكلف زوجها الكثير ولا الركض وراء كل جديد ولذلك تعزى ندرة الشقاق بـين الزوجـين الذي تكون من أسبابه طلبات المرأة المتكررة في اللباس والحـلي. أما الـذهب والحلي فالمرأة لا تملك نفسها في كل زمان ومكان عندما ترى الذهب بالمـطالبة به واحترازه، على أن بعض النساء حكيـمات يقدّرن حـالة أزواجهن المـالية. أما الأطفال فهم خاضعون لرغبة كل من الـوالدين من حيث اليسر أو العسر ولكن الطفل وهو ريحانة أبويه فهما يحرصان على أن يظهر بينهم وأمام الأطفال الآخرين بالمظهر البهيج.

ومن مظاهر الرجل في ملبسه أنه يزهد في الألوان الصارخة كما يزهد في شكل اللباس من حيث التخطيط والتنقيط المزدحم. ويميل إلى الثوب البسيط في لونه. في الصيف البياض على الغـالب «الدشـداشة» والمـلابس الداخليـة إضافة إلى بقية لباس الرجل من الكوفية والعقال[1] والعباءة «البشت» إضافة إلى النعلين من النوع الذي يعمل في الزبير عند الخـرازين من الجلد. وثوبـه يميـل إلى اللون الأدعم أو الرمـادي أو الأسود المقلم بـأقلام بيضـاء أو زرقاء خفيفة أو باهتة في الشتاء.

ويمزج في هذا وذاك ما كان من لباس الكتان والصوف والقطن حسب اختلاف الفصول. وكذلك نرى الأطفال يقلدون آباءهم فما يلبسونهم إلا ما بسط من الألوان. ونجد الطفل يرقى في ذلك التقليد إلى لباس والـده في كل هيئاته. ويعرف الآباء ذلك عند أطفـالهم من حب التقليد ولـذلك نجـدهم يشترون لهم شبيه ما يلبسون خاصة إذا جاءوا من سفر بعيـد كالحـج وغيره. يأتون «بالصوعة» الكوفية الصفراء المزركشة مع العقال المقصب، أو يشـتري لولده البدلة العسكرية ذات الألوان البراقة مزينة بالنياشين.

---

(١) والعقال على ثلاثة أنواع. العقال الشد (وقد انقـرض الآن) وعقال المقصب (لا يستعمـل إلا قليلاً وعند طبقة خاصة مترفة) وعقال الكسر وهو السائد في الوقت الحاضر.

المرأة الزبيرية لا تدخل السوق:

جرت العادة في حياة المرأة الزبيرية ألا تدخل السوق لشراء حاجتها فربُّ البيت هو الذي يهيء للبيت حاجاته صغيرها وكبيرها والولد الصغير أو الصبية الصغيرة تكلفها أمها وأبوها بشراء تلك الحاجات الطارئة من دكان المحلة. وحتى أن الرجل لا يأخذ عائلته إلى السوق لغرض الركوب في السيارة العامة بل ربما كلف نفسه الكثير مما يشق عليه فيأتي بالسيارة «الأجرة» الخاصة إلى بيته ليحمل أهله إلى البصرة أو إلى مكان آخر كالطبيب أو زيارة أقاربها أو الذهاب للنزهة في الأثل. كل ذلك في سبيل ألا تُرى أهله تمشي في السوق والطريق. وبعضهم يتشدد أكثر حتى ليغطي شبابيك السيارة بالبطانيات. كان ذلك في عهد غابر أي إلى ما قبل الثلاثينات من هذا القرن ثم حصل بعض التساهل فصارت المرأة تخرج إلى الجيران أو إلى أقربائها وحدها أو مع أختها أو زميلتها وكذلك تنحدر إلى البصرة تأثرا بمن نزل في الزبير من عائلات غير زبيرية وقد تخرج إلى دكان المحلة أو سوق المحلة لشراء ملابسها وفي أيام الأعياد ربما خرجت مع جيرانها ليجلسن بعيدا إلى ساحة الدواليب والمناظر الأخرى غير سافرات ينظرن بهرجة العيد.

وأما السوق العامة فهي الباقية التي لم تخترق حرمتها بعد في الزبير وربما يأخذ التطور في المستقبل إلى اقتحام هذا الباقي.

* * *

ويتصل بهذا الموضوع أن الرجل يفرض على نفسه زيارة (امرأته) لأهلها في كل أسبوعين مرة فهو يصحب زوجته آخر النهار من يوم الخميس لزيارة أبويها، فتخرج متسترة ويمشي هو أمامها ببضع خطوات ويدخلان بيت والديها ويجلس الرجل قليلا بعد أداء واجب التحية والمجاملة له وتبقى امرأته حول أهلها وفي بيت والديها وهذه الزيارة مرتقبة بشوق من الطرفين وتبيت ليلة الجمعة وربما دعت والدتها بعض الأقارب للغداء يوم الجمعة على شرف ابنتهم ويقضين يوما مسرّاً مبهجاً حتى إذا أمسى النهار وخيم الظلام استعدت ابنتهم إلى العودة إلى بيت زوجها فيقوم والدها بتسييرها حتى بيت زوجها.

ومثل هذه الزيارة ضرورية في تغيير الجو فإن البنت ربما تحتاج إلى أن تفضي إلى أمها بعض الأشياء مما هي من اختصاص النساء، والأم بمثلها أعرف. وربما تصلح الأم شيئا في نفس ابنتها مما قد طرأ أو يطرأ لها في بيت زوجها فهي تسرّي عنها كل ذلك في سبيل أن تستديم الحياة مطمئنة.

حذق أهل الزبير بمعرفة الرياح والتربة والمطر:

حياة أهل الزبير الطبيعية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأهل نجد وبادية الزبير التي لها امتدادها بأرض المملكة العربية السعودية وتتشابه الحياة في كل من الزبير والكويت والمملكة وغالبيتهم في الأصل من أهل نجد. هذا الارتباط جمعهم بظاهرة لا تبعد كثيرا عن حياة البادية يوم كانوا ينتجعون المراعي في الرياض والصحاري والواحات يتسقطون مواقع المياه ولذلك أصبح لهم معرفة بالتربة والطقس والرياح. وأهل الزبير الذين اختاوروا الزراعة مهنة لهم أول هبوطهم، كان اختياراً له جذوره في معرفة الأرض والتربة ولذا نجحت زراعتهم، فتربة جنوب الزبير وقبليّها هي أرجى لوجود الماء من شرقيها وتربتها أصفى وأندى من جهتها الشرقية. فبالفراسة يعطي خبير الزراعة عندهم رأيه عن هذه التربة أهي صالحة أم غير صالحة، قريب ماؤها أو بعيد لاعتمادهم على الآبار الجوفية وقد عمت هذه المعرفة الكثيرين من أهل الزبير وكذلك الرياح والمطر. فقد ترى الغيوم مجزئة في صفحة السماء أتكون ممطرة أم ستتمزق وتضيع أو تتجمع لتتكاثف ثم تمطر.

أن ذلك كله خاضع لأتجاه الرياح

فهم يقولون إن الرياح إذا هبت غربية وكانت السماء مطبقة بغيومها فإنها جديرة بأن تمطر وإذا كانت مع هذا الإطباق هبت شرقية فدليل على أنها ستظل تجمع غيومها وتنتظر الرياح العالية أن تهب إما شمالا أو من القبلة لتثقلها وتحلب ما حملت.

وإذا رأوا غيمة ثقيلة عرضت من القبلة وتقبل مزمجرة ببرق ورعد متصل وتوسطت سماء المنطقة كان أرجى أن تنفض حمولتها في المنطقة وغالباً

ما تكون الغيوم المقبلة من القبلة داكنة تميل إلى السواد . وإذا كانت الغيوم بيضاء ثقيلة تبدو وكأنها جامدة ثم ارعدت وأبرقت وهبت ريح شمالية غربية فقمين أن تنهمر وربما حصل شيء من التجمد فيسقط بَرَداً قد يبلغ حبة الحمص أو يزيد قليلا، فإذا اشتدت الريح الشمالية أنهل المطر كثيفاً لبرهة من الزمن ثم «تزل»[1] السحابة[2] وربما تتمزق.

وفي أشهر الشتاء الرئيسة «كانون الأول ـ كانون الثاني» على الغالب أن تأتي السماء «بالديم»[3] ويظل يسقط ويروي الأرض ويشبعها . وفيه مضار كما فيه منافع ففي الأولى قد يؤثر في بناء الدور خاصة إذا كانت من الطين واستمر الديم أياما وفي الثانية يسقط ويعمق حتى يبلغ جذور النبتة. وأما أمطار الربيع فإنها على كثرة رعودها وبريقها فإنها تكون سريعة وربما غزيرة قد تبلغ إلى حد أن تحدث فيضانا في الشعبان لتجري وتهدد. وفي عمق خبرتهم فهم يعرفون الغمامة البيضاء والسوداء والخفيف منها والثقيل والنفيض[4] وماذا يعني كل من هذه وتلك.

أما الرياح . . وفيما نحن نتحدث عن «الرياح الموسمية» فإن الوسم يبتديء من الحادي عشر من تشرين الأول «اكتوبر» ولمدة شهرين وعشراً خمسين يوما للوسم الكبير وعشرون للوسم الصغير هي (الثروي) .

والمطر فيها يبشر بربيع ميمون، فإذا وسمت الأرض فيهما ظهر النبت. فإذا تتابعت الأمطار غزيرة نما الزرع ووفر وأكتست البراري ببساط أخضر فتشبع الأغنام وتنتج وغذيت آبار المزارع والبراري. في غضون تتابع الرياح وخاصة في شهر آذار «مارس» فمنه الجالب للغيم المغدق ومنه المفرق له.

ويقول العارفون بالريح إننا نشم الهواء مبشراً بمطر ومكثف للغيوم أم

---

(١) زلت: تعبير يعني انقشعت باتجاه جهة أخرى بتأثير تلك الريح .
(٢) السحابة: تعبير عن الغمامة الممطرة.
(٣) الديم: وابل خمفيف قد يستمر إلى ساعات.
(٤) الغيم الذي يتراكض في أجواز الفضاء يتبع بعضه بعضاً .

مبدأً لها. وقد يشم هذا الريح أهو جاف أو ممطر ويراهنون عليه ويبنون على هذا التقدير شيئا ما. وقد ينظرون إلى صفحة السماء فيقولون هناك على بعد كذا من الكيلو مترات سحابة قادمة وتلك الخطوط البيضاء التي تجرها وراءها إنما هو مطر تحلبه ويصدق الظن فتصل السحابة وتنحجب الشمس ويدلهم الجو بالغمام فتمطر سحاً غدقاً.. وهذا ما رأيناه فعلا.

وقد تهب ريح مفاجئة سريعة فيقولون إن بعد هذه الرياح مطراً غامراً وربما مدمراً فيستخفون بعض أحمالهم ويرتحلون من مكانهم إلى مكان آخر أضمن للسلامة وما هي إلا ساعة وبعض الساعة حتى تتغطى رقعة السماء ثم ترعد وتلمع السماء بالبرق ثم تنهل بوابل كثيف أو خفيف. ثم بعد قليل إذا السماء تصحو وقد انشقع ذلك الغيم وكأن لم يكن. ولابد أنها زلت عندها يقال «الله أعلم هذي وين تبْ[1] تذب شليلها» أو يقول «مطر صيف».

وهذه السحب غالب ما تكون في أواخر فصل الربيع والعامة تقول «مطر الربيع مثل بقالٍ يبيع» أي تمطر هنا لتنقشع وتمطر هناك، وفي الأمثال «سحابة صيف عن قريب تقشّع».

وكانت الأمطار قبل أربعة أو خمسة عقود تقريبا من هذا القرن غزيرة تربع البادية ـ بادية الزبير ـ الممتدة إلى غرب العراق والمتصلة ببادية الشام غربا والصمان والدهناء غربا وجنوبا، ثم قلت الأمطار وأصبحت السنة تمر والموسم فلا نرى إلا الشح القليل من الغيوم والأمطار.

وقد كانت العربان تتواجد بكثرة في بادية الزبير والكويت يوم كانت البادية تشبع في أشهر الشتاء بالأمطار الوسمية فيكثر وتتناسل الأغنام فلما انقطعت الأمطار ارتفعت العربان عن بادية الزبير.

---

(١) تب أي تبي وهذه تعني تريد وشليلها تعني ما تحمل من مطر.

القيافة والفراسة :

كما أن لأبناء الزبير حذقا وفراسة في الأمور لمجرد دلالات وعيّنات في الوجوه أو التحركات وهذا ما يسمى عند العرب بعلم القيافة والفراسة، فقد يرى أحدهم الفتى الشاب فيقول له هل أنت ابن فلان ويسمي شخصاً بعينه فيقول لا إنما هذا هو خالي. ويرى آخر شابا صغيرا فيتوسم فيه أشباه وسمات شخص بعينه فيقول فلان عمك أم أبوك فقد يجيب والدي أو عمي وهذه المعرفة تظهر وتلوح في الدم والشبه والعيون وفي الأنف والجبهة وفي الطول أو في القصر وتظهر حتى في أسلوب الكلام وفي الجرأة والشجاعة والحياء وفي سرعة الحديث أو بطئه وفي سمات كثيرة يصطادها من يصطادها ويغفل عنها آخرون.

وذكر أن أحدهم وصف لآخر بيته في الرياض لحاجة يحملها إلى أهله وعياله ولم يسبق له أن رأى الرياض من قبل «ويجري الحديث في الزبير» فسافر ونزل في الرياض ولم يسأل وحسب هذا الوصف طرق الباب وقال بيت من هذا وبعد تيقّنٍ منه قالوا له بيت فلان وكان هو الرجل الذي وصّاه فقال لهم أني قدمت من بلدة الزبير وعرفهم بشيء وعرفوه بالمقابل حتى وقف كل منهما على حقيقة في ذات الشخص وأهله وعياله ثم أخرج لهم ما معه من دراهم وأطلعهم أنه لأول مرة يرى مدينتهم[1].

ومن أعجب ما يروى في هذا الصدد أن في نجد قوماً يعرفون بآل مره وأحدهم يسمى المري وهؤلاء القوم يعرفون الرجل والمرأة لمجرد أن يرى أحدهم أثر رجل مطلوب في جريمة فيقول عرفته ويظل يبحث مع رجل الأمن

---

(١) كان ذلك قبل سنين بعيدة وقيل أن ترقى الرياض إلى هذه الصورة التي عليها اليوم. وكان بعض من أهل الزبير من يجيد القيافة والفراسة بشكل عجيب فالقيافة هي معرفة الأثر. والفراسة هي معرفة الأشباه في الخلق والدم. أما العيافة فهي زجر الطير. أما معرفة الجو والهواء والتربة والغيوم في السماء فهي الأنواء. وقد تحدث عنها ابن القيّم الجوزيه رحمه الله في كتابه (الأنواء) حتى أشبع.

في الأسواق والساحات العامة وفي الطرقات وربما بقي في الذهن إلى أيام وشهور حتى تقع عينه عليه علما أن رجل الأمن أيضا لا يعرفه، فيقول لرجل الأمن: هذا صاحبكم وبعد التحقيق يكون هو المجرم بذاته. وهؤلاء الجماعة سبق أن استخدموا كعيون لدى الشرطة وكشفوا عن جرائم غامضة.

لهجات عربية في الزبير

تختلف اللهجات العربية من بلد إلى بلد ومن قبيلة إلى قبيلة ولذلك قيل لهجة تميم[١] ولهجة طي ولهجة اليمن ولهجة الحجاز ولهجة نجد وأقومها تلك التي نزل بها القرآن وهي لهجة قريش وكلّها تنتمي إلى العربية. وقد تعصى بعض لهجات يمانية على لهجة قريش أهل مكة فقد وردت كلمة «كُبَّار»[٢] في حديث الوفد اليماني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء ليسلم وكأنما حلّت مبهماً لما وردت في سورة من القرآن «ومكروا مكراً كُبّاراً» الآية. فاستغربها الصحابة لأنها لم ترد في لهجتهم، فلما جاء وفد اليمن رآها الرسول صلى الله عليه وسلم فرصة لينطقها على ألسنتهم واعتمل مناسبة ما في تصرف نبوي حكيم فإذا رئيس الوفد ينطق: أتهزأ بي يا رسول الله وأنا من كُبّار قومي، فسمعها الصحابة.. وساق الرسول حجته في ذلك فطابت نفس الوفد.

واللهجات في العصور الحديثة.. تأتي على السياق نفسه الذي كان في العصور السابقة. ومهما اختلفت هذه عن تلك وقد يكون اختلافا يخرج بالسامع عن المعنى المظنون ولكن كل هذا لا يخرج عن بناء الكلمة الأصيل وإن تغير القالب شكلياً.

---

(١) وفي لهجات تميم العالية والسافلة.

(٢) فكلمة «كُبّار» التي وردت في سورة نوح هي بلهجة اليمن وتعنى «كبير».
وقصة ذلك أن الآية لما نزلت تحمل كلمة «كُبَّاراً» وهي في لهجة اليمن بمعنى كبير فأستغرب الصحابة ذلك. وبهذه الأونة قدم وفد اليمن وسلم وجلس وقال الرسول لرئيس الوفد «قم» فقام. ثم قال أجلس فجلس. وهنا قال: «أتهزأ بي يا رسول الله وأنا من كُبّار قومي وتعني كبراء».

وفي الزبير هناك أمثال . . ولنذهب إلى أبعد من ذلك . وفي هذه اللهجات وما تدل عليه عند أهل الزبير . . أقول إن ذلك قد يمتد إلى كلمات ربما ترد جديدة على السمع ولكنها فصيحة ، وتعود إلى المعاجم نلتمسها فنجدها بذاتها وليس العيب في هذه الكلمة أننا نستعملها في الزبير ولا يستعملها أهل بلد آخر إنما العجب عند من لم يسمعها .

وهذه اللهجات تأتي بصورة كلمات أو جمل تعبيرية فيها دلالة وفيها جمال بلاغي ومثلها إذا وردت أثناء الكلام فهي كالأقباس المشرقة في مقولة هذا المتكلم . ومن الناس من وهب حلاوة الحديث إذ نراه يدبج حديثه بهذه العبارات .

هذه أيضا تسمى لهجة تأتي على صورة حكمة أو مثل أو تشبيه ، فقد ترى متحدثا يروي لك خبراً دون أن يستعمل واحدة من تلك اللهجا فتعيه لم ينقص عن النص شيئاً وآخر يرويه بعد أن يضفي عليه شيئا من تلك التعبيرات عندها تشعر أنَّ لبيانه سحرا ولحديثه حلاوة وربما تمنيت لو استزادك .

فلو قالت أم : أنا أحب وليدي . أو قالت أخرى : وليدي تارس عليّ البيت وفي التعزية : تسمع من أحدهم يقول لك : الله يرحمه لكنك تسمع من آخر يقول : ما يدوم إلا وجهه ، فإن هذه تقع على مسمعك وقوعا مقبولا ومسليا حيث تشعر أن المصاب قانون يقع عليك وعلى غيرك والله وحده الحاكم والباقي .

وعندما تقبل زائرا يقول لك المضيّف : أهلا وسهلاً ولكنه إن يقل زارتنا البركة فإنك تشعر أن البركة كلها جُمعت فكانت أنت ومن منّا لا يحب البركة .

وفيما يلي مجموعة من هذه التعبيرات المختارة التي كثيراً ما ترد في الأحاديث لأهل الزبير . . وهي لهجة لهم .

١ ـ يقول أحدهم يحث أخاه على طلب الرزق «أنت بعد مالك خبزه بهالديره». وفي هذه اللهجة يفهم فحوى هذا القول ويقبل.

٢ ـ إذا شارك أحدهم طعام صديق أو قريب فأكل واكتفى وقام، حمد الله ووجه عبارة لمضيفة قائلا: الله يتفضل عليكم أو يقول عساها سفرة دائمة أو يقول أكرمكم الله أو يقول عساها من يسر أو يقول أكل طعامكم الأبرار وصلّت عليكم الملائكة وذكركم الله فيمن عنده. «والقول مأثور. فيجيب صاحب الضيافة هذا بيتكم أو يقول حلّت البركة أو يقول حيّاك الله أو يقول: صحة وعافية».

٣ ـ أذا أقبل الضيف وقبل أن يدخل المضيف «الديوان» يقول له صاحب الدار وهو على البعد حيّاك فيصافح ضيفة ثم يقول تفضل ويكررها فيجيبه الله يتفضل عليك. وقد يقول صاحب الدار نورتم أو أسفرت وأنورت أو يقول بالسنة عيدين وهذا الثالث وهذه مبالغة في التكريم، وقد يأخذه بعبارات الترحيب أخذاً فلا يدع له مجالاً في الرد فيجيبه الله ينور عليك والله يكرمك.

٤ ـ وإذا قدم أحدهم من حج بيت الله الحرام استقبله الآل والأصحاب والجيران، يقول أحدهم الحمد لله على السلامة، حج مبرور وذنب مغفور أو يقول والده أو والدته أو ألصق أقربائه: الحمد لله على البلاغ.

٥ ـ وإذا سعى أحدهم لأخيه بمسعى ناجح قال له صاحبه طاب سعيك أو طابت مساعيك.

٦ ـ وإذا قام أحدهم من مجلس أصحابه ليلا وهو يودعهم يقولون: تصبحون على خير فيجيب صاحب المحل أنت على مثله أخير أو يكتفي بالقول أنت على مثله أو يقول حيّاك الله.

٧ ـ ويقول أحدهم إذا قدمت له عطية أو شيء من تكريم زادك الله من فضله. فيجيبه الفضل لله.

٨ ـ وتقدم المرأة لجارتها شيئاً من طعام مطبوخ ويسمى بالمفهوم الزبيري «طعمة» تقول لجارتها تنغصتها لك أو تقول نغصه فتجيب الجارة: عساكم تعودونه بعد أن تردف بعبارات أخرى لمجاملة.

٩ ـ وإذا تعرض أحدهم لحادث لئيم وسلم منه يزوره أصحابه وفي التحميد له على السلامة يقول أحدهم بفداك من راعك فيجيبه: بفداك اللاش: أي الذي لا قيمة له ويعني به المعتدي ذاته.

١٠ ـ وإذا دعا صديق للجلوس قائلا استريح فيجيبه: عدوك للريح.

١١ ـ وإذا دعا أحدهم صاحبه على الغداء من غير سابق ميعاد وأجاب صاحبه يقول الداعي: اليوم غدانا حاضر العرب ولكن غداكم إن شاء الله بكره. وفي هذه العبارات لون من الاعتذار إن كان طعام الغداء جاء بسيطا لا يقوم مقام التكريم ثم يردفها بأن الغداء اللائق بالمدعو سيكون غداً. وبطبيعة الحال فإن الشخص الذي تدعوه لموعده يجب أن تكرمه وتضفي على الدعوة ما ينم عن هذا التكريم وفي هذا أثر من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

١٢ ـ وإذا تقدم أحدهم لصديقه بقصد الإعانة على حمل شيء مادي أو معنوي أن يقول له صاحبه «ازهله» أي اعتمد واطمئن بأني سأقوم به قياما يرضيك. وهذا الكلمة تدلّ على معان واسعة لإنه إنما تراد الأصدقاء لمثل هذا. وقريب منه قول الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

١٣ ـ وإذا ودع أحد صاحبه أو أحداً من ذويه لسفر فيقول راشدة. فيجيبه وهالوجه أو رافقتك السلامة وحفظ الله ودائعك. وإذا كان قاصداً لحج فيقول له بعد الذي تقدم لا تنسونا من صالح الدعاء.

١٤ ـ وإذا قدم أحدهم من سفر تلقّاه أصحابه يقول أحدهم لا تعبت فيجيبه: لا ندمت ثم تلي بعدها عبارات التحية.

١٥ ـ ويعبر البعض إذا رأوا أحدهم قد تأثر بموقف ما بالغضب قيل عنه إنه أنزكم أي حشـرت نفسه وضاقت أو يقول هذا لهذا قرّت عينك وذلك حين يأتي أخ له من سفر وهو بحالة جيدة فيجيبه: بوجه نبيك.

١٦ ـ لا خلى ولا عدم وهذه تقال ردّاً لعطية تهديها جارة لجارتها. أو عون يقدمه صديق كريم لأخيه عند الحاجة وهو مأمول لموقف مثل هذا لا خلا ولا عدم فإن الصديق الصدوق يعرف بمثل هذا المواقف.

١٧ ـ خلّيني لك ذخر يقولها متعتب لأخيه أو صديقه حين تقسو الأحداث بينهما إثر وشاية أو ما شابه ذلك فيقول له لا تفرط بـي فأنا لك ذخر أو يقول خليني لك حزام ظهر وعندها يرعوي المقابل وربما صفت المودة والإخوّة وزالت الجفوة. فالصديق لا يفرط به[١].

١٨ ـ بغيتك عون صرت عليّ فرعون: عبارة مؤثرة يقولها من كان ضحية لهفوة صديق كان يرجى منه النصرة والعون ولكن الأطماع صيرت منه عدواً.

١٩ ـ الله لا يبردها بأحر منها: يقولها الرجل وتقولها المرأة على حد سواء عند وقـوع مصيبـة أو حـادثـة مـرّت بجـرح أو عـثـرة لا تخلو مـن موجعات فيقولها هذا لصديقه أو لأقربائه بأنه يتمنى من الله أن تكون هذه الخاتمة ونسيانها لا يكون بمصيبة أبلغ منها وأنكى وأعظم إذ تنسي الثانية الأولى فيدعو الله لهم بألا تقع الأخرى. وإخواننا المصريون قد أصابوا المعنى نفسه باللهجة الدارجة في وصف الواقعة الأولى فيقولون: «الحمد لله إنها جت على أدّ كده!».

---

(١) وفي الأدب العربي يقول الشاعر:

تمسك إن ظفرت بذيل حر ... فإنَّ الحر في الدنيا قليل

٢٠ ـ إذا أطعمت فاشبع وإذا ضربت فأوجع ـ هذا قول مأثور ويجري على ألسنة الكثيرين من أهل الزبير وفيه دلالتان الأولى في الكرم والتكريم والمأدبة يقيمها الصديق للأصحاب. والثانية في البطولات تقال للحر الشجاع أن يضرب الضربة البكر في مواجهة العدو.[وهو موقف يشبهه ما عناه المتنبي في قوله.

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى]

وقد يمتدح بعض الشخصيات الحاكمين أو من على مستواهم فيقال عنه: «فلان ونعم سيف ومنسف» أي أنه يستعمل السيف وهو رمز القوة في الموضع الذي ينبغي أن يستعمله أو الولائم والمآدب في الوقت المناسب.

٢١ ـ العطية ما تُـرَد هكذا تنطق بلهجتها العامية ويعنى بها أن العطية أو الهدية يقدمها لك آخر ولو قلّت مؤونتها فمن الأصول قبولها وكانت هذه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فربما جاءت هذه العطية على قدر ويسر معطيها وهو مجتهد وحانٍ فما يجب أن ترد بل تقبل ويشكر عليها فإن موقفا منك كهذا يشيع السرور في قلب صاحب الهدية. وقد يقال الهدية على قدر مهديها وهذا التعبير يحتمل معنيين المعنى الأول الذي سبق والثاني أن هذا المهدي تزنه هديته بميزان الشخصية. وفي مثل هذا يقول الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

٢٢ ـ عسى الله لا يخلينا منكم . تقال لأحدهم إذا قدم خدمة مشكورة أو عملاً مبروراً لآخر فيقول المنعم عليه هذه العبارة. فإن لها موقعها الحسن في نفس مهديها وإنها لمن عبارات الاطراء والشكر والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له وهذا الرد يدل على الوفاء ويشجع الفاعل على

فعل الخير. وإن الهدايا لتتبادل بين المحبين والأقرباء، وفي هذا ما فيه من تأصيل المودة والقربى وربما جاء يوم يقع الأول موقع الثاني فإذا هو يذكر صاحبه الذي كان يعينه وهنا موضع ردِّ الوفاء.

٢٣ ـ الدنيا أسلاف. وهذه حكم تقال عندما يعاتب الصديق صديقه يذكره فيها بقول الشاعر:

الناس للناس من بدو ومن حضر
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

فلا غنى لأحد عن أحد وخاصة الإخوان والأصدقاء فإن أنا احتاجك اليوم لردِّ عادية أو كشف غمّة فربما تحتاجني في يوم آخر لمثل ذلك. وما أجمل ما ورد في هذا المعنى من هذه الطرفة التاريخية.

قيل أن الوزير أبا محمد المهلبي كان قد وقع في شدة وعوز فاشتهى اللحم فلم يقدر عليه وكان مع ذلك في سفر فقال ارتجالا:

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي يخلصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبرا من بعيد وددت لو أنني فيما يليه
ألا رحم المهيمن نفسَ حر تصدق بالوفاء على أخيه

وكان له رفيق يقال له عبدالله الصوفي. فلما سمع الأبيات اشترى لحما بدرهم وطبخه وأطعمه. وتفارقا وتداولت الأحوال. فإذا المهلب يلي الوزارة ببغداد لمعزل الدولة، وضاقت الحال برفيقه الذي اشترى له اللحم. وبلغه وزارة المهلب فقصده وكتب إليه:

ألا قل للوزير فدته نفسي مقال مذكّر ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضيق عيش ألا موت يباع فاشتريه

فلما وقف عليها تذكر الحال وهزّته الأريحية ـ فأمر بسبعمائة درهم ووقع له في رقعته:

«مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة». ثم دعا به فخلع عليه وقلّده عملا يرتزق به .

حكم وأقوال

وإن مما يُلحق بهذه الآثار ما كان يَرِدُ على ألسنة الناس كقولك «الباب اللي يجي منه ريح سده واستريح». والحكمة تزدحم مع المثل في طريقٍ فيمكن أن ترد المقولة على أنها حكمة أو ترد على أنها مثل.

الحي يُحيّيك والميت يزيدك غبن: وينطقها قائلها وهو محشو غيظاً. أو يقول: «بيت الأجواء ما يخلى» وفي هذه تسلية وفرحة بمن شُغِل في البحث عن شيء يأكله بعد أن ضاقت به السبل ثم وجده عند صديق كريم.

وربما قال: «ربَّ ضارة نافعة». وهي تحتمل التسلية لنفس مكروبة فإن الأمر إن كان فيه ضرر لا تبعد المنفعة منه ولو بعد حين. وقول الآخر: «عدو عاقل خير من صديق جاهل» أو يقول: «أسأل مجرب ولا تسأل طبيب». وهذه حكمة يقولها كبير لآخر أقل منه تجربة ليطمئنه لأنه ما قال ذلك إلا وهو مطمئن قد سبقت له فيها تجربة.

أو يقول: «صبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك». وكان هذا الحكيم يقولها وقد ورمت نفسه وحرَّق منه الأُرّم - كما يقولون - فهو إذ يقبل بهذا المرّ فما ذلك لأن أذى الناس أمرُّ عليه. «لو علمتم ما في الغيب لأخترتم الواقع». وهذه الحكمة أثرُ من آثار النبوة وفيها تسلية عجيبة للعاقل المتبصر المؤمن بغيب الله.

أو يقول ذلك المفكر الاجتماعي: قوم تعاونوا ما ذلوا» وفي هذه شجاعة نفسية كبيرة تستسهل الصعب مع الجماعة.

هذه الحكم كلها تقال في الزبير يقولها الرجل وتقولها المرأة كلٌّ حسب فهمه وأتساع عقليته. يقولها الصغير ويقولها الكبير وكلٌّ يجد فيها قناعته.

يـا خلي لا تكـثّر الدوس تـراهـم يملونك : لا أنت ولـدهـم ولا طفل يربونك. وهذه حكمة بالغة يقولهـا الرجـل العاقـل المجرب لبعض الغـر من الناس فهي خاصة وليست عامة.

كلمات ودلالات

في اللهجات العامية المتداولة في الزبـير والتي يُظن بعـاميتها مـا هي في الحقيقـة إلا كلمات فصيحة خُشيت بهـا معاجم اللغـة، وأن بعضهـا مـا هـو صريح فصيح ومنه ما دخله اللحن والإمالة فجـاء بالصـورة التي يُنطقهـا بها أهلها فمثلاً:

١ ـ **قبص** : ونحن نقـولها ونعني بهـا الحركـة بـاليـد عـلى جسم هـذا الأنسان وهو تناول طرف جلده بين أصبعيك بألم.
٢ ـ **حرن** : وقوف البغل معانداً صاحبه ولم ينقد له. ويمكن أن يقاس على البغل الحمار وكل الحيوانات التي يستعملها الأنسان لحاجته.
٣ ـ **سعلوّه** : واحـدة السعالي وهي أنثى الغـول. وهو حيـوان خرافي تخوف الأمهات به أطفالهن ويقولون سعلوه وسعالوه.
٤ ـ **طس** : أي أبعد في السير ويقول بعضنا للآخر ما أدري أين طس فلان ؟ وطس القوم أبعدوا في سيرهم.
٥ ـ **شال الحاجة** : ونعني بهذا الفعـل أن صاحبـك رفع هـذه الحاجـة وأنتزعها من مكـانها. ويمكن أن نشتق منها الفعـل بشتى صوره فنقـول يشيله وهي مشيوله وينصح الولد أخاه الصغير فيقول: لا تشيـل شيء وكلها تـدور في هذا المعنى.
٦ ـ **خايس** : وهو كل ما فسدت رائحته من لحم وغيره.
٧ ـ **جاثوم** : وهو الكابوس الذي يعتري النائم في الحلم.
٨ ـ **مـطشحـل** : وتلفظ بتعـديـل مـا في اللفظ ويقـول هـذا التيس مطحول أي ممتليء جوفه.
٩ ـ **طش** : نقول طشت السماء أي أمطرت مطراً ضعيفـاً كما يقـولون

أيضاً ودثت السماء : وفي كلّتا الكلمتين يمكن أن يدخلها الأشتقاق. نقول دثت السماء دثيثاً وطشت طشاً ودشيشاً .

١٠ ـ **أزهله** : مأخوذ من الزهل أي التباعد عن الشر. وزهل كفرح والزاهل المطمئن القلب. فكأنك تقول لصاحبك أزهله عني أي أبعد مؤنته. أو يقول بعد أن يشكو لك بعض التعب لا تفكر (أزهله) أي سأريحك منه .

١١ ـ **رفسه** : رفسه رفسةً أوجعته. والرفسة هي الضربة بالرجل في الصدر.

١٢ ـ **يهبّش ويصقّل** : يقال هبّشه تهبيشاً أي ضربه بعصا وصقله أي ضرب الحب لتنفصل عنه قشرته وجلاّهُ. ويمكن أن نشتق من الفعلين مهباش أسم الآلة الذي يوضع فيه الحب للتهبيش. والخادم تهبش وتصقل. وهذا التمّن مصقل والحنطة مهبشة .

١٣ ـ **زَرَطَ اللقمة** : يزرطها بمعنى أبتلعها بلعاً .

١٤ ـ **زَفَّ العروس إلى زوجها** : أي أهداها له ولا تكون كذلك إلا حين الزواج والعرس.

١٥ ـ **صكَّ** : صك الباب أغلقه. وتقول المرأة لأخرى أصغر منها «سليمي تصكك أو صكتك. والصك الضرب أيضاً، ولعلهما تقترنان عملياً.

وسليمي تورية يقصد بها نوع من مرض فبدل أن تقول المرأة (ضربك المرض الفلاني) وهذه قد تقولها لكن أستعاضت عنها بكلمة أخرى. وهي من كلمات الضد كما يقال: فلان سليم لمن يسأل عنه أي مريض أو ملدوغ وكما يقال بالألقاب الطويل والبصير والمعنى بالضد.

١٦ ـ **حرّ** : كلمة زجر تقال للبعير وللحمارة. هكذا وجدناها في القاموس. ولو لم نجدها لجاز عند العرب أستعمالها مع الحمار. وتسمى هذه (بطريقة النقل).

١٧ ـ **حمّارة القائلة** : وتقول الأمهات لأطفالهن تخوفهن من الخروج في الطريق أيام الصيف ظهراً . « لا تخرجوا تجيكم حمّارة القائلة وتأكلكم ». ويتصور الأطفال هذا الحمارة الوحشية التي تأكل الأطفال . أويقولون : خرج

مع « صكة عميه » كناية عن شدة الظهيرة .

ولا نعلم ما هذه (العُميَّة وصكتها). . . وفي الأدب العربي يقال أيضا (صبّارة الشتاء في شدة البرد) التي تقابل حمّارة القائلة.

١٨ ـ يتناوشه : من تناوش والتناوش هو التناول.

١٩ ـ تعافس : ومنه العفسة هي الجذب إلى الأرض في ضغط شديد وانعفس في التراب أي تعفَّر في التراب.والتعافس هو اللعب بين العروس وزوجها .

٢٠ ـ الكوَّة : هي الخرق في الحائط والجمع كُوًى.

٢١ ـ واليد حرشاء : أي خشنة الملمس.

لطيفة لغوية

أن الكلمات سابقة الذكر حوتها بعض معاجم اللغة التي بين أيدينا كالقاموس المحيط ولسان العرب والمصباح المنير ومختار الصحاح. وربما توجد كلمات أخرى في معاجم أخرى كالمُنجد والمُعتمد والعَيْن مما لا يرجع إليها إلا لماماً.

واللغوي (أبو بكر المازني) وهو فقيه مُعْلَمٌ من علماء اللغة يقول: «إذا سمعت الكلمة غير موحشة لها مثيل وقياس من كلام العرب فهي عربية وإن لم تتناولها معاجم اللغة. والعرب الأعاريب من سكان نجد ممن لم تَشُبْهم أخلاط العجمة هم مظنة الفصاحة. وكثير من مفردات اللغة لم تتناولها أيدي الجامعين لها كأبن سيده وصاحب لسان العرب وأبن دُريد وصاحب القاموس. وربما تُركت الكثير من المفردات هي أسماء أعلام أو صفات لها كما قيل أن للسيف ألف اسم وللبعير كذلك أو صفات لها وللداهية والأسد مثل ذلك ، ولم يدون إلا جزء منها وأهمل الباقي .

الأوليات

من الطريف أن نذكر هنا أوليات تعارف بعض الكتّاب أن يتناولوها في تدوين المعلومات في أي بلد ينشأ وبلدة الزبير لم تخل من هذه الطرائف .

١ ـ أول محلة سكنية في الزبير هي محلة الكوت المجاورة لقبر الزبير بن العوام الذي سميت البلدة باسمه ثم تتابعت المحلات يجاور بعضها بعضاً وكان ذلك سنة بناء مسجد الزبير في ٩٧٩ هـ .

٢ ـ أول سور بني ليحمي الزبير هو السور الذي بناه ابراهيم بن جديد بمشيخة يوسف الزهير سنة ١٢٣٨ هـ وقبل بل سنة ١١٧٧ هـ[١]

٣ ـ أول مشيخة في الزبير قيل أنها مشيخة الماضي (الوحيمد) سنة ١١٣٠ هـ.

٤ ـ أول قاض قضى فيها هو عبدالله بن سليمان بن محمد الوحيمد سنة ١١٣٠ هـ .

٥ ـ أول مسجد أنشيء هو مسجد الزبير ، بناه الأتراك ويرتبط تأسيسه بتأسيس البلدة سنة ٩٧٩ هـ . ثم بعده أنشيء مسجد النجادة سنة ١٠٠٦ هـ .

٦ ـ أول مدرسة بنيت في الزبير هي مدرسة الدويحس . لها نظام غير مدون سنة ١١٨٦ هـ .
أول بعثة دراسية خرجت من الزبير كانت مؤلفة من قاسم باشا الزهير وعبدالوهاب باشا القرطاس وعبدالوهاب باشا المنديل وخالد باشا العون وعبداللطيف باشا المنديل وناصر باشا السعدون ومحمود باشا العبدالواحد

---

(١) راجع صفة السور في الجزء الرابع .

وطالب باشا النقيب وأحمد باشا الزهير وذلك في القرن الثالث عشر الهجري وقبل أن يحصلوا على الباشوية درسوا الحربية والحقوق في اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية .

٧ - أول سيارة سارت على أرض الزبير هي سيارة سيد طالب النقيب سنة ١٩١٣ .

٨ - أول إنارة للكهرباء دخلت بعض بيوت في الزبير سنة ١٩٣٧ . ثم في سنة ١٩٤٩م دخلت رسميا من قبل الحكومة[1] .

٩ - أول مياه مصفاة دخلت الزبير من قبل البلدية رسمياً سنة ١٩٣٦ أخذت من خزان الشعبية .

١٠ - أول طريق مبلط هو الذي بين الزبير والبصرة وذلك سنة ١٩٣٨ عن طريق متعهد هو الحاج عبد الواحد الفرحان .

١١ - أول طبيب عين من قبل الحكومة طبيب هندي اسمه ودواني وذلك سنة ١٩٢٤م هندي الجنسية .

١٢ - أول مدرسة نظامية هي المدرسة التي محلها بيت علي باشا الزهير وكانت اللغة التركية إحدى موادها ، درس فيها سيد رشيد من بغداد . وكان تأسيسها عام ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣م .

١٣ - أول مكتبة أهلية هي مكتبة الزبير الأهلية التي تنادي على تأسيسها جماعة من أهل الزبير متطلعين إلى روح العلم وكان أول رئيس لها ناصر أحمد الثاقب (أبو فالح) سنة ١٣٤٠ هـ .

١٤ - أول مدير ناحية في العهد التركي هو طابور أغاسي ١٢٨٩ هـ .

---

(١) أول موتور للكهرباء أستعمله الأستاذ عبدالله صابر مدير مدرسة الزبير الأميرية في بيته . واسمه الكامل عبدالله الحاج محمود القديس .

١٥ ـ أ ــ أول مكتبة تجارية هي : مكتبة عبدالكريم حسن الحجي بصورة مبسطة ومكتبة أحمد الباحسين[١] .

١٥ ـ ب ـ وأول مدير ناحية عربي في عهد تأسيس الحكم الوطني هو الحاج لفتة الحاج خلف سنة ١٩٢١م وأول قائمقام هو عزيز الحاج وهاب (١٢ / ٦ / ١٩٦٥م).

١٦ ـ أول طلاب بعثة زبيرية إلى الخارج هما عبدالرزاق أحمد الحمود وعبدالرحمن إبراهيم البسام دراستهم في جامعة القاهرة ثم بعدها إلى السوربون في فرنسا عام ١٩٤١ م . وفي الحرب العالمية الثانية عاد الأول وأكمل الثاني حصل بعدها على الدكتوراة في الحقوق وأول من حصل على الدكتوراة من لندن في القانون هو أحمد ابراهيم البسام .

١٧ ـ أول معركة حربية وقعت في الزبير هي التي كانت في الشعيبة ليس لأهل الزبير فيها طرف وكانت بين حكومة الترك والانجليز سنة ١٩١٥م ، غير أن أول معركة عشائرية والسور كان يحمي البلدة كانت سنة ١٢٤٩هـ غير أن الأمور جرت على غير المظنون وحوادثها مذكورة بين ثنايا الكتاب .

١٨ ـ أول ظواهر بطولية ظهرت لدى بعض الأفراد كانت من قبل :
١ ـ أبو عبيد العامر الذي نازل ذئباً شرساً فقضى عليه دون الاستعانة بسلاح .
٢ ـ شلال الذي قاتل عشرة من الأعداء بأسلحتهم فهزمهم .
٣ ـ ابو سموم بلغ من القوة أن حمل حمار السقاء وارتقى به إلى سطح الدار[٢] .

---

(١) وهناك غير هؤلاء وضعوا مكتباتهم منهم الشيخ ابراهيم المبيض والشيخ عمر الدايل وفهد الباحسين ومحمد عبد الرزاق الصانع والشيخ عبد العزيز الربيعة وإحمد عبد الرحمن الباحسين والأخيرة استمرت فترة طويلة وحتى اليوم .

(٢) لهؤلاء الأبطال قصص طريفة سيأتي الحديث عنها في الصفحات التالية .

١٩ ـ أول من جرب زراعة النخيل قيل أنه يحيى الزهير بالدريهمية . وقيل أنهم آل بابطين وقيل آل التركي .

٢٠ ـ أول من جرب زراعة الفواكه هو الشيخ ابراهيم العبدالله الراشد في قصره في القريطيات ومن قبل المهندس الزراعي الحاج عمر محمد العلي .

٢١ ـ أول من استعمل البريد هو الشيخ سليمان بن عبد الرزاق الزهير وكانت واسطته على الخيل . وأول حامل لهذا البريد هو مانع ابن مرشد بن زيد الغيلان في شيخة سليمان الزهير سنة ١٢٨٤ هـ .

ـ أول سوق بني في بلدة الزبير هو قيصرية الفداغ التي كان يباع فيها الزل والبسط والبشوت .

٢٣ ـ أول من جلس لاستقبال الضيوف في الدواوين هم جمع كثير لا عداد لهم من أهل الزبير .

٢٤ ـ أول مطحنة نصبت لطحن الحنطة هي لراشد المذن في محلة البراحة وقيل بل هم : شركة لعبدالله السويدان وعبد الرزاق المجبل واحمد الطويرش وجاسم الشريدة سنة ١٩٢٥م .

٢٥ ـ أول من نقل حفلة الزواج من بيت الزوجة إلى بيت الزوج هو الحاج ابراهيم الزهير سنة ١٣١٠هـ .

٢٦ ـ أول من استعمل العربانة التي تجرها الخيول لنقل الركاب هو عمر ابراهيم السويدان في شيخة الابراهيم وكان الطريق من قبل بين الزبير والبصرة يقطع بركوب الخيل أو الحمير أو الجمال ولم يكن معبّداً وينقطع عند هطول الأمطار تقريباً سنة ١٩١٥م .

٢٧ ـ أول طبيب تخرج من كلية الطب العراقية هما الدكتوران داود يوسف الفداغ وعبدالله عبد العزيز العنيزي ، وأول طبيبة تخرجت في هذه الكلية هي الدكتورة ليلى داود العنيزي .

٢٨ ـ أول ضريبة ضربت في الزبير كانت تلك التي تأخذ على السابلة التي تدخل الزبير لتبيع وتشتري وكانت في عهد الشيخ ابراهيم الراشد وكان الجمرك دروازة الحزم في الخَارج إلى البادية ثم دروازة البصرة للخارج من الزبير يحمل شيئاً من المصنوع البلدي عام ١٩١٥م.

٢٩ ـ أول طابو (تسجيل عقاري) نشأ في الزبير كان سنة ١٩٧١ م ـ ١٩٧٢م.

٣٠ ـ أول مركز شرطة في الزبير كان سنة ١٩٢١م وكان مكانه محلة الكوت وكان أول معاون فيه هو أحمد بن ابراهيم الزهير.

٣١ ـ أول مستوصف كان في بيت عبد العزيز محمد المانع المجاور لبيت عبد اللطيف المنديل الواقع على الباطن عام ١٩٢١م .

٣٢ ـ أول مستشفى بني في الزبير كان عام ١٩٦١م بناه المرحوم محمد سليمان العقيل في محلة الزهيرية ثم قدّمه هدية إلى وزارة الصحة العراقية .

٣٣ ـ أول من أخرج طعام العيد ويسمى (المعيد) بالطريق هم كثيرون تنادوا بهذه البادرة مرة واحدة في أول التأسيس .

٣٤ ـ أول دائرة تجنيد في الزبير كانت في ٢٨ تموز ١٩٣٥م.

٣٥ ـ أول صحفي يصدر جريدة هم عبد الرزاق الحمود ومقبل الرماح ويوسف الشرهان باسم جريدة الجهاد في بغداد أيام ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١م أثناء الحرب بين العراق وبريطانيا .

٣٦ ـ أول جريدة في العهد التركي تلك التي أصدرها سليمان فيضي الموصلي وجعل رئاسة تحريرها إلى السيد عبد الوهاب الطبطبائي سنة ١٩١٠م في البصرة وكانا يسكنان الزبير.

٣٧ ـ أول نائبين مثّلا البصرة بما فيها الزبير في مجلس النواب العراقي هما عبد الرزاق أحمد الحمود وابراهيم سليمان العقيل سنة ١٩٤٨ .

٣٨ ـ أول قنص جرى في الزبير كان لقاسم باشا الزهير وكانوا يصيدون الغزال بواسطة كلاب السلق سنة ١٢٨٠ هـ .

٣٩ ـ أول رئيس لأول بلدية في الزبير هو شيخ سليمان الغملاس.

٤٠ ـ ثم تلاء الرئيس سليمان عبدالوهاب القرطاس .

أول سباق كان المؤسس له : خالد باشا العون والحاج عبدالله الابراهيم وقد اختير له نغيمش النغيمش حكماً للسباق .

٤١ ـ أول مدبغة للجلود هي مدبغة الحاج حمود الحمود (المحيسن) سنة ١٩٢٠م .

٤٢ ـ من أوائل المهندسين المعماريين الشعبيين الذين أدركناهم هم يوسف العومي رئيساً وعبدالله العريج وأحمد الغملاس وأحمد الرشيدان وعبدالله العليان وعبد الرحمن الديحان وأحمد السعد وعبد المحسن التويجري وعلي عمر العلي ومحمود المدالله وحجي خلف النصيب تلاميد له وخلفات .

٤٣ ـ أول معلمة متخرجة من الزبير خاتون داود البريكان دار المعلمات في الأربعينات ومعها شفيقة عبدالرزاق الرحيم .

٤٤ ـ أول معلم تخرج في العشرينات من هذا القرن من الزبير يوسف يعقوب الزهير وصالح خليل الزهير ويوسف اسماعيل الشرهان وابراهيم العلفج وعبدالكريم السويدان .

٤٥ ـ أول ضابط حربي متخرج من كلية الضباط الحربية سنة ١٩٣٥ هو عبدالرزاق يوسف النفيسة . ثم تلاه عبدالله عثمان النصار سنة ١٩٣٩ .

٤٦ ـ أول ضابط طيار من الزبير هو نهار عبدالرزاق النصار ثم تلاه أحمد عبدالله القناص في الستينات من هذا القرن .

٤٧ ـ أول ضابط بحري من الزبير براك عبدالمحسن حمد العماني عمل في ميناء الفاو بالبصرة توفي عام ١٩٤٨ م .

٤٨ ـ أول حاصل على درجة الدكتوراة في التربية من لندن هو عبدالعزيز ابراهيم البسام عمل في العراق ثم كان مدير جامعة أبو ظبي للامارات العربية .

٤٩ ـ أول مدير بنك ظهر من الزبير هو يوسف محمد أمين الشنقيطي . ورأس إدارة أول بنك يؤسس في الزبير سنة ١٩٦٣ م .

٥٠ ـ الدكتورة سهام عبدالوهاب محمد الفريح كأول اختصاص في اللغة العربية في جامعة الكويت .

٥١ ـ الدكتورة خولة تقي الدين الهلالي كأول عميدة لكلية التربية في البصرة.

٥٢ ـ أول مدير جمرك للزبير هو عبدالرحمن محمد المانع .

٥٣ ـ أول مهندس خريج هو قاسم عبدالرزاق العبد الكريم .

٥٤ ـ أول خريج في الأدب الانكليزي من الجامعة الأمريكية بيروت كان محمد عبدالرحمن الدخيل وبعده كان أحمد سليمان العقيل في التجارة في أوائل الثلاثينات في هذا القرن .

٥٥ ـ أول مهندس في إدارة مطار مدني هو عبدالجبار عبدالكريم اليحيا في مطار جدة سنة ١٩٥٢ خريج جامعات أمريكا .

٥٦ ـ أول من حصل على شهادة الدكتوراة في الشريعة من جامعة الأزهر هويعقوب عبدالوهاب الباحسين .

٥٧ ـ أول من حصل على شهادة ذات اختصاص في الحسابات المالية من لندن هما عبدالله ابراهيم البسام ومحمد ابراهيم الحميدان في الأربعينات من هذا القرن .

كنا قد أعددنا ملء عدة صفحات من أسماء وأعلام من حملة ذوي

الكفاءات في الطب والهندسة وخريجي الشريعة والتربية والتعليم والعلوم والفنون والمعارف الإنسانية الأخرى كلهم من أبناء الزبير تخرجوا في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات والستينات والسبعينات وحتى الثمانينات وبلغوا المئات ولم نحصهم جميعا والذي حال دون نشرهم هو قناعتنا بعدم بلوغ الرضى فاقصرنا واكتفينا بمن دخل حقل الأوليات . ومع ذلك فلعل وعسى أن تكتب لنا بهذا السلامة ـ المؤلفان ـ .

الدكتور محمد بن راشد الفقيه

من الأطباء الشباب. بدأ أسمه يلمع في عالم الجراحة مؤكداً تفوق الأنسان السعودي مذ أن نجح في اجراء أول عملية زرع قلب لطفلة في المملكة العربية السعودية . وهذا ما حذا بنا إلى أن نفرد له ترجمة .

تربى في رعاية والده في الزبير حيث كانت ولادته ومدرج صباه وتخرج في مدرسة النجاة الأهلية التي تخرج منها والده. ولدى مقابلته لاحدى الصحف[1] تحصل لدينا بعض هذه الترجمة. ثم واصل دراساته حتى تخرج في كلية الطب بجامعة بغداد وكان في مسيرته تلك كان يحصل في كل مرة على التفوق، وعمل في مستشفى الرياض العسكري ثلاث سنوات ثم سافر إلى بريطانيا وتخصص في الجراحة العامة ثم في جراحة طب القلب بصفة خاصة. ثم عاد إلى المستشفى العسكري يقول: «وبدأنا في برنامج القلب المفتوح».

ثم عاد مرة أخرى لدراسة جراحات القلب للأطفال في بريطانيا وأمريكا لعام واحد. وبدأ بعدها برنامج جراحات القلب المفتوح للأطفال عام ١٤٠٢هـ بالمستشفى العسكري بالرياض. ولم يغفل الدكتور محمد عن الأشارة بوجوب الأهتمام بالمستشفيات في المملكة والتركيز على تنويع التخصص.

وكان أهتمامه وتوجهه لدراسة الطب كان بتوجيه من والده. وأن تخصصه في مرض القلب لأنه مجال جديد حتى الآن في العالم. كما يقول: «ذلك لأن طب القلب فيه نوع من الحركة. . فأنت تتعامل مع عضو متحرك فيجب إلا يتوقف ولو لدقائق معدودة وإلا مات المريض».

---

(١) صحيفة الجزيرة التي تصدر في الرياض سنة ١٩٨٧ .

كذلك لم ينس الدكتور الفقيه أن يثني على أساتذته في المرحلة الثانوية وبالذات ممن درسوا العلوم والأحياء في الزبير كالأستاذ مصطفى العيد والأستاذ عبد العزيز القناص والأستاذ عبدالله الشيخ . كما أثنى على بعض أساتذته في كلية الطب في بغداد منهم الدكتور يوسف النعمان أستاذ جراحة القلب رحمه الله .

ويكاد الدكتور يملك أعجاب عارفيه وهو بعيد عن الغرور بالرغم مما لمس من أعجاب الأصحاب والعارفين وكان كل أعتماده في عمله الدقيق هذا على الله فهو لا ينسى ذكر الله في بدء عمله في كل عملية جراحية .

وكان يضع الدكتور الجراح للنجاح في عمليات كهذه ثلاث مهام :

أولاً : الذكاء لمواجهة أية أشياء غير متوقعة .

ثانياً : لابد أن يكون الجراح قوياً ثابت الأعصاب حتى لا يصاب بالأرتباك .

ثالثاً : لابد أن يتوفر الأخلاص في العمل ، والأخلاص هو طريق النجاح في كل شيء .

أكلات زبيرية

هناك أكلات لا تخلو من الطرافة واللذاذة أتقن صنعها أهل الزبير منها:

أولاً : العصيدة: وتصنع أيام الشتاء غالباً وتتكون من الطحين فيطبخ في القدر بالماء ممزوجاً بالدهن والدبس وماء الورد. والمس[1] بيد الطباخة لا تنفك تحرك هذا الخليط على نار هادئة حتى تفوح رائحة النضج فتكون كالحلوى قوامها متماسك وهي لذيذة الطعم ثم تؤكل مع أقراص البيض.

ثانيا : وهناك قرص العقيلي: وهو خبز مصنوع على المقرصة وقبل أن تجف الخبزة ترفع لتلقى في (تاوة) تحتوي على الدهن فوق النار فإذا تبين نضوجها حملت بالمس لتلقى في الشيرة ثم ترفع من الشيرة إلى الصحن وتؤكل وهي باردة أيام الاعتدال الفصلي.

ثالثا : المفروك : نوع من الحلوى مادتها الخبز الحار خرج من التنور لتوه يقطع قطعاً صغيرة ويفرك بعضه ببعض بالدهن والحليب والسكر وتطيب بماء الورد فقط. وتؤكل مع الفطور.

رابعاً : المرقوق : عجين يصنع كالأقراص الصغيرة المعدة للخبز ولكن بدل أن تكون للتنور تلقى في القدر على النار حيث الماء المغلي ويحتوي القدر على البهار والدهن واللومي قائما بذاته غير مكسر حتى ينضج مع اللحم المقطع قطعاً مناسبة وتفوح منه رائحة النضوج ويكون قوامه متماسكاً شيئاً ما فينزل من على الموقد في الصحون [2]. وقد يكون خالياً من اللحم.

---

(١) المسّ: أداة من المعدن الخفيف يقلب بها الطعام وهو في القدر.

(٢) يلاحظ أن المرقوق يخلو من أي نوع من الخضرة إلا من الثوم والبصل والطماطم.

ولا ننسى البهارات فانه يطيب المطبوخ.

وغالبية هذه الأكلات جاءت مع أصحابها من نجد.

خامساً : المحمّر : هو نوع من أنواع التمن المطبوخ (الأرز) غير أنه حلو المذاق بإضافة الدبس أو السكر الذي كان مادته الأولى في الطبخ فإن كان من الدبس (دبس التمر) كان لونه مائلاً للحمرة ولذا سمي بالمحمّر وإن كان مطبوخا على السكر يكون لونه أبيض ويسمى محمر شكر. وهذا النوع يؤكل على السمك غالباً مقلياً مرة أو مطبوخاً بالمرق. وبالطبع فإن المرق يجود مع البصل المفروم واللومي ولا يوضع معه أي نوع من الخضر ماعدا الطماطم من بعد البهارات.

مطبق اللحم (المكبوس):

يوضح اللحم في القدر وتوضع عليه البهارات والملح إلى أن يشرب ماءه فيوضع عليه الماء الحار ويترك على نار هادئة إلى أن ينضج ويؤخذ اللحم ليقلى. ويطبخ الأرز على ماء اللحم ثم يوضع فوقه اللحم المقلي وما خلف من الدهن ويوضع فوقه قليل من الزعفران والهيل وماء الورد ويترك مغطى حتى يلبس بعضه بعضا.

ويهتم آخرون بصنع الحشو المكون من:

أولا : محموس البصل ويوضع فوقه قليل من الكشمش والحمص (النخي) المسلوق.

ثانياً : يحمس الخليط جميعه بالدهن ويحشى به سطح طبق الأرز. والبعض من يدفن ذلك الخليط في وسط التمن ليزيدمن النضج والرائحة الطيبة ثم يفرغ في الصحن.

المموش (المّوش):

يطبخ اللحم كما مرّ بنا فى المكبوس وما يلحقه من الحشو. . والفرق هو أن يوضع الماش أو العدس مهشماً مع الأرز بنسبة ١/٤ (مع سبق انضاجه).

ومنهم من يطبخ المموش على الربيان اليابس ويحمس مع قليل من البصل ليكون من ذلك حشواً للمموش .

مرق السمك :

١ - يغسل السمك جيداً ويملح ثم يترك قليلاً .
٢ - يحمس البصل في قليل من الدهن إلى أن يشقر لونه فيوضع فوقه الطماطم المقطعة والمعجون ويحمس ويوضع فوقه كزبر ويحمس .
٣ - يغسل السمك من الملح وتوضع فوقه البهارات ويقلب في الدهن ويوضع فوق الخليط مع قليل من الماء ويترك على نار هادئة إلى أن ينضج .

وهناك أكلة الصبور المشهورة المشوي بالتنو وهي أكلة شعبية شائعة :

التمرية :

وهذه أكلة طريفة تبرز نوعاً من أنواع الحلوى وهو أن يحمس الطحين إلى أن يشقر لونه فتوضع عليه الزبدة أو الدهن . يخرج النوى[1] من التمر ويعبط جيداً ويخلط مع الطحين خلطاً جيداً ويوضع فوقه قليل من الهيل وهو على النار الهادئة حتى يبدو عليه أثر النضج بانبعاث رائحة زكية .

القبّوط :

والقبوط هونوع طريف من المرقوق غير أنه متطور الصنعة . . يحمس اللحم مع قليل من البصل والبهارات والملح ويوضع فوقه معجون الطماطم ويوضع فوقه الماء ويوضع على نار هادئة وقبل أن ينضج تماماً تعمل كرات صغيرة من العجين وترق واحدة بعد الأخرى وتوضع فوق المرق ويوضع في المرق الثوم والباذنجان .

---

(١) ويطلق عليه أيضا الطعامة عند الكويتيين أو الفصم عند الزبيريين .

ومنهم من يحشي القبوط وهو أن يدخل في حساب الكرات الصغيرة الكشمش والبهارات واللومي الأسود . ومنهم من يحشي القبوط في اللحم المحموس مجزءاً مع الكشمش . آخذين بعين الاعتبار مسبقاً أن القبوط يحتوي على ماء يكّون قوام القبوط .

وهناك طبخات أخرى لا تخلو من الطرافة ولكن تحاشيناها خشية أن ننجرَّ إلى أن يكون الكتاب كتاباً للطبخ ، ولكل بلد في كل زمن أنماط من المطبوخات سواء منها المعجنات وغير ذلك مما طبخ من الأرز واللحم والمفلفلات والمسلوقات .

أما الخل والمخللات فيأتي الاهتمام بها في الدرجة الثانية في الزبير وتكاد الجنوبات في البصرة وبغداد تختص بهما .

وفي السنوات الأخيرة بدأ أهل الزبير يبدون اهتمامهم في صناعة الخل وتطويره بوضع بعض المخضرات داخله بعد أن ينضج الخل (الخام) ويترك لفترة ما حتى ينضج ليقدم إلى طبق الأكل فإنه يعطي شهية وذوقاً ويسمى (طرشي) .

وكان الخل اداماً هاماً في الطعام . . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيبه وامتدحه وهو مادة مع الخبز تكفي ليكون غداءً .

التمهيد لصنع الأكلات الزبيرية

وكانت العائلة الزبيرية تشتري العيش (الرز) غير المهبش عليه قشرته الحمراء وفي كل بيت أيضا مهباش منجور من الخشب يتسع لكيلوين من العيش فأكثر. وكانت الخدامات في أوائل هذا القرن وإلى منتصفه يشتغلن عند حمائل أهل الزبير يهبشن ويركشن ويصكّلن ويطحن.

كما يطحنّ البهارات[1] بعد تنظيفه وتنقيته من الشوائب. ويعالجن الكولة[2] التي يصنع منها (الجريش)[3].

والتهبيش بالمهباش بواسطة الميّنة (الميجنة) تفصل القشرة عن حبة الحنطة ثم تطحن بالرحى لتتهشم الحبة إلى الربع يتكون منها طعام الجريش.

أما الهريس فيصنع من الحنطة بعد تنقيتها.. ثم تهبش لتخرج الحبة بيضاء وتودع في القدر ثم تهرس بعد نضجها لتصبح طعاماً مستطاباً مع الدارسين والسكر المطحون والزبدة المذابة.

صنع التمر

المقصود بصنع التمر هنا كبسة بالخصاف أو القوصرة أو الصربال أو كبسه في التنك وهذه كلها لأستعمالات البيت لطول أيام السنة. والتمر بجميع أصنافه مادة هامة للعائلة خاصة لأيام الشتاء والربيع.

ووعاء القوصرة أو الصربال يصنع من خوص النخل، وقد تسمى (نصيفية) ويكون وزنها نصف مَنّ تمر حوالي (٣٦) كيلوغرام وهناك

---

(١) الكركم والفلفل الأحمر ويسمى (فلفل دراز) والفلفل الأسود والزنجبيل والدارسين وجوزة بوه وعرق الهيل والكمون وغيره وتسمى البهارات كما تسمى التوابل.
(٢) الكولة نوع من الحنطة حبتها كبيرة نسبياً.
(٣) الجريش طعام مستطاب يطبخ مع اللحم والبهارات مع الحشو.

(الربيعية) ووزنها نصف سابقتها وهذا الوزن يعد للتوزيع على الجيران والأصحاب. وأكثر الملاكين يفعل ذلك[١].

وأما الصربال فغالب ما يكون لتمر الديري أو الفرسي حيث يكون (بثاً) أي غير مكبوس وهو قليل اللزوجة.

وكذلك (الخلال مطبوخ) ولا يكون هذا إلا من خلال البريم يطبخ في قدر كبير يسمى الطغار أو جدر الخلال ويحمل القِدْر نحو (٥٠) كيلوغراماً أو نحوه فاذا نضج في الماء الحار ويظهر نضوجه بعلو الزبد فوقه يخرج بمغراف وينشر على أرض مهيأة لذلك حتى تشرب الأرض رطوبته[٢] وتنشف الشمس بنيته فيلتقط ويودع في الخيش ويتهاداه الناس من أهل الأملاك إلى من سواهم وهو خلال يابس حلاوته مقبولة ولا يحمل شيئاً من رطوبة التمر[٣] ويأكله الأنسان دون الحاجة إلى غسل يده ليبوسته ويكون لونه أصفر نوعاً ما.

وقد ألّفت كتب كثيرة في النخلة والتمر وصناعة التمر مما لسنا في صدده[٤]. ومن التمر يستخرج الدبس وهي مادة حلاوته مركزة كان الكثير من أهل الزبير من يستعمل الدبس بوضعه على النار قليلاً إن كان جامداً حتى يذوب وقد يوضع عليه البيض أو يوضع الرهش (الراشي) فيكون لذيذ المطعم وغداءً متكامل العناصر، أو يكون غموسا[٥] وحده يؤكل مع الخبز فيكون غداءً لبعض العوائل لا يصحبه الا اللبن أو الماء فقط. وقد يعصر

---

(١) وتمر النصيفة ينقّى أولا ثم يشمس ثم يرش بالماء ليكتسب ليونة وبريقا ثم يكبس.

(٢) تجري عملية طبخ الخلال أو كبس التمر في الجنوب مثلاً في مهيجران أو حمدان أو المطيحة من قضاء أبي الخصيب في البصرة.

(٣) ورطوبة التمر اللزجة المعتادة تسمى (الدبق).

(٤) ومما يصنع من التمر الدبس ويكون طبيعياً أو صناعياً، الطبيعي انتاج المدبسة ويسمى (دبس الدمع) والثاني ما يصنع ميكانيكياً.

(٥) الغموس كل سائل مستساغ يغمس به الخبز وغيره وهو الأُدام وكل ما يؤتدم به كالمرق واللبن والخل والزيت والعسل والدبس ـ فهو ادام.

عليه الدنيلان الحامض فيكون لذيذ المذاق مع الخبز وأحياناً يضاف إلى ذلك الدبس قليلاً من السمن الطبيعي (سمن الغنم أو البقر) فيكون مادة (أداماً) مع الخبز أيضاً لبعض العوائل.

هذه المادة في غداء الناس سهلة التحضير غنية الفائدة خاصة أيام الشتاء. وبعض الناس يضع السمسم أو الزنجبيل أو حبةالحلوة على التمر ليزيده طيباً.

ووجود التمر في البيت غنىً لأهل البيت وضرورته كضرورة التمن أو اللحم. وكثيراً ما كان أساساً لغداء الأنسان وحده. وتروى في هذا المجال قصص كثيرة من أن أناساً هجروا بلدهم في عهود مضت فقصدوا الزبير من أجل أن يشبعوا من التمر ودار الزمن دورته فإذا هو سبحانه يمنُّ فتصبح تلك الديار تنتج التمر بل وتصدره إلى الجيران وإلى بلاد أخرى بعد أن أفاء الله عليها من الغنى والنعم.

أسماء ذات طرائف

اعتاد بعض الآباء أن يسمي ولده باسم له علاقة بكنية كان لها ذيوعها في المجتمع الزبيري تعارف الناس عليها فأصبحت تجري مجرى القانون كمحمد مثلاً يعرف بين الناس بكنيته أنه «أبو جاسم». وأن أحمد هو «أبو شهاب» وأن عبدالله هو «أبو نجم». وأن عبد العزيز هو «أبو سعود». وأن ابراهيم هو «أبو خليل». وأن عبد اللطيف هو «أبو خالد». وأن عبد الرحمن هو «أبو عوف». وأن علي هو «أبو حسين». وأن عبد المحسن هو «أبو براك» وأن عبد الرزاق هو «أبو سليمان» وأن عمر هو «أبو فاروق»، وخلف هو «أبو زيد» ويوسف هو «أبو يعقوب» وأن ناصراً هو «أبو علي». وأن سليمان هو «أبوداود».

وقد يطلق بعض الأحيان على كنية أحدهم باسم أبيه. فعلى الذي يكنى بـ «أبو حسين» يقال أيضا لحسين «أبو علي». وسعود يقال أيضا فيه «أبو عبد العزيز.

كما لا يمنع أن يسمى الواحد ولده بالاسم الذي يختار غير مقيد بالقانون أعلاه. وهو إذا سمّى الولد البكر فلا بأس أن يسمي الولد الثاني على اسم يختاره ـ وجرت عادة أن يسمي الشخص أسماً يحمل اسم أبيه أو جده أو عمه أو أخيه.

ويحرص المتحضرون من أهل المدينة أن يختار أجمل الأسماء وأرضاها وأملأها للنفس وذلك طبقاً للسنة النبوية في أن يحسن الاختيار لولده وأن

ملحوظة: وضع اللغويون اصطلاحات للاسم والكنية واللقب. فالاسم مجرد من كل إشعار وأما اللقب فهو ما أشعر بمدح كأمير المؤمنين أو بذم مثل: هذا ابن شيطان، أما الكنية فما قدمت بأم أو أب أو ابن؛ كأم كلثوم وأبو عصام وابن الخير.

يبتعد عن الأسماء الوحشية فقد ورد، في الأثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل أحدهم عن اسمه فقال: وعر. فقال الرسول صلوات الله عليه وسلامه بل أنت سهل ومن هنا أصبح يسمى بهذا وأمثال ذلك كثيرة وقد استمسك أهل البادية بهذه الأسماء الوعرة المتبدية. وانتقد أحد الأدباء في العصر الأموي أحد الأمراء قال: أراكم تسمون بنيكم تسمية غير مأنوسة كالصعب والمصعب وبالأسد والذئب بينما تسمون مملوكيكم بالسماحة والريحان وبالمسرور فقال الأمير: عبيدنا لنا وأبناؤنا لأعدائنا. . وتجري الآن تسمية الأبناء على أحياء الأسماء القديمة سواء كانت إسلامية للقادة والفاتحين أو علماء ومخترعين أو من أسماء ما قبل الإسلام فيسمون طارق وخالد ونزار وهشام وعدنان وعاصم وياسين وأسامة وعبد الرحمن وعثمان وعبد العزيز وأحمد ومحمد وعمر. وغيرها من الأسماء الإسلامية التي أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: «خير الأسماء ما حمِّد وعبِّد».

أما الأسماء الإناث فنادر في الوقت الحاضر من يسمي زينب ورقية وفاطمة وعائشة وصفية وأسماء ومريم مع خيرٍ فيهن.

وكانوا يسمون أحدهم ممن لم يرزق ولداً ذكراً باسم ابنته البِكر كيف وأن للأنثى منزلة كريمة حبيبة قد كرمها الله من قبل ونبيه في الكتاب المنزل.

وكانوا يسمون بمن لم يرزق ذكراً ولا أنثى «بأبو غايب» أو يكنونه باسم أبيه فيقولون «أبو حسين» أو «أبو جاسم» وإن لم يكن له هذا الولد ولكن والده كان بهذا.

وهناك طريقة أخرى هي أنهم يصغرون الابن فيدعون أحدهم أبو كريم وأبو عبيد أو أو جويسم أو أبو دحيم أو أبو سعيد. وما ذلك التصغير

ملحوظة: مما هو معروف أن لإنسان إذا خوطب أو نودي باسمه المجحرد لا يرتاح نفسياً ولكنه بأنس وتطيب نفسه إذا كني، والانسان مأمور شرعاً أن لا يخاطب صاحبه إلا بما يحب من كنية أو لقب فذلك أدعى للألفة والمحبة فقد كان رسول الله (ص) لا يخاطب أصحابه رضوان الله عليهم إلا باحب الكنى والألقاب.

بالتحقير ولا لأن الولد طفل ولكن في ذلك معاني أخرى تـدل على نعت هـذا الرجل بالقوة والشجاعة.

كما لا يفوتنا أن للتصغير معنى في التحبيب والتدليل. كذلك قـد يكنى الرجل عند إرادة وصفه بالشجاعة والكرم أن ينتخى أحدهم بأخته فيقول أنا أخو نورا أو ينتخي بولده أو بابنته فيقول أنا أبو عزوز أو أنا أبو وضحى.

وهم حين ينتخون بأختهم أو بأبنتهم فإنما ذلك لاعتزازهم بمن انتخـوا به وأنهم قالوا ذلك لنصرتهم ورفع شأنهم ساعة المحنة.

ماذا يعني التصغير ؟

نسمع بعض العجائز يصغرون الأسماء من حاجات البيت من مأكـول أو مشروب ومن كـل ما يحيط في البيت والأولاد فتقـول الـواحـدة منهن وهي تـطلب من جارتهـا الخبز والتمـر: عندك خبيـزة ؟ وليدي يصيـح . أو تقـول يطول عمرك ما عندك تميرة ؟. وتقول لابنتها بنيتي ناوشيني هالصحين!

وتقول للّحمة لحيمة. وللدشداشة دشيدشية وللشكر شكيرة وللساعة (الوقت من الزمان) سويعة.

تقـول الجارة لجـارتها يـا خيتي اقعدي عنـدنا سـويعـة خـل اسـويلك شـوييه[1] فتجيبهـا: أي والله ترى رويسي دايـخ الله يطول عمـيرج. وتقول المـرأة وخاصـة العجائـز منهن: اشلون أبيّكم ؟ أو تقول: شحليـل وليذك ؟ فتقول واللي يسلمك اذكري الله فتضحك وتقول لا إله إلا الله اللهم صل على محمد . وقد خافت عليه من العين.

في هذه العبارات البسيطة وأمثالهـا يدور الكثـير من الكلمات الدارجـة وحتى الفصحى منهـا على ألسنـة الناس وخـاصة النسـاء والعجـائـز بصـورة

(١) تصغير شاي وتلفظها چوبة

أخص وتجري على ألسنتهن مجرى النفس.

وهذا التقلل في هذه الحاجات هـو صيغة من صيـغ التصغير في اللغـة فهو إمّا للتحلية أو للتحقير.

والمرأة حين تطلب أو تسمى بالتصغير لجارتها أو لزوجها فذلك لتخفيف الكمية المطلوبة أو للتهوّن بها لتخف المؤونة في الطلب . وهذا الأسلوب لا يستعمله الرجال إلا نادراً . وقد كان ذلك سائداً في الأوساط الفقيرة وكـان يومها الفقر ضارباً أطنابه في كل من نجد والزبير والكويت . ورأينا يوم أن بسط الله الخير على هذه الديار ارتفع ذلك الأسلوب من ألسنة النساء ولم تعد الأشياء تسمع إلا حيث لا تصغير ولا تهوين .

الأقوياء في الزبير وطرائفهم

يتفق أن يتواجد عدد في كل بلد من الأقوياء والأبطال. وإذا اتفق أن كانت المدينة تتمتع بهواء نقي وحياة اجتماعية أقرب ما تكون إلى البداوة تتمتع ببساطة البدوي وشجاعته وصلابة عضلاته فإنه ينبغ عدد غير قليل من الأشخاص الذين سجلوا أرقاماً قياسية في هذا الميدان نذكر منهم محمد أبو سطام.. ذكر أنه اشترى لأهله (درب ماي) ولما دخل البيت قال للسقا الفنطاس بالجليب ففك السقا القرب لينزلها واحدة واحدة. وبحث أبو سطام عن قيمة هذا الدرب وهي آنة (٤ بيزات) فلم يجد عنده شيئاً، ففكر أن يمزح مع السقاء وأن يحمل الحمار إلى فوق السطح وعندما أنزل السقا القربة الثالثة التف فلم يجد حماره وكان أبو سطام قد نفذ تدبيره وسأل السقا أين حماري ؟! فقال أبو سطام حمارك وكيح صعد الدرج إلى السطح فتلوم السقا على نفسه كيف أنزله وهو لا ينزل وأنا لا أستطيع إنزاله؛ فقال له أبو سطام أنا أنزله لك على أن تعفيني من قيمة الدرب فقبل السقا وصعد أبو سطام السطح وحمل الحمار ونزل به.

* * *

وهذا أبو عبيد العامر كان حمّاراً (مكاري) يكدّ السدّة معه حصانه يحمل ركوك الرطب من مهجيران في البصرة إلى الزبير وفي أثناء الطريق لقيه ذئب شرس فهجم عليه فنزل من على حصانه وتماسك معه وكان مع أبي عبيد جديمي[1] لكن الذئب لم يمكنه من أن يستله من حزامه فاعتمد أبو عبيد على قوة ساعديه وهو يمسك بحنكي الذئب يد هنا ويد هناك حتى تمكن من كسر فكيه فوقع الذئب على الأرض وعندها تناول سلاحه وذبحه.

---

(١) سلاح يشبه الخنجر.

أكل نفيعة البقرة:

كان عيسى بن ناصر المحمد البريه يعمل مع جماعة في قطع الأثل فيه يمضي نهاره ولا يعود إلا بعد مختلط الظلام يتعشى ويشرب الشاي وينام. وفي ليلة من هذه الليالي تأخر وقتاً ما فجاء وطلب من أمه عشاءه، فقالت له عشاك في المطبخ تحت اللقن [1] وكشف الغطاء وإذا هو حار ففرح وكان جائعا والوقت شتاء فوقع عليه وقع الهيمان الجائع فأكل بلذة حتى شبع فقال لأمه، يمه عشاءك طيب بس فيه فصيمات فضربت الأم يداً على يد: غربلك الله أكلت نفيعة البقرة فقامت لترى وإذا هي كما توقعت!! فقال: شمدريني!!! . ايل[2] وين عشاي؟ ثم أكل عشاءه...

يحمل السيارة إذا توقفت:

وهذا عباس السنيد وهو أحد أبطال الثقل كان يعمل سائقاً وفنياً في لوري ويتفق أحياناً أن تصاب السيارة في إحدى عجلاتها فتقف وربما عليها حملها أو تغرز في الرمل فيقول لصاحبه اصعد وحرك وأنا أرفع لك وفعلاً يندس تحت السيارة ويرفعها على ظهره ويتم تحريكها لا يهمه أطنان ما تحمل!

يحمل كيس رمل أبو خط أحمر:

وهذا سليمان الذياب حمل كيساً من الرمل ذي الخط الأحمر مملوءاً تراهن مع جماعة أن يحمله على ظهره من الدروازه إلى سوق السمك مسافة نصف كيلومتر فحمله وكسب الرهان.

الأعمى صارع الذئب:

مشى عثمان النصار من البصرة إلى الزبير في يوم شديد البرودة ولم يجد ما يركبه من حصان أو حمار فاعتزم المشي فادركته الصلاة وتقبل القبلة وكبّر،

---

(١) اللقن: ويعني الطست
(٢) وتعني : أجَلْ ..

وكان رجلاً ضريراً غير أن قلبه بصير لتكرر قطعه الطريق ولما ركع لم يشعر إلا والـذئب قد ركبـه ووضع يـديه عـلى كتفيه من الـوراء وبخفـة ونبـاهـة قلب استجمع قواه ورفع يده إلى ورائه وإذا هي بحنك الذئب فجذبه ووضع يـده في حنكه الثاني فشقه شقين وارتمىٰ الذئب طريحاً .

شلال والثور :

هـاج ثور وهـرب من المقصب وتنادى لـه الناس للتحـذير منـه فلحقه شلال وأمسك به من ذنبه وأخذ يسحب شلالاً وشلال ممسك به لا يفلته حتى مرّ على سارية[1] فوضع شلال رجله في السارية وهو ممسـك بذيـل الثور فلم يتعدها فقـال أما السـارية وأمـا ذنب الثور فـانقطع الـذنب بيده. وكـان من اعتداده بقوته ولم يقل أورجلي ثقة بقوة رجله ذاك هو شلال .

وكان شلال يذهب مع أصحاب له منهم محيسن الحميـدان وكانت لـه مواقف أيضا يذهبون يحتطبون فمرّ بهم جماعة على خيل أكثر منهم وليس مـع أصحـاب محيسن غير حمـيرهم وبعض السلاح، كـان مع محيسن زوج فـرود وخنجـر فأخـذ أولئك الأعـراب ما معهم من حمـير وحتى ملابسهم وكـان لما أحاطوا بمحيسن يريدون تجريده من سـلاحه استعصى عليهم أن يفتحـوا يده فقال كبيرهم ويدعى خليف هذا مو هو فاكّ ايده من سلاحه، اتركوه فذهبوا فقام محيسن وركض إلى شلال يضربه بالرمح وكـان شلال قـد جرد حتى من ملابسه وتعب من الضرب عندها قال شلال: هاه كأنك سويتهـا صج فهـاج العبد ولمّا بلغ الغضب منه مبلغاً وكـان لا يغضب إلا إذا ضرب ضرباً مـبرحاً فلحق القــوم وأدركهم وصـار يضرب بعضهم ببعض وجمـاعتـه معــه حتى أوثقوهم واحضروهم إلى الشيخ سليمان الزهير شيخ الزبير آنذاك فأكرمه .

* * *

(١) السارية بناء على شكل نصف هرم يلتصق بحائط ابيت الخارجي يسنده ويقويه.

سعود الفداغ يحرس البلدة في الليل بمفرده:

كان سعود الفداغ [1] معروفاً بشجاعته ويقظته حتى هابه المجرمون وفي مرة تحداه أحد الأشقياء من أهل البصرة على رهن تراهن مع جماعة في أنه لا يستطيع أن يسرق في الزبير. وكان المتحدي يجول بأحدى الشوارع فلمحه سعود على البعد وصاح به شنت! وهي كلمة يصيح بها الحارس عادة كلما رأى أحداً في ساعة متأخرة من الليل فأجابه الشقي صديق ثم دار على طريق آخر ينوي الاختفاء والتسلق إلى أحد البيوت وبحذاقة الحارس الواعي عرف من أين سيدور الشقي فإذا هو غير بعيد عنه ويصيح به شنت! فقال على البعد صديق فما كان من سعود إلا أن أمسك به بقوة وكاد يحطم يديه بقبضة منه قائلاً رأيتك أول مرة فقلت صديق ودرت والتقيت بك فقلت صديق فإما أن تعلمني ما عندك وإلا حطمتك وأودعتك الشرطة فقال أنت سعود قال نعم أنا سعود قال والله ما قصدي السرقة ولكني متحديك لما علمت شجاعتك وسهرك ارجو أن تعفو عني وهذه إذني لك، فما كان من سعود إلا أن أكرمه ودعاه إلى وليمة وذبح له. من بعد هذا لم يعد أحد يتحداه أو يقف معه موقفاً مريباً.

* * *

ومن الأقوياء عبد الرحمن بديوي وهو جمّال يحمل أكياس التمن من البصرة إلى الزبير ولسبب أو لآخر ربما استدعى أن يفك الأكياس عن جمله ليعيد ربطها من جديد فهو يفعل ذلك إذ يحمل الكيس وحده ويشد وثاقه مستعيناً بيديه وركبتيه في رفع الكيس الثاني فإذا أوثقه من جهته الثانية سهل عليه رفع الكيس الثالث والرابع.

ومن هؤلاء عمر العامر وعبدالله المنيف، وكان عمر يعمل جصّاصاً في غربلة الجص بعد دقه في الدوغة، فإنه من قوته يحمل بين يديه الغربيل وثلاثة من العمال يحملون الجص الذي تخالطه الحصى ويلقونه في الغربيل،

---

(١) هو سعود العتيقي ولكنه لقب بالفداغ أخواله.

وعمر لا تنفك يداه تنخل ذاك الـذي يلقى إليه وهم لا يكـادون يلحقون بـه ويستمر العمل عـلى هذا المنـوال من الصباح حتى منتصف النهـار حتى يحين وقت غدائهم بعدها يستأنفون العمل وحتى المساء، فأي قائمتين تحملان هذا البطل وأي ذراعين ذراعاه .

* * *

ومن الأبـطال عبد الـرحمن العبدالله العبـد الرحمن الـتركي الملقب أبو ذياب كان سائراً في طريقه من جلاجل إلى المجمعة فهاجمه ذئب فاتك وهو لا يملك إلا خنجره فتصارع معه صراعاً مـريراً انتهى بقتـل الذئب ومن بعـدها أصبح يلقب أبو ذياب .

النساء في الزبير يتمتعن باحترام الرجل في حدود مرسومة

هذه ظاهرة في حياة أية عائلة على العموم، والشاذ لا حكم له. فالزوجة قبل أن تدخل العش الجديد مزودة بالتعاليم البناءة من قبل أمها وأبيها وتوصيات تتلقفها الصبية منذ نعومة اظفارها من أنها ستكون يوما ما ربة بيت وأم أطفال وتأمل أن تكون زوجة مثالية تملك قلب زوجها بما أوتيت من فطنة وذكاء. وكانت منذ نعومة اظفارها مع الصبايا وهي ترسم معهن في ألعابهن الطفولية تصنع اللعب وترسم الرجل وتصنع إلى جانبه صورة مجسمة لزوجته وعلى ملامحها صبغة الأنوثة والطاعة إلى جانب ما تظهر على ملامح الزوج من القوة والسيطرة[1]. هذه المعاني رضعتها منذ الصغر من أمها. وعلى ما هي عليه هذه الأم من بساطة التفكير وقلة العلم في أمور الحياة إلا أن هذه الأم تعلم يقيناً أن علاقتها بالزوج علاقة وثيقة صعب جدا فك هذا الرباط المقدس الذي عقده الله بشرعه بينهما وتعلم يقيناً على بساطتها أنها خاضعة لزوجها لقوله تعالى ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله وبما انفقوا من أموالهم**﴾ وتعلم أن عزها بهذه القيمومة التي وضعها الله فيها ولو فارقت بسبب منها أو بسببه فإنها ستعاني معاناة تكلفها راحتها وحياتها. وكذلك أمر الزوج حيال هذه العشرة. والمرأة ضعيفة وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بها في قوله «رفقا بالقوارير» ولقوله «خيركم خيركم لأهله» والمرأة مع هذا التقدير والحظ على تكريمها حذرها الله تعالى على لسان نبيه «لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[2] وفي حديث آخر جاء في معناه «لو إمرأة باتت وزوجها عليها غضبان فماتت

---

(١) كانت الصبايا فيما بينهن يصنعن لعبا بدائية يطلق عليها « كركي » تتمثل فيها وعلى وجهها الصورة والملامح المنطبقة في نفس هذه الصبية.

(٢) رواه الترمذي واحمد في سنده والحاكم. فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٥ ص ٣٢٩.

دخلت النار». هذه المعاني كلها قد وعاها الرجل الصالح ووعتها الزوجة الصالحة بالتربية وبالطبيعة التي عاشتها الفتاة الزبيرية زوجة أو أماً أو عروساً. ولهذا نرى الطلاق نادراً وقوام ذلك كله التربية الدينية التي وعتها البنت وهي في بيت أبيها ونتيجة لذلك فالمرأة بصنوف أدوارها العائلية مرعيٌ حقها وتراجع في أخذ رأيها في كثير من الأمور المنزلية بل وفي قضايا أخرى مما تشارك به زوجها وأخاها وأباها في القضايا الأخرى ذاك عهد مضى وفي العصور الحديثة أصبح للمرأة شأن ومشاركات في القضايا الاجتماعية والأدبية والسياسية، وأصبحت تخوض ميادين كثيرة في حياتنا اليوم في الطب والهندسة والتعليم. ومهما يكن الأمر والتقدم فتظل المرأة تتربع على تاج عرشها الذي لا ينافسها فيه منافس أعني بذلك بيتها بما فيه أمومتها وأطفالها والتصرف بحكمة في هذه المملكة بما يسعدها وزوجها والذرية واعداد جيل المستقبل لخدمة المجتمع المثالي كيف وقد رزقت طبيعة وذوقا وسياسة في هذه الأدوار والتربية، يلف ذلك كله كون المرأة في هذا الجو العائلي الريحانة المعطرة ومبعث البهجة والايناس والطمأنينة وهذه مزايا وهبت المرأة أطيابها وهي ثروة لا يطمع أن يحصل على مثلها غيرها.

الفرد الزبيري ملتزم ويحفظ كلمته :

الالتزام نظرية أدبية لها قواعدها وأصولها في الفن والأدب ولسنا بصدد ذلك وإنما الذي نقصده هنا الالتزام الأخلاقي الذي يحدد مسيرة الشخص في حياته العادية وهذا الالتزام هو الذي يطبع الشخص بطابع سلوكي معين قد يريحه نفسياً واجتماعياً وقد يشقيه إذا ما فسد مجتمعه وكان عالَماً وحده . وقد سبق أن قال الشاعر العربي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وتلك منزلة خاصة فلنجزها إلى أيسر منها حالا ونأخذ الرجل السوي الذي يتعامل مع الناس يأخذ منهم ويعطي غير أن خطة الالتزام الأخلاقي

يعتد بها منهجاً لحياته وكل إنسان يتطلب العيش بسلام وطمأنينه ليس كمن « يتطلب في الماء جذوة نار » ومن سلك هذا المسلك الوسط عاش غنياً مطمئناً يساير الناس مع مستوى المجتمع البشري وكل شيء قابل للتغير بالزيادة أو النقصان ولكن يبقى شيء أساسي في النفس الحرة هو سلامة الضمير فلا ينزل مع نزول من فقدوا هذا الضمير ممن كان لهم الاستعداد لذلك الهبوط . والتربية الإسلامية القوية التي عاشها الفرد في الزبير قد تغلغلت في الأسرة موروثة باعتزاز عن العهد الذي قبله فهو إذا وعد وفى وإذا قال جاداً في أمر في وعد أو وعيد فإنه يعني ما يقول ولكل أمر شذوذ والشاذ لا حكم له .

ذكر أن أحدهم يعمل في التجارة وكان يجلس في بيته فجاءه دلال واشترى منه بضاعة كبيرة بسعر معين فلما خرج التاجر إلى السوق وجد هناك فرقاً في السعر ليس في صالحه فعاد إليه الدلال مرة أخرى ليعطيه بعض ثمن البضاعة ويده على قلبه ذلك أن هذا الفرق في السعر قد حصل في فترة مفاجئة وكان بإمكان التاجر أن يرفض البيع وهو لم يأخذ عربوناً فطمأن الدلال وقال : تخاف أقلب ! فأدرك الدلال ما كان يخشاه ثم ما كان من التاجر[1] إلا أن أعطاه تحويلا على البضاعة . والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى وهذه المعاملات كانت تجري لدى الزبيريين أهل نجد في البصرة .

وتاجر آخر باع بضاعة في سوق التجار والبضاعة لم تنزل بعد من الباخرة بسعر مسمى ولم يأخذ عربوناً إنما هي كلمة فقط فسمع تجار آخرون كانوا قد جاءوا من ألوية أخرى يتعاملون في البضاعة نفسها وعلموا بالسعر الذي باع به هذا التاجر النجدي وأعطوه سعراً أعلى فقال لهم قد بعت من هو قبلكم فقالوا نعم قد علمنا ذلك ولكننا نعطيك الآن سعراً أعلى والبدل نقدي والبضاعة مازالت تحت يدك فقال لهم هذا الكلام ما يفيد أنا بعت

---

(١) قيل أنه الحاج سليمان محمد الذكير .

وخلاص روحوا اشتروا من عنده فسقط في أيديهم »[1] والأمثال على ذلك كثيرة .

والرجل يعد زوجته بشيء من الهدايا فلا يخيب ظنها وكذلك يعد أولاده بمناسبة سفر أو نحوه أو يعدهم ذلك على شرط النجاح آخر العام ويحين الوقت والنتائج جيدة فيبر بوعده .

ويتفوه أحدهم أو احداهن بالقول : الذي يبشرني في مولود أو بشيء يسميه فيصدق الله فأله فيما تمنى فيأتي البشير يُنهي إليه هذا النبأ فيعطيه البشارة . وأمر هذه البشارة شائع في أوساطنا ولو لم تكن مسبوقة بوعد . وهذه بادرة طيبة تنم عن سماحة وأريحية كما أنها تنتشر في الكويت والمملكة العربية السعودية وفي كثير من الأوساط العربية والإسلامية .

طاقات مخبوءة :

إمارة الزبير التي لا يزيد عمرها على أربعة قرون تقريباً والتي يتراوح عدد سكانها ما بين عشرة آلاف إلى خمسين ألف على مختلف العصور كانت تحتفظ بقدرات ونشاطات وطاقات يظهر منها ما يظهر داخل البلدة وتحتفظ بالكثير لا يظهر إلا إذا خرج الواحد منهم خارج بلدته . هذه الطاقات تجمع فيها تجمع النشاط الذهني والطموح والتطلع إلى المستوى الذي هو أوسع من محيط بلدة صغيرة ، شبههم بعض المفكرين أنهم كالخيول التي تختزن قواها ونشاطها فهي في بعض الأحيان تصهل تريد الانفلات فإذا خرجت من محبسها ظهر نشاطها للعيان وبان أصالة جوهرها، بهذا يعزي كثرة معاركها فيما بينها تظهر على شكل معارك ساخنة بين فئة وأخرى مع قرب بعضهم من بعض في النسب والعشيرة فإذا وقع المصاب تذكروا . وهم كما قال الشاعر العربي القديم :

إذا احتربت يوما فسالت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

---

(١) هذا الرجل هو عبد الوهاب عبدالله الونيسي وشريكه عبد المحسن بن سالم السالم في الخمسينات من هذا القرن .

ولو رحنا نجري إحصاءً في شيوخ الزبير الحاكمين خلال الحكم المشيخي من الثلث الأول للقرن الثاني عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر لوجدناهم (٢٢)[1] شيخاً يملأون حكم مائتين وعشرين سنة أي أن معدل حكم الواحد منهم عشر سنوات . في حين نرى بعض الحاكمين في أقطار عربية أخرى قلة في عددهم وكثرة في سني حكمهم .

ولهذا يعزي تخاصم الزهير والثاقب أيام حكمهم . ويعزي تخاصم السميط وآل راشد وتعزي خصومات أهل حرمة .

ثم نعود للمسألة الواحدة من وجهها الآخر عندما يخرجون في سبيل العمل والمغامرة لشق طريق حياتهم التجارية نجد أحدهم يعمل في التجارة بصدق وعزيمة وجهد فإذا هو ينجح في عمله نجاحاً باهراً بلفت الأنظار ويبز منافسيه من غير أبناء جلدته فيوسع أعماله ويشتري أملاك النخيل ويملأ الأسماع في الأقطار . ونراهم يقدمون المعونات المادية والأدبية لأبناء بلدهم بغض النظر عن كونهم من العائلة نسبا أو لم يكونوا ، نراهم يتحانون فيما بينهم وقد كانوا بالأمس يتقاتلون كل ذلك فيما نعتقد وفاءً لمسقط الرأس فإن حبه لبلده ومدرج صباه يعطفه على رفقة الصبا الذين عايشهم بالأمس فتياناً وشباباً وكهولاً . يحنو عليهم عنوانا لحبه لبلدته أو كأنه يكفِّر عن تقصير جرى منه أيام فتنة جرت في فترة ما في عصر ما من حياة هذه البلدة أعني بها الزبير .

وكذلك هذه النفس الطموحة تتمثل في الطالب في سني دراسته وتحصيله العلمي تراه يرافق أنداداً له وصحاباً في مواصلة دراستهم بالخارج للحصول على الماجستير أو الدكتوراه فتجد المبرزين فيهم من ذلك الفريق الذين عنيناهم ولا نقول ذلك اعتباطاً بل قدّمنا الشواهد في تضاعيف هذا الكتاب[2] والأمثال تتوالى دائما مع الزمن .

---

(١) ذكرت أسماء هؤلاء المشايخ في الجزء الأول.

(٢) راجع « الأذكياء » ص ١٠٨ من هذا الجزء

مساع خيرة

١ ـ في الكويت

تكونت لجنة عام ١٩٥٧م في الكويت لغرض جمع تبرعات شهرية لمساعدة الفقراء والمعوزين وأنقاذ المرضى المستعصية أمراضهم من أهل الزبير للعلاج في الخارج واللجنة تكونت من الأسماء مترتبة أبجدياً :

١ ـ أحمد عبد اللطيف الشارخ. عضواً
٢ ـ بدر عبد الرحمن البدر. عضواً
٣ ـ طارق ابراهيم الشيخ. عضواً
٤ ـ عبد العزيز سعود البابطين. عضواً
٥ ـ عبد الوهاب عبد الكريم. عضواً
٦ ـ عبد المحسن يوسف الحمود. عضواً
٧ ـ عثمان العبد المحسن العبد الكريم. عضواً
٨ ـ أحمد علي الفريح. عضواً
٩ ـ هزاع جاسم الحسيان. عضواً
١٠ ـ يعقوب يوسف السابج. عضواً

وهذه كونت في كل دائرة من دوائر الدولة[١] ممثلاً لها يجمع التبرعات الشهرية من أهل الزبير المقيمين في الكويت وتجتمع اللجنة كل شهر للمداولة فيما يجدّ من مواضيع وأضافة ما تقف عليه من ذوي الحاجات للبتّ فيها وأضافتها إلى تلك القوائم .

والذي تقرر في هذه اللجنة أن يقدم كل موظف صغيراً كان أو كبيراً من أهل الزبير عشر روبيات ومن التجار ثلاثين روبية شهرياً .

(١) هذا قبل ان تتكون الوزارات .

وكونت اللجنة الأم لجنةً معتمدة أخرى في الزبير مكونة من :

١ ـ محمد خالد الدهيشي .
٢ ـ عبد العزيز ناصر الموسى .
٣ ـ الشيخ جاسم محمد الجامع .
٤ ـ الشيخ عبدالله عقيل العقيل .
٥ ـ الشيخ عمر عبد الرزاق الدايل .

وقامت اللجنة بترميم عدة بيوت للفقراء وأجرت رواتب شهرية لبعض المعوزين . وقد قامت اللجان بأعمالها خير قيام لفترة من الزمن .

ويوم أن انحلت اللجنة كان في الصندوق مبلغ ما فتقرر تسليمه إلى مدرسة النجاة الأهلية . وفق الله العاملين للخير ولمثل هذا فليعمل العاملون .

المعمرون

لأول ما يلفت نظر السامع إلى أن المعمر هو الذي بلغ من العمر عتياً . وهذا الوصف قد ينطبق على الذي تجاوز الثمانين إلى المائة وربما تجاوزها ، ويدخل ضمن هذا من رد إلى أرذل العمر كما قال تعالى : ﴿ **لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً** ﴾ .

والخرف عند بعض المعمرين نتيجة مرض معين يصيب بعض الناس عند إلشيخوخة . والشيخوخة تعني عند علماء اللغة من مشى في بحر السبعينات فقالوا : في شرح الشباب متى بلغ الثالثة والثلاثين ، فإذا تجاوز ذلك وبلغ الأربعين فهو في قمة الشباب والرجولة وسداد العقل ، فإذا تجاوزها إلى الخمسين فهو في الكهولة وتمتد هذه حتى الستين ، فإذا جازها حتى السبعين فقد دخل في الشيخوخة وتمتد هذه حتى الثمانين فإذا تجاوزها صاعداً إلى التسعين فهو الطاعن وهو من المعمرين الذي بلغ من العمر عتياً ، فإذا بلغ المائة فقد دخل في العمرين وعمره الثاني كله متاعب .

وفيما يلي بعض المعمرين ممن أدركناهم :

١ ـ أبو سريح : بلغ ١٣٠ سنة وقد سعى إلى الملك فيصل الأول ملك العراق في بغداد وقابله ورحب به الملك وسأله عن عمره وممن أدرك من الملوك والأمراء فقال : أدركت حرب الدرعية في نجد[1] . ثم أن الملك سماه (شيبة الرحمن) وأمر له بمرتب شهري .

٢ ـ الشيخ محمود المجموعي) بلغ ١٠٦ سنوات .

٣ ـ الحاج عبد المحسن المهيدب : بلغ ١٠٠ سنة .

٤ ـ خلف اللافي : جاوز المائة .

---

(١) وقعة الدرعية هي التي أستولى فيها ابراهيم بن محمد علي باشا على الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ .

٥ ـ ناصر محمد الحسينان : جاوز المائة .
٦ ـ ياسين الشيخ محمد العبد الجبار : بلغ المائة ولما يزل والله في عونه الآن .



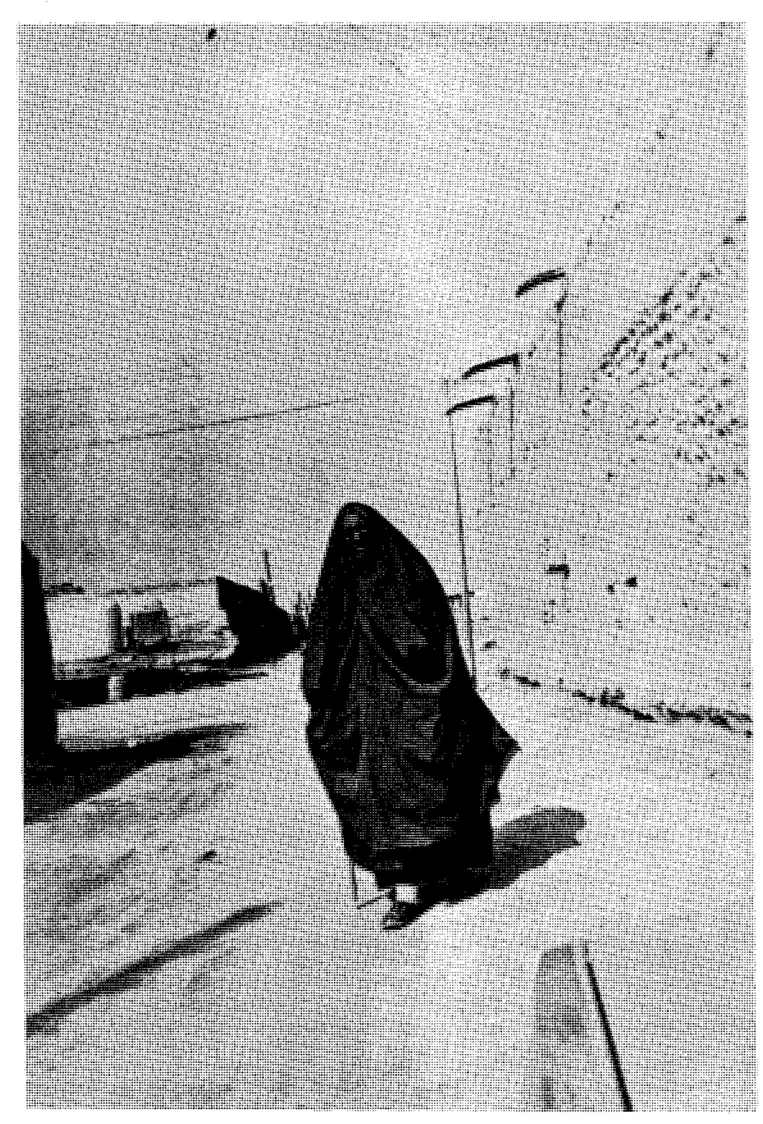
رجل مسن

٧ ـ ناصر ابراهيم الزير : جاوز المائة (له من العمر ١١٠ سنة) .
٨ ـ الحاج فهد الراشد : جاوز المائة ومازال على قيد الحياة والله في عونه الآن .
٩ ـ سالم الحميد (الشاعر) : جاوز المائة [1] .
١٠ ـ عبد الحميد محمد الحميد (شقيق الشاعر) : جاوز المائة .
١١ ـ أحمد محمد الدايل (الشيخ) : بلغ المائة .
١٢ ـ الشيخ عبدالله المزين : يشارف المائة ومازال على قيد الحياة .
١٣ ـ عبد الرزاق عبدالله البطاح : بلغ من العمر ٩٧ سنة ومازال على قيد الحياة .

---

(١) ديوان الشاعر سالم محمد الحميد ص ٦ : تقديم الدكتور علي عبد الرحمن أبا حسين .

١٤ ـ الحاج محمد سليمان العقيل : قارب المائة .
١٥ ـ يعقوب يوسف الدليجان : أوشك على المائة .
١٦ ـ الشيخ عبد الرزاق محمد الدايل : بلغ المائة إلا نيفاً .
١٧ ـ جيعان الجيعان : أدرك المائة .
١٨ ـ عبد العزيز المنيع : أدركها .
١٩ ـ الحاج منصور العمار : بلغها وناف .
٢٠ ـ يوسف أحمد الثاقب : تجاوز السابعة والتسعين .
٢١ ـ رجب الرجب : بلغ الثامنة والتسعين .
٢٢ ـ الحاج عبد الرحمن البريكان (أبو عبدالله) : يقارب المائة .
٢٣ ـ ابراهيم الحدبان : ناف على المائة . كان يبيع الجت .
٢٤ ـ الشيخ عبدالله الحمود : جاوز المائة .
٢٥ ـ برجس الجريد : يناوش التسعين.
٢٦ ـ برجس الحميان : بلغ المائة .
٢٧ ـ سعد الجاسم (زاروع) : بلغ المائة .
٢٨ ـ حمدان الحمدان : بلغ المائة .
٢٩ ـ عيدان الحدبان : صاحب مزرعة . بلغ المائة .
٣٠ ـ أحمد التركي (أبو عبد الرحمن) : بلغ المائة .
٣١ ـ عبدالله الجريد : ناف على المائة ـ وهو أبو برجس الجريد .
٣٢ ـ عبدالله الطيران (أبو عيسى) : وكان سقاءً . بلغ المائة .
٣٣ ـ ابراهيم الصريع : قارب المائة .
٣٤ ـ سعود الدريويش : جمال . ناف على المائة .
٣٥ ـ ناصر علي الخليف : ناف على المائة .
٣٦ ـ عبد الرحمن الخالد : ناف على المائة .
٣٧ ـ خالد الخالد (يحبو من العجز) : ناف على المائة .
٣٨ ـ أحمد سعد الجعيثم (أعمى) : ناف على المائة .
٣٩ ـ عيسى العيسى الزئبق (زاروع) : ناف على المائة .
٤٠ ـ حمد الشعيل (بزاز) : ناف على المائة .



احد المسنين في الزبير (ابراهيم عمر العلي)

٤١ ـ أحمد الجندل (مريبحاني) :
٤٢ ـ ناصر العوهلي : بلغ ١٣١ سنة .
٤٣ ـ عبد الكريم الدلامي : بلغ ١٣٠ سنة وتوفي قريباً .
٤٤ ـ سليمان السويدان : بلغ المائة .
٤٥ ـ عبد العزيز الشريدة : بلغ المائة .
٤٦ ـ سليمان العيسى : بلغ التاسع والتسعين سنة .
٤٧ ـ عبد الباقي الحاتم (ولده حاتم) : بلغ ١١٠ سنة .
٤٨ ـ خالد الحاتم : بلغ ١٢٠ سنة .
٤٩ ـ عبد الرحمن البعيجان ؛ خراز النعال) يلقب (بالسيد) : بلغ المائة
٥٠ ـ عبدالله عبد العزيز الدريويشن :
٥١ ـ حجي مثال (مجبر الكسور) : بلغ التاسعة والتسعين سنة .
٥٢ ـ ابراهيم الرزناوي : يحوم حول المائة .
٥٣ ـ الحاج زامل المسفر : يحوم حول المائة .
٥٤ ـ الحاج ميضان الميضان : يناوش المائة .
٥٥ ـ محمد أبو عبدالله الشامة : بياع البيض ـ ناف على المائة .
٥٦ ـ ابراهيم الدريهم (أبو يوسف) : فوق المائة .
٥٧ ـ محمد الدعيجي : فوق المائة . (وينادى عليه جد الجد) .
٥٨ ـ عبد الوهاب الجمعة :
٥٩ ـ صالح عبد العزيز الدايل : بلغ المائة[١]

(١) ان المذكورين في هذه القوائم هم من أدركناهم .

الطبقات الاجتماعية في الزبير

في القرن التاسع عشر

الطبقات الأجتماعية في الزبير على ثلاثة أنواع هم :[1]

١ ـ الحمارة .

٢ ـ الملاكة .

٣ ـ الزَّراع .

فأما الحمارة فهم جيش الأمارة والحرس الخاص بالأمير كما هم القوة الضاربة لدفع العدو وحماية البلدة . وسمو بالحمارة لأنهم يعملون في وقت السلم لجلب الأرزاق من البصرة إلى الزبير على الحمير (والخيل والبغال) يجلبون هذه الأرزاق من البصرة وسوق الشيوخ فيجلبون الأرز والماش والعدس والباقلاء ، كما يجلبون التمر والأرطاب من الجنوبات في البصرة . وفي أوقات يحملون الرمل والجص والحصو من خارج الزبير إلى البلدة كمواد للبناء أو يحملون ذلك إلى البصرة أو يستعملون حيوانهم في البصرة لردم المستنقعات بحمل التراب من مكان إلى مكان بأمر الوالي لقاء أجر معين . وكما أستعمل هذا الحيوان في مشروع (خرطراد) وهو سد ترابي انشأه الجيش البريطاني من البصرة إلى الشعيبة[2] مروراً بالحصوة .

---

(١) جاء ذلك التقسيم على لسان (سالنامة) البصرة وهي الجريدة الرسمية في العهد التركي سنة ١٩٠٢م : مكتبة باش أعيان .

(٢) خرطراد : مشروع ضخم أقامه الأنجليز سنة ١٩١٤ بعد أحتلال البصرة أنشأوا السدة بين البصرة فالحصوة فالشعيبة . وقد كانت هذه الأرض تغمر بمياه الفيضان أو مياه هور الحمار . . انشيء لمرور العجلات ومواد الحرب والمدافع أستعداداً لمعركة ستكون حاسمة بين الأنجليز والترك سنة ١٩١٥م لمسافة طولها ٢٥ كم تقريباً .

والحمارة هم عدة الأمير إذا ما دقت ساعة الخطر . حيث أن العدو يرصد من بعد بواسطة درابيل يحملها حراس أمناء من بعد عشرات الكيلومترات من مفاتيل تحيط ببلدة الزبير فيعلن الأمير الخطر ويدق طبل الحرب في وسط (الحزم) للبلدة وهي الساحة المركزية للبلدة ، وفي الدروازة ينادي المنادي بخروج الحمارة مسلحين [١]. هذا هو دور الحمارة وما ذكر يوماً أن حدثت معركة مقابلة خسر فيها جيش الزبير في تاريخ البلدة .

أما طبقة الملاكة فهم لا يقلون أهمية في حياة الأمارة فالكثير من أهل الزبير . . يملك قطعة من النخيل في «جنوبات» البصرة . . المطيحة ، المناوى ، مهيجران ، حمدان ، أبو مغيرة ، عبدليان ، وغيرها . فيذهب أصحابها بعائلاتهم بقضون الصيف فيها فهي مصيفهم طيلة ثلاثة أشهر . ينعمون ببرد الجو مقارنة بلفح السموم في الزبير فيرتحل عدد كبير إلى هذه البساتين فينعمون بالماء العذب مقارنة بماء الدريهمية ومنهم العامل في النطارة أو في الجراديغ [٢] . فإذا أنتهى موسم الثمرة وتكيلوا من التمر مكبوساً بالقوصرة أو منثوراً بالصربال وخلال المطبوخ والدبس المعبأ في التنك ، وببعض الثمار كالدنبلان والرمان وماء اللقاح وماء الورد والبطيخ وبالأحطاب (السعف والجذوع) عادوا أيام الخريف إلى الزبير وبلا شك فأن قدراً ما من هذا المحصول يوزع على الجيران ، وإذا علم توزيع هذه النسبة حيث يوزع كل ملاك على جيرانه ظهر لنا الأكتفاء الذاتي تقريباً بهذه المادة . والتمر مادة أساسية في حياة البيت الزبيري إلى حد ما . وأثمان هذا المحصول من التمر من هذا الملاك يتحرك في نشاطه التجاري المحدود أو الموسع محلياً أو عالمياً .

---

(١) فأن كان القوم (العدو الغازي) قليل العدد أكتفى أمير البلدة بدعوة الحمارة . أما ان كان كبيراً فيكون نفيراً عاماً . وكان كل بيت ـ على الغالب يملك حصاناً وحماراً ، وسلاحاً ، وجملاً . كما أن كل فرد من أهل الزبير هو جندي بالفطرة لا يهاب الموت عند الشدة وهو شجاع بأيمانه وبحقه قوي البأس . يجيد الرمي .

(٢) منهم من يعمل في الجرداغ بصورة (وقاف) أو كاتب أو دلال . والوقاف هو الذي يراقب العاملات اللاتي يرصفن التمر بالصناديق والكاتب هو مدير الجرداغ حيث يكون موضع معتمد صاحب الجرداغ نفسه . ومن هؤلاء من يشتري الفصم (النوى) والقموع يتاجر به علفاً للحيوان .

أما طبقة الزراع فتأتي في الدرجة الثالثة من الأهمية حيث يجرب المزارعون حظهم في طرق باب الزراعة في أراض زراعية حول الزبير كالبرجيسية والقريطية والسلمانية والكرى ومسلي والصعيرية حيث يزرعون الطماطا والبطيخ والقرع والكوسة [1]. كما يزرعون الفجل والكراث والبصل والثوم للاستهلاك الغذائي وقد بحثنا الزراعة وما يبذله المزارع في سبيل استخراج الماء من عمق الآبار ومتاعب الجو الحار إلى غير ذلك وما يحصل عليه من زراعة الأثل كأطار خارجي للمرزعة . . ومن طريف ما يذكر أن المحاصيل الزراعية يصل منها إلى جيران المزارع كهدايا تماماً مثلما كان يفعل الملاك من توزيع بعض أنتاج ملكه من التمر .

● ● ●

ملاحظة حول الكوسة :

وهذا النوع من الخضروات طيب الأكل جلب بذوره الحاج أحمد الحمود من أهل الزبير يوم رآه في سوريا فأعجبه وزرعه في مرزعته وأنتج نتاجاً جيداً وشاع أسمه إلى خارج منطقة الزبير حتى عم العراق كله . وكان الزارع قد نسي أسمه فسماه الناس (حجي أحمد) باسم جالبه . ولكن ناساً آخرين عرفوه بعد ذلك بأسمه الحقيقي (كوسة) . ومع ذلك فبقى له أسمه الأول إلى جانب أسمه الجديد .

---

(١) والبعض يسميها (حجي أحمد) .

الطبقات الاجتماعية في الزبير
في القرن العشرين

كما قسمهم مؤرخ هذا القرن بأن الطبقات الأجتماعية في أوائـل القرن العشرين بأنها خمس هي :

الطبقات الثلاث المتقدم ذكرها ويضيفون إليها :

١ ـ طبقة الحصانة .

٢ ـ طبقة المريبحانية .

أما طبقة الحصانة فمنهم الذين يعملون بتجارة الخيل بين الزبير والهند فيشترون الخيل من (العراق) ثم يصنفونها إلى ثلاث أصناف :

١ ـ خيول السباق : وهي تمتاز بطول في القوائم وطول الظهر والرقبة .

٢ ـ خيول لركوب الأمراء والـرؤساء : حيث أنها جميلة الشكـل يظهـرون بها استعراضاً وفي الحفلات والأستعراضات والمواكب الرسمية في الهند .

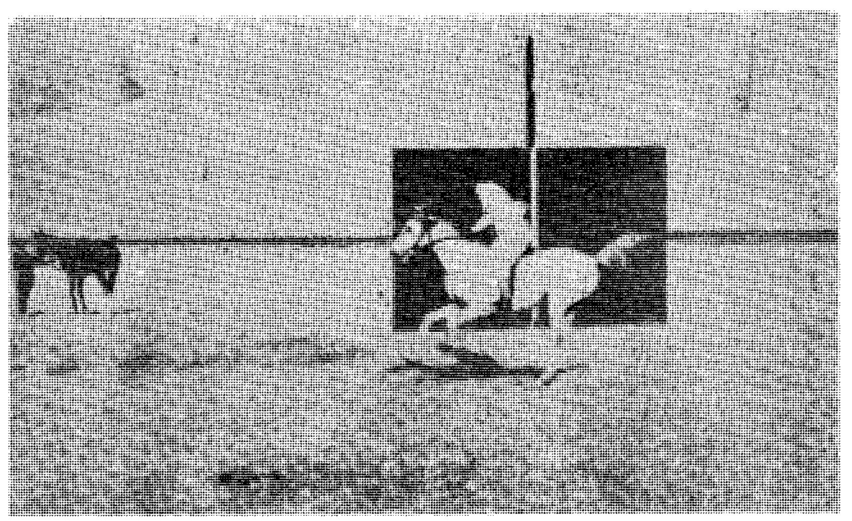


عريب دار أيام حكم الشيخ ابراهيم العبدالله الراشد

٣ ـ خيول للحمل وجر العجلات : وهـذه تفتقد تلك الصفـات مارة الـذكر وفيها البغال حيث الضخامة ومتـانة الأرجـل وقوة العضـل وتستعمل في الحمل وجر العربات وصعود الجبال .

وأفضلها وأثمنها قيمة حسب هذا التصنيف الأولى فالثانيـة فالثـالثة[١] وهؤلاء التجـار ذوو بصر وتجـربـة في تقييم هـذا الحصـــان أو ذاك ليحـددوا قيمته . .

وهنـاك عوائـل أختصت بهذا العمـل منهم المانـع والفـارس والـذيب والزامل والمنديل وآل عبـد الهادي من أهـل الزبـير . وكان في هؤلاء التـاجر والسـائس والجـاكي والمكـاري الـذي يصحب الخيـل من الـزبـير إلى الهنـد بأجرة . على أن هذا الفريق حين ينتهي موسم السباق يشترون البضائـع كل على قدر حاله من أسـواق الهند من بخـور ودهن عود وورد وزعفـران وعصي



صورة الفرس اليازي العائدة إلى الشيخ ابراهيم شيخ الزبير في الساعة التي كانت سابقة فيها في القسم الثاني من المسابقة

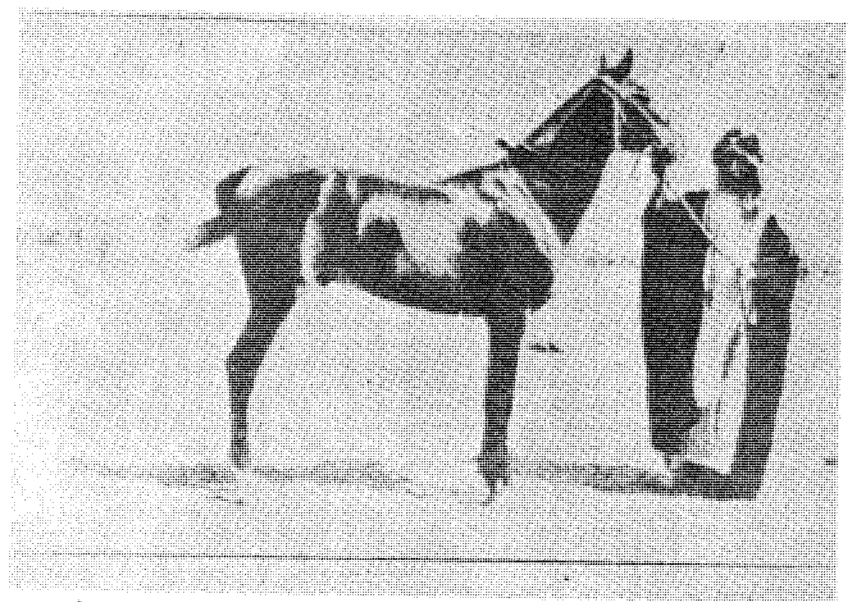
خيزران وتوابل (بهارات) وألعاب أطفال ومـلابس مخيطة وغـير مخيطة منهـا الحـرير الـطبيعي والزري والأصـواف الفاخـرة والشال والحلوى وغـير ذلك

---

(١) أستقينا هذا من الحاج خلف أحمد المانع .

فيبيعونها في الزبير أو البصرة أو بغداد .

أما طبقة المريبحانية فإنهم وفرة يعملون في بيع السمن والأصواف والأغنام والكمأة واللبن المختر يتلقونها من أعراب البادية فيخرجون إليها على مسافة بضعة كيلومترات أو بضعة عشر كيلومتراً خارج الزبير يشترونها منهم ولا يدفعون لهم أثمانها كلها بل يرضى هذا البدوي بالأقل عربوناً ثقة منه بهذا الزبون نظراً لما جرب منه من صدق . فيأتي هذا المريبحاني إلى السوق ويبيع ويقبض الثمن نقداً بعد أن قدر ربحه ، أما ذلك البدوي فأنه يقدم المدينة وسيلتقي بصاحبه وبينهما أتفاق أن يلقاه في الدروازة فيقبض الثمن ثم يشتري بما عنده من حوائج معيشية كالتمر والرز الأحمر (وهو غير مهبش) والطحين والملابس المخيطة ذات الألوان البراقة والغتر (الشماغ) والملابس النسائية كالثياب والبراقع .

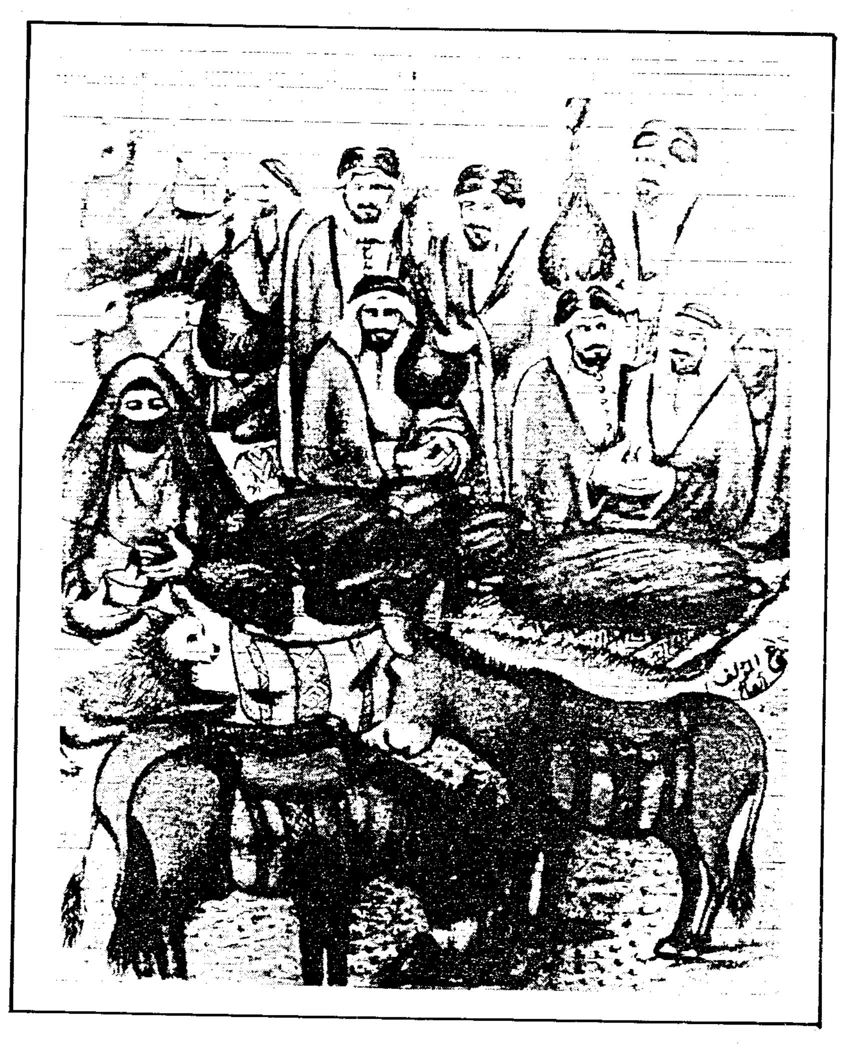


الشيخ فهد أحمد النصار يعرض أجمل جواد عربي أصيل له أيام الحكم الفيصلي الأول عام ١٩٢٥م

وقد يتم البيع والشراء بين المريبحاني والبدوي داخل الديرة . وما أجمله منظراً حين تأتي القافلة بأبلها وخيلها وحميرها (حمار خكر) فيستقبلهم

المريبحانية وينزلون في الدروازة وقدومهم قدوم خير للمدينة ولذلك يقولون أن القوافل قناديل المدينة يأتون ويأتي معهم الخير وكانت هذه القبائل تأتي إلى الزبير زرافات ووحداناً من الظفير وشمر وعنزة وبني خالد والعتوب وقحطان وغيرهم ممن كانوا يأتون من بادية الزبير وما فوقها . . وكان شيخ الزبير يرحب بهم فلا يأخذ منهم رسماً تشجيعاً وتيسيراً لهم ويفرض الشيخ الضريبة (الرسم) على ما يخرج من البلدة فقط .

إذا لاحظنا هؤلاء الناس (أهل البلدة) وهم يسعون في هذه المصالح غادين ورائحين مشترين وبائعين . رأيتهم وكأنهم خلية نحل يسودهم التكافل . ذاك مجتمعه وتلك حياته المعيشية في تلك الفترة التي مضت بين أوائل القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين .



تمثل الصورة التاريخية (المريبحانية) وهم يشترون السمن (في الظروف) من عرب البادية الذين يأتون في فصل الربيع إلى الزبير ويرجع عهد الصورة إلى شيخة ابراهيم العبدالله الابراهيم ١٩٢٠م

الارواح الشريرة

في سنة ١٩٢٧ م وقع للشيخ احمد العبدالله الأبراهيم حادثة غريبة في منزله روع سكان الدار . تلك كانت أحداث غريبة تقع لهم ليلاً تكلمهم وهم لا يرونها وكان الناطق باسم هذه الأرواح يوجه حديثه الى الشيخ احمد فقط ويأمره بالخروج هو وأهله من هذا البيت وإلا أراهم من الخراب والمروعات أشكالاً . ولكن الشيخ أحمد أحتقره ولم يرد عليه فما كان من هذه الروح إلا أن قلبت بعض الأواني على بعضها وكسرت ما يمكن كسره وهي تقول : « أخرج وأخرج أهلك . . » ودارت أحاديث كثيرة فيها الصحيح وفيها الباطل . وأخرج الشيخ احمد أهله الى بيت أخيه وصمد في داره يكيل لهذه الروح الصاع صاعين للخصام والرد الشجاع وما كان من هذه الأرواح إلا أن تهزأ وتضربه بالأحجار دون ان يراها والعجب أنها لا تصيبه بل تتقلع حوله وظلت الحال أياماً وليالي فأستدعى ثلاثة من المشايخ هم : الشيخ محمد عبدالرحمن السند والشيخ تقي الدين الهلالي والشيخ عبدالله الرابح . ولما حضروا ظهرت عليهم الروح وكلمتهم وضحكت منهم وقالت : « ليخرج صاحبكم » . « أنصحوه أن يخرج » . وأخيراً خرج وأجره على مديرية المعارف فكان مدرسة أبتدائية وأنقطع ذلك الشر .

والحديث في غمرة هذه الحادثة كثير نستخلص منه هذه الفقرات :

١ ـ كان هذا البيت (مصلى العيد) في أوائل هذا القرن الهجري ثم لما كبرت البلدة أصبح هو في وسطها وعاد لا يصلح لصلاة العيد لأن من شروط مصلى العيد أن يكون خارج البلد فترك وأصبح مباءة للنفايات فأقترح ذوو الورع والدين أن يستملك ويستبدل به مصلى للعيد آخر خارج البلد وأجريت عليه معاملات الأستملاك . وظهرت بصحة هذا العمل فتوى

دينية وأشتراه الشيخ أحمد بالوجه الشرعي فقيل أن هذه الأرواح تدعو بحرمة هذا التملك وان ما وقع للشيخ ما هي إلا عقوبة .

٢ ـ أن أَمَةً مملوكة كانت لدى الشيخ احمد تنزع الى حريتها وتطمع أن يعتقها وهم يأبون ذلك . فقيل أنها هي التي تقوم بهذه الأعمال بواسطة أعوان لها من خارج الدار .

والقول في ذلك يطول ويقصر وأنتهى الآن كل شيء وأنما على المؤرخ ألا ينتصر لهذا ولا ذاك لأننا لم نر ذلك بأنفسنا فيثبت ما وقع وما تداولته الأخبار.

الحالة الصحية في الزبير

مرت الزبير بتطورات صحية ومرضية خلال الأجيال الماضية هي إلى التردي أقرب منها الى العافية شأن أكثر أقطار الشرق العربي. وكانت الموجات من الأمراض الوافدة أو المتوطنة تجتاح هذه الديار فتحصد المئات بل الألوف في نجد والعراق والخليج العربي دون أن تلقى المقاومة في البصرة وبغداد والكويت والزبير - كمرض الكوليرا والطاعون أو ما يسمى بالهواء الأصفر القادم إلينا من الهند وايران - ذكر ذلك لونكرك صاحب أربعة قرون من تاريخ العراق. كما ذكره الشيخ عثمان بن بشر صاحب عنوان المجد في القرن الثالث عشر الهجري والرابع عشر.

ومرت الحال على ذلك ولولا لطف الله الأكرم لاتسع الخرق على الراقع. كان الملاريا والبعوض يملأ المستنقعات وسوء الحال المعاشية والحروب المتطاولة.. حتى ختمت بالحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ وما تلاها من ذبول حتى كان الحكم الوطني في العراق ثم دخول بلدة الزبير في نظام التقسيم الاداري. فكانت ناحيةُ تابعة رأساً للواء البصرة فنسّبت مديرية صحة اللواء الدكتور: «ودواني» طبيباً مؤقتاً وهو هندي الجنسية.. كان طبيباً حاذقاً إلا أن الوسائل الطبية آنذاك كانت ولقلة وجودها ما تفت في عضد الطبيب الحاذق[1]. ثم نقل إلى البصرة وحرمت الزبير.

وجاء الدكتور «صوفي» وما هو بدكتور يحمل الشهادة ولكنه مضمد طبيب صحب الحملة البريطانية إلى العراق في حرب ١٩١٤. ثم نقل إلى

---

(١) استطاع أن ينتزع (دودة) علقت في بلعوم امرأة كادت أن تقضي عليها ولما أن القاها في قارورة زجاجية تطاولت حتى كانت بطول عشرة سنتيمترات سوداء دقيقة. كانت هذه من ماء الدريهيمية وكان المستوصف بيت عبد العزيز محمد المانع على الباطن.

طبانة الزبير فكان كل شيء في الزبير واسمه الحقيقي [عبد الحسن صوفي] وكان جل علاجاته: القنقينة. وتحت يده المضمد (رماح الرماح) من الزبير فإذا جاءه المريض نظر إلى وجهه وقال: رماح كنكيته. فيملأ رماح الاناء الزجاجي المعروف فيتجرعه هذا المريض وكان من المرارة ما لا يطاق، وكذلك المرهم الاصفر الزنك والأسود فقط إذا كان الأمر يحتاج إلى ذلك ومرت سنون وبعد شكايات من الأهالي متكررة نقل من الزبير.

وجاء بعد وصول الماء إلى الزبير سنة ١٩٣٨م دكتور اختصاص هو سعيد عبده وهو دكتور مصري وجيد وهو فوق ذلك أديب وكاتب أصدر كتاباً قصصياً ثم لم يطل حتى نقل في بداية سني الأربعينات وكان ذلك من سوء حظ هذه البلدة، وضجت الشكاوى مرة أخرى.

فجاءنا الدكتور خلوف عراقي الجنسية من أهل الموصل وكان وسطاً نوعاً ما وسد فراغاً. هذا والطب الشعبي آخذ مجراه.. كما أن الاصابات ببعض الأمراض تأخذ مجراها أيضاً. فالاصابات بالسل وأمراض الأطفال لا تعرف التلقيح - التلقيح الثلاثي - والحصبة والجدري والعدوى معها كلها والوفيات.. فالمرضى الكبار يظل أحدهم تحت وطأة مرضه [بعدد أيامه أو كما يقال انه يقسّ] حتى يتوفى في بيته ومنهم من يحمل نفسه للعلاج في سورية. وهذا شاب في ريعان شبابه ظل يتناقص فتقول أمه لأبيه: انت ما تشوف لولدك شوفة. ما تشوف وجهه اصفر ويكحّ!! تبي حتى يموث بين ايدينا؟» وهذا شيء مؤلم في العائلة فمنهم من يعجل ويشوف الشوفة أو يفرط بين أيديهم.. كل ذلك والبعض يقول: مصوع وما فيه إلا العافية!!.. والعافية بعيدة عنه.. وكان يوسف العنيزي تحت يد الدكتور مضمداً.
والطبيب؟ الطبيب ليس بيده حيلة عندنا[1].

---

(١) كانت في هذه الفترة وجدت حبوب تسمى سكس ناين ثري (وجعلت تستعمل لكل شيء فهي السحرية حتى قيل فيها أنه تصلح لعلاج (٦٩٣) مرضاً وحتى أصبحت تباع بالسوق السوداء وارتفع ثمنها. وليست في الحقيقة كذلك.

وفي هـذا الجيل جيـل الأربعينات غـزت بلدة الزبـير بعض الأمراض وفدت من ايران سنة ١٩٤٣ ذلك هو «التيفوس» وحصد الأرواح ما شـاء له أن يحصد ثم انقشع والحمد لله .

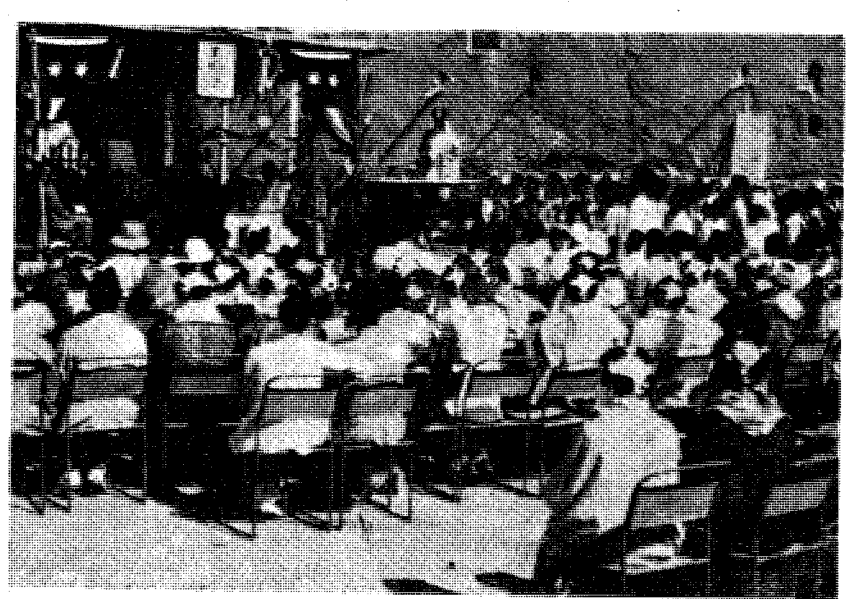
وفي الخمسينـات نقل (خلوف) وجـاء الدكتـور: نـوري عبـد القـادر الدول وهو شاب خريج كلية الطب العراقية فيه حرارة حب العمل للسكـان واقـترح عدة اقـتراحات بنّـاءَة وأيده وجهـاء البلد والناس الآخـرون ونفذت الحكـومة اقـتراحاتـه . . وبني مستشفى عام في الـزبير. . وبنى الحـاج محمـد العقيل مستشفى، فسد فراغاً ما . . وبنى مصحى للأمراض الصـدرية خـارج البلدة . . وبنى مستوصف حكومي حوى التفرعـات المطلوبـة وكان الـدكتور الدول هو المشرف والمباشر الأول لها .

الـدكتور الـدول يسعى ويشـارك في الحفـلات التي يقيمهـا الشبـاب المثقف في المكتبة الأهلية وانتشرت الثقافة وتـوسع التعليم وتخـرج المئات من الشباب بنين وبنات في المعاهد والجامعـات وتوسعت البلدة تـوسعاً ملحـوظاً وكان لها وزنها . . . كـان ذاك في جيل الستينـات والسبعينات من هـذا القرن وخفت الأمراض لاكتشاف علاجاتها وتوفرها . وتواجد الأطباء وعياداتهم .

هذه لمحة مختصرة عن الحالة الصحية في الزبير.

مشروع ماء الزبير

مضى حين من الدهر وأهل الزبير يعانون من ماء الشرب . ومعلوم أن الزبير محرومة من هذا الماء اللهم الا ما يستنبطونه من أعماق الأرض سواء منه ما كان يشرب الناس أو ما كان لزراعتهم وحيوانهم . ولم يفكر المسئولون جدياً من اصحاب السلطة بجلب الماء من شط العرب مع كثرة الشكاوي ورفع الاسترحامات وقرب المسافة بالرغم من أن بلدة الزبير لها موقعها الأستراتيجي بالنسبة للبصرة . وموقعها كواجهة من البادية للبصرة وكونها محطة إيصال وممراً تاريخياً بين البادية وأقطار ما جاور العراق من الغرب والجنوب عند النفوذ منها أو النفوذ اليها .



مشروع ماء الزبير

كل ذلك وأهل الزبير صابرون عاملون استعاضوا من الطلبات بعرق الجبين وشد الساعد .

وللتاريخ ليس غير تذكر بعض مظاهر المعاناة في ا لأيام الغابرة في كيفية الحصول على ماء الشرب للبلدة التي بلغ سكانها أبان تلك الفترة (١٥) الف نسمة في المصادر التالية .

١ ـ الشعيبة وفق بعض الناس الى حفر آبار أنبثق منها ماء عذب نسبياً أستغله أصحاب القصور المنتشرة على رقعة أرض الشعيبة يشربون منه هم وأهلهم . وبعض السقاة (السقاقي) ممن أستقلوا ببضع آبار عرفت بأسمهم أو كانت سبيلاً لهم ولغيرهم من أصحاب المعروف .

٢ ـ حسيان يعثر عليها بعض السقاة من الماء العذب ولكنه شحيح كماء هيله وريج البنات (ريق البنات) وأم خيال وهذه الثلاثة بعيدة عن البلدة وربما أستفاد منها المتربعون[١] . ومثل ذلك ماء الشمرية والذروية .

٣ ـ ماء الدريهمية وهذا الماء هو الذي أعتمده السقاة يصدرون منه ويوردون وقد أحتلت الدريهمية من هذا الكتاب مكاناً لا ينافسها فيه منافس .

٤ ـ الأمطار وهذه واحدة لا تتاح للناس إلا اذا جادت السماء بغيثها فيعم الخير للناس وللأرض حيث تمتليء الآبار والخباري والخيام [٢] .

تلك كانت مصادر المياه في الزبير . ثم هبطت المعجزة يوم أن ألحت الوفود الى بغداد وقابلوا الملك فيصل الأول يرفعون شكاتهم بايصال الماء

---

(١) المتربعون الذين يخرجون أيام الربيع لقضاء أشهر للمتعة والراحة في براري الزبير .

(٢) الخيمة واسطة لجمع ماء المطر تتلقى هذا الماء وهو يسقط على الأرض وهذه الخيمة يعرفها الكثيرون وهي قطعة كبيرة من القماش تثبت في أعلى سطح المنزل بالحبال وتتدلى في وسط الحوش مثقلة بشيء ما ومفتوح وسطها لأنسكاب الماء في أوانٍ أو في بركة كما هي عند أهل الكويت .

العذب من شط العرب ومساواتهم بالمدن العراقية التي تتمتع بهذا الماء وآخر هذه الوفود هو الذي تكون من :

١ ـ يوسف احمد الثاقب .
٢ ـ عبدالعزيز محمد المكينزي .
٣ ـ يوسف داود الفداغ .
٤ ـ احمد عبدالعزيز السويلم .
٥ ـ ناصر عثمان المطير .
٦ ـ السيد هاشم الرفاعي .
٧ ـ سالم محمد الحميد .

وقد أكرم الملك فيصل وفادتهم ووعدهم بما هموا أنفسهم له وكان ذلك سنة ١٩٣٣ م . ورجع ا لوفد الى الزبير بالبشائر وقبل البدء بالعمل توفى الملك فيصل وحل محله الملك غازي . فشد الرحال الى بغداد وفد آخر يعزون ويهنئون ويجددون الطلب عند الملك الجديد . وما كان من الملك غازي إلا أن أصدر الأوامر بالتنفيذ حالاً واستكملت الأجراءات عن طريق مديرية الميناء والملاحة العامة بالبصرة .

وكان يوم الأحد ١٠ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ الموافق ٣١ مايس (آيار) ١٩٣٦ م يوماً أغر في تاريخ البلدة إذ كان الأحتفال البهيج بوصول ا لماء العذب وهو يجري في الأنابيب ليصب مدراراً في حوض الشرب والحنفيات تتلو نشيدها مع الماء الزلال يملأ القرب في حفلة تذكارية في بلد الزبير حيث تتبارى حناجر الأطفال تلهج بالنشيد . ويتبارى الشعراء والخطباء في قصائدهم ومقالاتهم يحمدون المولى ويدعون للأرواح الذين سعوا وتجشموا متاعب السنين الخوالي حتى جرى الماء الى البيوت وجرى الماء في الوجنات وعلى بسمات الأطفال . وكان ممن حضر الحفل في (البراحة) وتحت ظل التانكي الكبير متصرف لواء في البصرة واهل البلدة وعامة الناس . كل هذا كان يجري والسقاء يملأ قربه جذلان والماء ينساب خريره على الأرض قصداً وبغير قصد .

ومن الخطباء في هذا الحفل :

١ ـ كلمة مدير الناحية الأستاذ عبدالهادي الأعظمي (كلمة الأفتتاح) .

٢ ـ كلمة الكولونيل جي . سي . وارد (انجليزي) مدير الميناء ورئيس الملاحة العام .

٣ ـ السيد هاشم السيد احمد النقيب . (شكر وثناء) .

٤ ـ الشاعر عبدالله محمد الشارخ . (القى قصيدة الدريهمية) .

٥ ـ مقبل يوسف الرماح . (ثناء وترحيب) .

٦ ـ خطاب متصرف اللواء تحسين علي . (أستهله بالآية : « وجعلنا من الماء كل شيء حي ـ الآية ») .

٧ ـ خطبة رئيس صحة اللواء السيد عبدالحميد الطوخي .

---

(١) هو الذي ظهرت صورته في اللوحة خطيباً

النباتات والمزروعات في الحقل وفي الصحراء

في الزبير

جربت أكثر المزروعات الحقلية في الزبير فنجحت والقاعدة العلمية عامة وجود توفر عناصر معينة من تربة وجوٌ وماء وخبرة وأسمدة . وأرض الزبير ذات المناخ القاري الحار صيفاً والبارد شتاءًا . وأرضها الرملية وماؤها العذب المشوب بالملوحة كل ذلك مما يساعد على بعض المزروعات أو يقف دون نجاحها في البعض الآخر . وفي المزارع التي أنشئت في برية الزبير كالقريطيات والبرجيسية وسفوان والصعيرية وسلمى وغيرها قد جربت في زراعة الكثير من انواع الفاكهة كالنخيل والعنب والرمان والتوت والبرتقال في نسبة ما . أما الخضروات فالنجاح فيها أكثر فاذا ما حصلت العناية ووقيت من البرد (الصقيع) فالنجاح مضمون كالطماطا والبطاطا والشوندر واليقطين والقرع والبطيخ والرقي .

وقد وجد المزارع الزبيري في الوقت الراهن تشجيعاً فكان الأنتاج وافراً وعلى نطاق تجاري فإذا ما توفرت العناصر الخمسة سالفة الذكر كان النجاح قميناً .

أرض الزبير على الغالب رملية وماؤها قليل العذوبة والرياح في الصيف حارة شديدة ذات (سموم) ولذلك فالأنتاج يتراوح بين القلة والكثرة .

نجح البطيخ نجاحاً طيباً ونجحت الطماطا مع توفر الرعاية ونجحت أنواع أخرى نجاحاً أقل ذكراً .

كما نجح البصل والثوم والبطاطا والقرع نجاحاً عاد على المُزارع بالربح الوفير .

وفي الصفحات التالية نتناول النباتات البرية وأشجارها وأعشابها .

أ ـ الأشجار والنباتات في برية الزبير

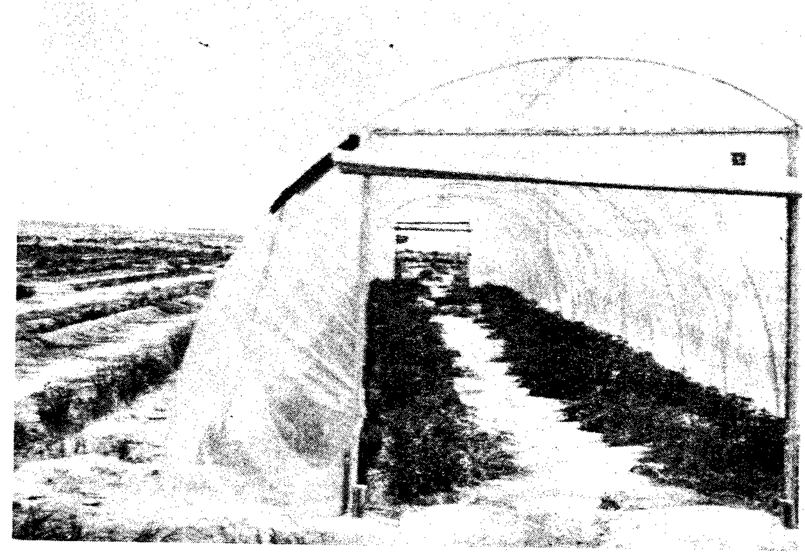
٢ ـ **السدر** : يستعمل حطبه للوقود كثير الشوك أما ثمره فصغير ويطلق عليه (الصريم) .

٣ ـ **القتاد** : هو يطلع في الأراضي الصبخة يرعاه البعير وتجمعه الأعراب (أعراب صبخة البصرة) يبيعونه ، ويوضع مبسوطاً بين رقعتين من عيدان السعف مشبكة على الباقدير يتخلله الهواء الى الحجرات أو يوضع على الشبابيك من الخارج ويرش بالماء فينفذ منه الهواء بارداً وله رائحة طيبة كان ذا قبل وجود الكهرباء .

٤ ـ **الغضا** : شجر كثير الأغصان يعلو من مترين الى ثلاثة أمتار ، ناره قوية يحترق بلا دخان في الشتاء فيدفيء البيت ويبقى جمرة طويلاً ورائحته طيبة .

٥ ـ **الشجر الشوكي** : يعلو حوالي ثلاثة أمتار وأوراقه صغيرة مكتسى بالشوك طول الشوكة (١ ـ ٢ سم) وهو دائم الخضرة صيفاً وشتاءًا وقوي الأنبات يصلح أن يكون حزاماً أخضر حول المدينة .

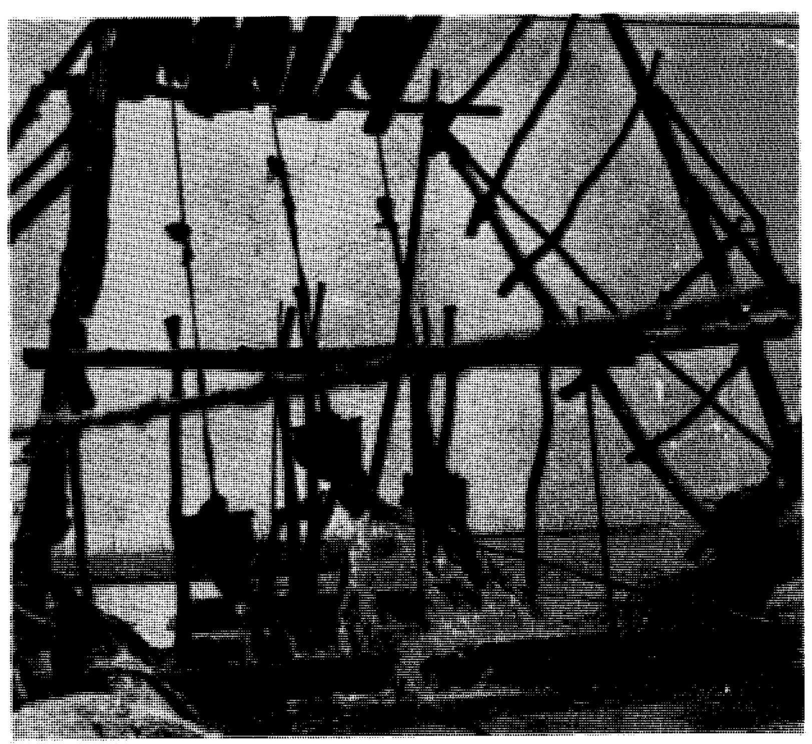
٦ ـ **شجرة الآتل** : وقد مر ذكرها .



مزارع الطماطا في الزبير



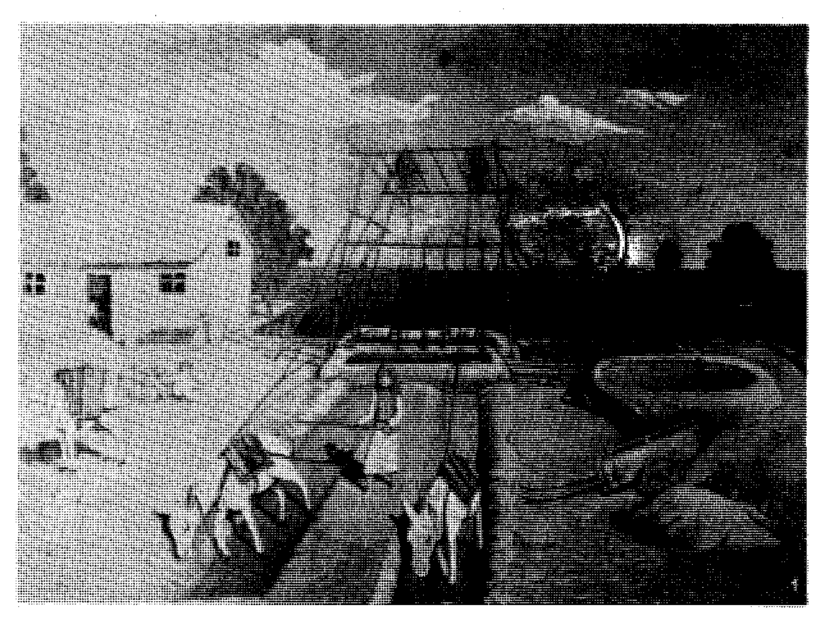
مزارع الطماطا في الزبير



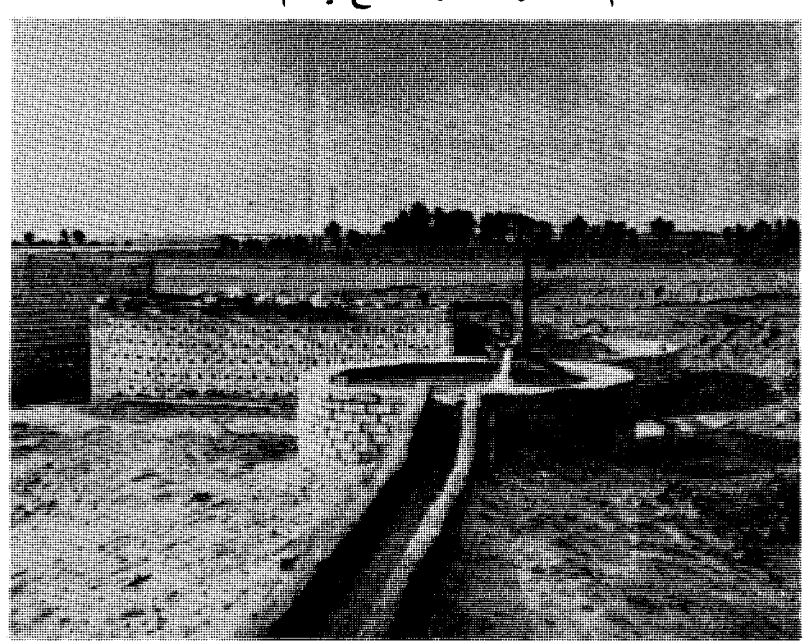
ركبة في مزارع الزبير



شكل من المزارع الحديثة



مزرعة من إحدى مزارع البطيخ في القرطيات خارج الزبير
من رسم الفنان يوسف داود الفداغ في عام ١٩٤٠



احدى مزارع الزبير والماء يصب في البرجي ويخرج من البلعي

ب ـ النباتات في برية الزبير

١ ـ **الحمض** : يستعمل للوقود ويسمى (الرمث) ويخرج في برية الكويت وأرض الزبير قرب وادي البطين ، وله جمر ودخان غير مكروه .

٢ ـ **العرفج** : يستعمل للوقود وناره سريعة الأتقاد سريعة الأنطفاء كما يستعمل مع الجت علفاً للأبل ولا يوجد في الأرض التي تنبت الحمض . ويوجد قرب الراحة قبلي الزبير كابده شمال الزبير.

٣ ـ **العضرس** : هو علف حيواني للبعير ينبت في الأرض السبخة .

٤ ـ **الصمعة** : نبات سنبلي كسنبلة الشعير وهو علف حيواني (للأبل والخيل) لها سهام دقيقة إذا حل فصل الربيع تتكاثر وفي نهايته تجف الصمعة وتتفلت شوكاته التي قد تنغرس في ثياب الأنسان فيشكو منها وكأنها الشوكة في جسمه ويتغفل الأطفال في لهوهم ولعبهم ليستل من هذه السنبلة بعض الشوكات فيرمي بها صاحبه وتنشب في ملابسه فتقرصه كلما تحرك يمنة أو يسرة وهو لا يعلم بها فيضحك منه أصحابه وهو لا يعلم أنها الصمعة .

٥ ـ **النصي** : يظهر في برية الكويت والمملكة العربية السعودية والزبير وهو علف حيواني خيطي .

٦ ـ **الشنان** : نبات أوراقه خيطية يعلو الى نصف متر أو أكثر قليلاً يخرج في أرض الصبخ قرب الهور ، وهو من النباتات المستعملة في الصناعة كان أهل الزبير يجففونه ويطحنونه ويستعمل في غسل أجسامهم وملابسهم ويلقونه في ماء الغسيل لأنه يمتص الأملاح ويساعد على زيادة رغوة الصابون .

٧ ـ **الحنظل** : نبات طبي ويسمى (الشري) ثمره بحجم التفاحة وهو قاطع في المرورة فيه حبيبات صغيرة يغلي بالماء حتى يدفأ فتغسل فيه الرجلين وتنقع يشفى من الروماتيزم .

٨ ـ **الصخبر** : نبات رعوي أوراقه خيطية كنبات الأثل شبيهة بنبات آخر يسمى (الشبزي) وله رائحة عطرية اذا وضع مع الشاي طابت رائحته .

٩ ـ **حميض** : علف حيواني غير أن البعض يستطيب أكله مع الخبز وفيه حموضة وملوحة [illegible] عليه الأبل بنهم اذا أرادت أن تحمض .

١٠ ـ **الخيسر** [illegible] طبي يعلو قدر نصف قدم لا تأكله الأغنام رائحته كريهة .

١١ ـ **شعران** : ومثله العجرم وهو شبيه بالرمث والعرفج .

١٢ ـ **الأرطة** : وهو نبات خاص للوقود ويشبه الغضا .

١٣ ـ **الحزا** : نبات طبي يقال أنه يطرد الحية فلا تقوى على رائحته وهو طيب النكهة حار في طعمه (حريف) كالشبنت التي تشارك الشبزي في صنع الادام .

١٤ ـ **الحنبزان** : يشبه الجزر صغير ثمره أبيض داخل التربة حلو كالسكر .

١٥ ـ **شارب التيس (وأذان أم حمار)** : يتواجدان بعضا لبعض وهما من النباتات الرعوية .

١٦ ـ **الجعدة** : نبات طبي شكله مثل الشيح أما مذاقه فشديد المرورة وفيه وردة بيضاء قطنية ينقع بالماء الحار حتى يبرد ليشرب على جرعات ضد الملاريا الراجفة .

١٧ ـ **السعدان** : نبات رعوي يوجد بكثرة في البادية الشمالية للزبير .

١٨ ـ الرمرام : نبات طبي يوجد في أنس والفهاد من أرض الزبير يغلي بالماء الحار ويؤخذ غرغرة بالفم يفيد من ورم البلاعيم عند الأطفال .

١٩ ـ **بصل البر** : ثمرة مدفونة بالتربة وأرضه أم خيال وفيه من حرارة

البصل وإما أوراقه فصغيرة كأوراق البصل تماماً .

٢٠ ـ **الحسك** : علف للأغنام شجيراته صغيرة شوكي يعلق شوكه بصوف الخرفان وشوكه كروي صغير .

٢١ ـ **النرجس والنوار** : نباتات طيبة الرائحة تطلع في أرض الحجرة وبرية جزيرة العرب وفي الزبير في فصل الربيع لون الأول بنفسجي والثاني أصفر مدور.

٢٢ ـ **الزعتر** : نبات طبي أرضه النجمي .

٢٣ ـ **الأرجة** : نبات بحجم الحواء يوجد حيث يوجد الفقع ولذلك يقال الفقع حول الأرجة وهو نبات رعوي .

٢٤ ـ **الحواء والاصابع** : نباتات صغيرة لا تعلو وهما من النباتات الرعوية .

٢٥ ـ **الحندقوق** : نبات رعوي فيه زهرات صغيرة يشتهي أكله الأطفال والنساء .

٢٦ ـ **الصميخ** : نبات صغير الحجم يوجد في أم خيال له ورد صغير لونه أصغر له رائحة عطرة تشبه رائحة البطيخة الذكية .

٢٧ ـ **العنصل** : له ورقات شبيهة بالبصل له زهر أزرق اللون .

٢٨ ـ **الخبيز** : نبات ملتصق بالأرض أوراقه مدورة يأكله البعض لطراوته .

٢٩ ـ **الزفرة** : نبات طيب ويسمى في نجد مسيكة (من المسك) .

٣٠ ـ **سناوين** : سنازبيري يوجد في البرجسية وبرابر . يستعمل مسهلاً للبطن .

٣١ ـ **الشيح** : نبات له زهرة صغيرة صفراء طيب الرائحة ويعتبر من النباتات الطبية.

شجرة الأثل

شجرة الأثل من الأشجار الضخمة أوراقها خيطية وهي من الشجر غير المثمر تشبه شجرة الطرفة التي توجد في جهات من الكويت والمملكة العربية السعودية .

يزرع الأثل أعواداً مع بدء زراعة الأرض بالبطيخ والخضروات وفي خلال أربع سنوات أو خمس تستكمل المزرعة أنتاجها في مواسمها الصيفية والشتوية عندها تكون شجرة الاثل قد علت وتفرعت . وهذا يعني أوان قطعها ، حيث تحمل كحطب للوقود أو لأستعمالها في الصناعة والنجارة حيث يعمل منها أدوات منزلية أو أدوات تستعمل في أعمال الزراعة . ومن فوائدها للمزرعة أنها تكون سداً مانعاً يحيط المزرعة ضد هبوب الريح الشديدة التي تحمل الرمال أو ضد الريح الباردة التي تضر في حياة النبتة من طماطا وبطيخ . والبعض يجعل من شجرة الأثل سياجاً مع ما يحيطه الزاروع بالبواري حيث يحكم المزرعة من سيل الرمال الزاحفة . وقد يحيط الزاروع مزرعته بخندق مناسب من قبل ذلك السياج ليحمي مزرعته من بعض الزواحف أو من الجراد وفراخه فاذا جاء يزحف سقط في الأخدود ثم يعالجه ببعض المبيدات .

وإذا انتقل الزاروع من هذه الأرض الى غيرها فيكون قد خلف له ثروة من الآثل يقتطعه مرة بعد مرة خلال كل أربع أو خمس سنوات .

وكما أن للأتل هذه الفوائد فان له آثاراً عكسية فهو يترك في التربة ملوحة تؤثر في حياة النبتة على المدى الطويل . يقرر الخبراء الزراعيون أن سبب ملوحة الماء هو وجود شجرة الآتل التي ملأت المزرعة . كما قيل أن في طبيعة هذه الشجرة قوة الامتصاص من قشرة الأرض ، تجمعها حول الساق والجذر وبمرور تلك الفترة تصل الأملاح الى مستوى المجاري الجوفية فتعود الأرض غير صالحة للزراعة .

ودَخل الأثل أخيراً في صناعة الخشب المضغوط المستعمل في النجارة

والبناء والتأثيث المنزلي . وكان أهل الزبير في القرن الماضي والذي قبله يستعملونه في تسقيف دورهم مع البواري والقصب كما دخلت أعواده في صناعة الركايا الزراعية . وأستفاد أصحاب الدُوغ[1] من أوراقه الخيطية يلقونها على الدوغة فتظل النار تتأكل فيها ببطء محدثة حرارة قوية تنضج هذه الأرض الكلسية لأستخراج الجص .

والأثل لا يحتاج الى سقي إلا عند استنباته ثم يترك ليمتص غذاءه من الأرض التي زرع فيها .

وأهل الزبير حينما يخرجون الى البر للنزهة بعائلاتهم يستظلون بظله الكثيف ويتبردون بهبوب النسيم الذي يتخلله فيكسب الجو لطافة وعذوبة .

وتكثر أشجار الأثيل في القريطيات والبرجيسية والصعيرية وجويبدة وفي كل أرض أتخذها الزاروع رقعة لزراعته . ومن الغريب أن الحيوان لا يأكل أوراقه .

وقد أصبحت شجرة الأثل تغطي بعض الأراضي الكويتية والمملكة العربية السعودية تحيط مزارعهم ويعلو . وأستعماله هنا قليل وهو من غير شك يكسب المزرعة جمالا وهو من الأشجار ذات الخضرة الدائمة .

---

(١) ظلت الدُوَغ لقرون عديدة يعتمدها أهل الزبير في مادة البناء مع الطابوق وهو مادة كلسية قوية .

ويعمد أهل هذه الدوغ الى أرض كلسية في برية الزبير فيزيحون عنها التراب ويفرشونها بسماد الغنم (البَنّ) ممزوجاً بهدب الأثل الخيطية فيشعلون طرفها فتظل النار تتأكل ببط في الهشيم حتى تتكامل في يوم أو أكثر فإذا أنطفأت وبردت أزيح عنها الرماد ثم جمع ما تحته وصفى من الحصو بالغربيل ليكون جصاً يباع في الأسواق ليستعمل في البناء ومادته بيضاء ناصعة قوية متماسكة يظل البناء معها مدة تبلغ القرن والقرنين من السنين .

الكمأة (الفقع)

هي من نعم الله في أرضه ويطلق عليها أهل الزبير والمملكة العربية السعودية والكويت (بالفقع) وهي لذيذة الطعم فيها من مادة اللحم (البروتين النباتي) وتؤكل مشوية أو مقلية بالدهن أو مطبوخة بالقدر (مسلوقة بالماء والملح) والفقع على ثلاثة أنواع الزبيدي وهو أبيض ، (الخلاسي) وهو أسمر يميل الى الحمرة ونوع ثالث أسود . والأول أفضلها والذها طعماً .

والكمأة (الفقع) نبات يخرج تحت القشرة الأرضية ببضع سنتميترات وهو كروي الشكل . لا ورق ولا ساق له ولا جذور ويتراوح حجمه في الصغر والكبر فيكون بقدر التفاحة أو البرتقال وقد تزن الواحدة ربع كيلوغرام أو أقل ويكبر في بعض المواقع ليزن نصف كيلوغرام ومنه شذوذاً وجد بحجم البطيخة الصغيرة ووزنها كيلوغرام تقريبا . ويخرج الناس لألتقاطه أيام الربيع في منطقة الدبدبة في المملكة العربية السعودية وربما تكاثر في الأرض التي بين الزبير والكويت وبين الزبير والمملكةا لعربية السعودية ، في اللياح وفي السالمي وفي الوفرة من أرض الكويت . وكلما كانت الأرض غير مطروقة بالسيارات كلما كان أرجى . ويقال أن هذه الأرض موسومة أو غير موسومة تبعاً لسقوط المطر الوسمي الذي يبدأ في شهر تشرين الأول حتى نهاية تشرين الثاني فاذا تتابعت الأمطار تغذت الكمأة في باطن الأرض ثم تكبر لتشق الطبقة العليا وتخرج شبه بارزة . وكلما حصل رعد قاصف في السماء كان مدعاة لخروجه من الأرض فيقول اللاقط وجدت الكمأ (مصلع) أي بارز على سطح الأرض . فيأتي اللاقط ويلخط ذلك الأنتفاخ والتشقق فيحفر قليلاً فيلتقطها ، وقد يجد أكثر من واحدة وتكون صغاراً ويسمى هذا النوع (بالهوبر) وهو أقل ميزة من الفقع .

يقول الشاعر :

ولقد جنيتك أكموءاً وعساقلاً ... ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

وقد يكثر في بعض السنين فيدّخر منه بأن يقص الى حلقات ويجفف ليستعمل في الأيام الأخرى ويعطى نفس الطعم مطبّقاً على العيش (الرز) مع اللحم وبدونه .

زراعة القمح والشعير :

هي زراعة تقليدية . كان أهل الزبير في أوائل هذا القرن على اختلاف طبقاتهم يزرعون الحنطة أو الشعير ، ولكل منهم تقريبا أرض قريبة من البلدة أو بعيدة شيئا ما .

كانت تلك الأجيال غزيرة الأمطار فما أن يستهل « الوسم » في الحادي عشر من تشرين الأول « اكتوبر » من كل عام حتى تلوح الغيوم في السماء وما تلبث أن تقصف الرعود وتسطع البروق ثم تهطل[1] وتسقي البراري وعموم الأراضي فيفزع الناس الى أراضيهم المعتادة يبذرون الحب ويحرثونها وتتوالى الأمطار تسقى المزروع فيكبر وتخرج السنابل وتخضر وتعلو وتتمايل مليئة بالحب وتستمر الأيام وتصفرّ السنابل وتبلغ حد الحصاد ويكون ذلك في آخر الربيع وتكثر البيادر هنا وهناك وتدوسه الحيوانات ذات الحوافر مع بساطة الآلة وجهد الإنسان ويذرى الحب فيسقط الحب ويبتعد التبن غير بعيد عنه وتعبأ الأكياس بالحنطة أو الشعير وتتهلل القلوب وتبتسم العيون ويحمل النتاج الى البيت أو إلى السوق أو المطاحن .

وكانت البركة تنزل مع هذا المطر وكانت الآية الكريمة تتراءى حقيقة ملموسة « كمثل حبة انبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » . كان بعضهم يبذر أوقية أو اوقيتين من الحنطة[2] فيحصد منها أربعة أكياس أو خمسة ، يستعمل منها ما يستعمل للسنة كلها

---

(١) كانت تسمى المطرة الأولى التي قد تأتي مع آخر ايلول « سبتمبر » وتعم البصرة والزبير « غسالة اليواخين » والجوخان موضع تجميع التمور .
(٢) الأوقية تساوي ثلاث كيلوجرامات .

وقد يزيد عنده مع ذلك . يطحن منها للخبز ويجرش قسما للجريش يأكله كما يؤكل الأرز ويعطي ويهدي . أما الذي يبذر كيسا كاملا فحدث عن المحصول ولا حرج . حتى كان أهل الزبير « وجلّهم يزرع » يصدرونه حبا « حنطة » إلى البصرة والألوية الأخرى . أما التين فله استعمالات أخرى للعلف ويمزج مع الطين للبناء وتحشى به الرحول [1].

(١) الرحل : وهو وقاء يحشى بالتبن لخفته ويخاط بطريقة ويوضع على ظهر الحمار أو على البعير ويسمى شداد .

الزراعة في الزبير

إن طبيعة تربة الزبير تختلف كل الاختلاف عن أرض البصرة والتي لا تبعد عنها بأكثر من ستة عشر كيلومتراً فهي رملية على الغالب بعيدة عن المياه الجارية بل وحتى عن الرطوبة التي تلطف سطح الأرض ، ولطبيعة المناخ هذه فهي أقرب ما تكون شبهاً بأرض نجد والكويت وهي امتداد متجانس لهما ولبادية العراق الجنوبية .

وحين نزل النفر الأوائل أرض الزبير لم يرق لهم السكن داخل البصرة نزوعاً منهم إلى الحرية والانطلاق ووجدوا في أرض الزبير المبتغى فالقوا عصا التسيار وأخذوا يفتشون عن الماء فأدركوه في بعض الأراضي المنخفضة وهي مجمع السيول القادمة من الصحراء وكانت هذه الموارد على شكل احساء ثم اخذوا يهتمون بحمايتها وتوجيه السيل لها واتجهوا بعد ذلك لاستثمار الأرض للزراعة فاستنبتوا بعض الحبوب لغذائهم كالحنطة وزرعوا البرسيم « الجت » علفاً لحيواناتهم .

الزراع الأوائل :

حفظ لنا تاريخ هذه البلدة عدداً كبيراً من العوائل التي انصرفت للزراعة حتى عرفوا بها وعرفت بهم كالغنام والبابطين والسهلي والتركي والزير والشماس والفدة والزهير والمنديل والجريد والبسام والشارخ والمجحم والدريهم والحماد والمديهيم والعريج والعوهلي والمجبل والعيسى والحجيل

ملحوظة : يطلق على الزارع باللهجة المحلية (بالزواريع) وعلى المزرعة بالمزرع والصدر . وتجمع الركية على ركايا وهي التي تسقى بواسطة الغروب وعلى الحمير التي تستعمل بالسقى والحمل (بالدبش) .

والهنيدي والغبيشي والحميان والماجد والديحان والمليفي والسويدان والعمران والرسي والعواد والغيلان والعوام والحدبان والمهوس والربيعة وسعد الجاسم وعبدالله الراشد وابراهيم الريس ويطلق عليهم الحرفية . وابراهيم البابطين والبحيري وعبدالله وسعود الزامل وسعود بن عبدالكريم العيسى وعيسى وسعود وعبدارحمن العيسى وجاسم وعبدالرزاق الشريدة وعبدالله المحطب وأخوه صالح أولاد دخيل وعمهم محمد المحطب وزامل المسفر وأولاده دباس وعبدالله وراشد وعبدالعزيز المجحم[1] . إن هذا العدد العديد من الزراع قد انتشروا في مناطق مختلفة في جهات الزبير عندما نشطت الزراعة بتكاثر السكان وكان أول هذه المناطق هو كرى سعده أو ما يسمى « الجري » الممتد من شمال غربي الزبير وحتى نهايته في أرض سفوان فخور الزبير .

إن من هذه العوائل من استمر في المهنة حتى يومنا هذا ومنهم من تخلى عنها إلى غيرها من المهن الأخرى كما أن هناك عوائل تدخل الزراعة من جديد منهم من هو من أهل الزبير أصلاً ومنهم من هاجر اليها مؤخراً من الفرات الأوسط والناصرية والعمارة .

وهناك عوائل تمتلك رؤوس أموال أختارت أن تصرف بعض وجهاتها إلى الزراعة . فأنشأت المزارع في البرجسية والقريطيات وسفوان . ونظراً لأن هؤلاء جدد في المهنة فقد اتفقوا مع من لهم الخبرة في الزراعة على العمل والاستثمار والأرباح بينهما .

ومن طريف ما يذكر أن البطيخ نوعان فريدوني وعازمي وقد حدثنا أحد الرواة[2] قال : إن بذر البطيخ الذي كان يستخدم في الزراعة يسمى البطيخ الحساوي وهو يشبه البطيخ الذي يزرع في الجنوبات[3] ثم جاء أحد

---

(١) هو أول من زرع الطماطم في البرجسية سنة ١٩١٠ .
(٢) هو المرحوم يوسف المسعود .
(٣) وهو طويل الشكل غير متماسك فاقد الطعم .

أولى الرأي[١] ممن جاب البلاد فجلب بذر البطيخ الفريدوني من سامراء واتفق مع أحد المزارعين ليجربه في مزرعة انشأها من خالص ماله وترك العمل لهذا المزارع فنجحت الزراعة نجاحاً مرضياً . والمعروف ان البطيخ الفريدوني لذيذ الطعم ورائحته زكية يجمع بين الحموضة والحلاوة أو ينفرد بإحداهما لكن هذا النوع لا يتحمل النقل ولا يكبر حجمه . ولهذا فهو غير تجاري حتى إذا كانت سنة ١٣٢٦ هـ جاء أحد المزارعين من قبيلة العوازم فحمل إلى أهل هذا الصنف بذوراً جديدة جريت فنجحت نجاحاً عظيماً وهو قوي البنية يتحمل النقل غير أنه لا يتمتع بمميزات الفريدوني إلا بشيء قليل .

أمّا الفريدوني فقد نقل بذره[٢] إلى الكرمة في البصرة ونجح أيضاً بنفس الصورة التي كان عليها في الزبير وقد جربت عدة محاولات من قبل الزارع الزبيري ليخرج بثمر يجمع بين النوعين فلم يفلح كثيراً والتجارب ماتزال تبذل . . .

وصف تحليلي للتربة والماء :

تغلب على الأراضي في جهات الزبير التربة الرملية متداخلة بعض الأحيان بعروق صخرية أو متكلسة في طبقات ما تحت القشرة وهي صفة تختلف عما هو عليه الحال في البصرة حيث الارض الطينية الصرفة وفي حوض كرى سعدة حيث تبدو أرضه طينية مزيجة بالرمل تجود بالزراعة .

إن هناك أنواعاً من المزروعات تجود في الأرض الرملية ومن حسن الحظ أن الطبقة الصخرية أو الكلسية ليست قريبة من المستوى الأرضي الزراعي ولو بذلت جهود من الدوائر الزراعية لاستصلاح التربة لظهرت نتائج مشجعة بهذا الخصوص .

---

(١) هو الحاج محمد العلي .

(٢) البذرة يطلق عليها بتعارف المزارع لزبيري بذيرة .

أمّا الماء فهو في غالب الأحيان مج[1] بين العذوبة والملوحة والزراعة عموما لا تجود إلا في الأرض الخصبة (الرسوبية) ذات الماء الوافر العذب من أنهار أو عيون . وفي بعض الأحيان تنفجر البئر عن ماء ملح ولو بذل التفات آخر لاستنبطت مياه جوفية (ارتوازية) تتخير تخيراً كما نراه يجري حالياً في بعض مناطق البادية الجنوبية وفي بعض البلاد المجاورة .

إن الزارع الزبيري على وجه العموم تحول دون نشاطه ضيق ذات اليد علاوة على ما يتحمله من باهض التكاليف إلى أن يجني باكورة أعماله . وكان من المنتظر من الجهات المسؤولة بهذا الشأن امداده بالمعونات المادية أو الفنية واعفاؤه من الرسوم والضرائب وتوفير البذور المحسنة والوقوف بجانبه دون فتك الآفات الزراعية بمختلف الوسائل والتي تطبق في مناطق أخرى من العراق .

إن مثل هذا الزاروع الصابر الذي ما مدّ يده يوماً للحكومة لجدير بالتشجيع والاسناد لتجود بيده أرضه[2] .

المتاعب الزراعية :

١ ـ بُعد الماء :

إن ازدياد عدد سكان البلدة واستيعاب السوق والاستهلاك للانتاج الزراعي دفع آخرين ممن يملكون رؤوس أموال أن يدخلوا ميدان الزراعة .

ونظراً لكثافة عدد الزواريع في منطقة البرجسية وهي المنطقة المعروفة بخصبها ونظراً لظهور النفط فيها واضطرار هؤلاء لترك أراضيهم الأمر الذي

---

(١) وتختلف صلاحية الماء وقلة الملوحة في مناطق دون أخرى . . . وقد تجد الفرق بين بئرٍ وآخر يجاوره هذا عذب صالح وهذا مج مالح .

(٢) كانت هذه المزارع في الخمسينات وما قبلها تعيش حالة تاعسة . ولكن أصحابها الأن تنفسوا الصعداء لأن الدولة ألتفتت اليهم في ١٩٧٠ وما بعدها .

أضاف إلى متاعبهم نوعاً جديداً منها : بعد الماء في هذه الأراضي الجديدة والذي قد يلغ عمقه نحو سبعين قدماً فيه مافيه من باهظ التكاليف بانتظار باكورة عمله .

٢ ـ حرب الطبيعة :

إن هناك مصاعب طبيعية تظهر للزاروع بين الحين والحين كالجفاف الناتج من قلة ماء الآبار ومعروف أنه كلما كان موسم الأمطار جيداً غنيت البئر والعكس صحيح والرياح الباردة الشديدة .

وهناك العواصف الترابية المحرقة (ذات السموم) التي تفتك في النبتة والثمرة قبيل النضوج أو نزول الصقيع عند نزول الأمطار بعض الأحيان وكذلك السيول الجارفة .

٣ ـ الأمراض التي تصيب النبتة :

إن تفشي هذه الأمراض جراء ظهور الحشرات وخاصة بالطماطم والبطيخ وهما العمود الفقري للزاروع في أرض الزبير لشيء جدير باهتمام الدوائر المعنية . ومن المشهور عند هؤلاء المزارعين قولهم : إن الطماطم إذا سلمت من البرد والآفات الأخرى جاءت بأرباح تغطي جميع ما أنفق على المزرعة في عامها الأول ويأتي البطيخ في الدرجة الثانية في هذا المجال .

ومن هذه الصورة تظهر أهمية تدخل دوائر الزراعة بمالديها من إمكانيات فنية ومادية لتقف دون فشل الزاروع وخسارته وبالتالي انسحابه من الميدان والمعروف أن هذه الدوائر وفي كثير من الدول المتقدمة أو النامية تعني بزارعة الطماطم وتحوطها بعناية من عوارض الطبيعة وفي مقدمتها البرد الشديد وتساقط الصقيع .

٤ ـ التسويق :

كثيراً ما يتوفر الانتاج لبعض الخضروات والثمار كالطماطم والبصل والثوم والقرع والبطيخ ثم يقف التسويق حائلاً دون تصريفها ، الأمر الذي يؤدي إلى تكديس الفائض وهبوط الاسعار وبالتالي إلى خسارة المزارع والحكومة معاً ولو كان هناك مصنع في الزبير للتعليب والعصر والتخزين لتغلب على النقص الذي قد يظهر في الأسواق .

تربة الزبير ومنظمة التغذية والزراعة الدولية :

غير مرة تحظى منطقة المزارع في الزبير باعجاب دوائر الزراعة فقد سبق أن جاء مندوب موفد من منظمة التغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة للاطلاع والدراسة والوقوف على مدى صلاحية التربة وكفاءتها على بعض المنتجات . وقدمت اللجنة تقريراً للمكتب الدولي لصلاحية أرض الزبير لكثير من المزروعات سواء منها الحقلية أو البستانية وأوصت الجهات العراقية المسؤولة بالتعاون معهم والاستفادة من أرضهم .

ما يجود في أرض الزبير من مزروعات ومالا يجود :

علمنا مما تقدم أن الخضروات جربت زراعتها في منطقة الآبار فنجحت ، يضاف إلى ذلك الأثل الذي يظهر هنا بصورة عجيبة . ولقد جربت هنا زراعة الفواكة التي تزرع في البصرة فلم تعط نتائج مرضية وكذلك النخيل . والسبب يعود إلى أن الأشجار المثمرة كالتين والعنب والخوخ والبرتقال تحتاج إلى أرض طينية رملية يتوفر لها الظل والماء العذب كما هو الحال على ضفاف الشط والرافدين والزبير تفتقر إلى مثل هذا .

ملحوظة : لقد جربت زراعة النخيل في الكويت فنجحت نجاحاً يبشر بانتاج على نطاق تجاري إذا ما عمم وكثفت زراعته وأرض الكويت يغلب عليها الطبيعة الرملية ولكن نظراً لتوفر الماء وتكرار سقيه إلى حد الاشباع يومياً فضلا عن أنه يرتوي بماء عذب أول زراعته ويظل كذلك حتى تثمر النخلة وتعمق جذورها عندها يحول سقيها بماء يسمى ماء الصليبية .

والنخيل بصورة أخص يحتاج إلى توافر أسباب أخرى اضافة إلى ما تقدم هي :

١ ـ تحتاج النخلة إلى جو رطب مشبع ببخار الماء كالبصرة بينما الزبير جوها جاف .

٢ ـ تجود في الأرض الطينية حيث تحتفظ بالماء والغذاء في أعماقها والزبير أرض رملية لا تمسك الماء.

٣ ـ النخلة تحتاج إلى ماء وافر عذب والزبير فقيرة منها اللهم إلا ما يستنبط من الآبار ، وليس معنى هذا أن النخل لا يزرع في أرض الزبير البتة إنما هو ناتج ضعيف لا يغني فتيلا . وعسى أن ينتفع بمشروع شط البصرة الذي يجري حفره الآن على يد مديرية الموانيء العامة وأن يجري تعديل في خط سيره ليشمل أرض المزارع في الزبير أو ما يعرف بمنطقة الأثل وهي التي تحيط بجهات الزبير .

حفر البئر :

وحفر البئر على رأس المتاعب التي يلقاها الزاروع الزبيري على الاطلاق .

يلاحظ الزاروع حين ينوي العمل أن يحسن الاختيار في موضع الحفر وهو أن يكون في ارتفاع مستوى الأرض ليسهل توزيع الماء على أرض المزرعة والطريقة المتبعة لدى الزارع في عملية الحفر هي أن تؤخذ عينة من التراب على عمق متر تقريبا حيث تظهر علامات الرطوبة يستشف الخبير الزراعي منها ـ وغالبا ما يكون هذا الخبير من الزواريع أنفسهم ـ قرب الماء أو بعده ودماثة الأرض من حيث ليونتها وصلاحيتها فإمّا أن يمضي في الحفر واما أن يقلع ليبحث عن موقع آخر .

وفي حالة الايجاب يحدد محيط دائرة البئر وبعد أن يمضي في الحفر إلى

عمق مترين أو ثلاثة تلاقي أرض كلسية صلبة لمسافة مترين تقريبا يبذل فيها جهداً مضنياً فإذا اجتازها عقبتها طبقة رملية تتخلها عروق ترابية حمراء صلبة بمثل تلك المسافة ثم تأتي بعدها طبقة صخرية أو كلسية صلبة أخرى كالتي سبقت وهي آخر المراحل تنشق عنها عين فوارة من الماء وعند هذا يكون العمق قد بلغ ٣٦ قدماً (على أقل تقدير) فإن بعضها قد يبلغ ضعف هذا الرقم ، ويظل الماء يرتفع حتى يبلغ ارتفاعاً مابين (١٠ ـ ١٥) قدماً يكفي لتغطية حاجة المزرعة .

والمفاجأة التي تنتظر هذا الزاروع وهو يبني الآمال على انبثاق الماء فإما أن يسر لها . واما أن يصاب بخيبة أمل . فإن خرج الماء عذباً هلل وكبر وكبر الآخرون وحمدوا الله إما إن كان الأمر على العكس فيتوجب عليه أن يستعين الله ويحفر أخرى . وإذا علمنا أن تكاليف حفر البئر مع ملحقات العمل قد تبلغ الألف وإلى الثلاثة آلاف دينار ظهرت بوضوح تلك المتاعب .

أدوات أساسية :

المحمل : هو عبارة عن هيكل مضلع من الأسمنت المسلح وقد كان يصنع قبلا من خشب الأثل المتين يكون مربعاً أو مستطيلاً يأتي بمثل مساحة فوهة البئر تقريباً .

يبدأ به مع بدء المراحل الأولى من حفر البئر سمكه (١ ١/٢) قدماً وكلما جرى الحفر من تحته نزل بقدره وهكذا إلى أن يصل الطبقة التي يجد عندها الهيابة[1] أن الماء أصبح منهم على قاب قوسين أو أدنى حيث يظهر النضيح وهو رشح الماء ثم يضرب الهيابة ضربة تكون في أحدى جهات البئر عند المحمل فينبثق الماء فواراً وقد يضطر الزاروع إلى اتخاذ محمل آخر يسمى محمل الري ليمنع انهيار الرمل وتكون سعة هذه الفوهة بين قدمين الى ثلاثة أقدام .

---

(١) مأخوذة من الهيب وهي أداة يدوية من الحديد يتم بها الحفر .

إن أصعب مرحلة يجتازها الزاروع في حفر البئر هي الطبقة الرملية فقد يخشى أن ينهال الرمل من الجوانب على الهيابة فيدفنهم . ومن الناحية الأخرى فإن قضية الوقوف دون انهيال الرمل هو أن تعقد له أغصان متينة من الأثل تتشابك وتكون سداً مانعاً .

أمّا الآن فإنهم يعقدون هذه الفجوة بالطابوق والأسمنت وترتفع ارتفاع عمق الرمل ولسهولة عمل الهيابة في صعودهم ونزولهم أن يتركوا لهم مراقي في جدار البئر لموضع أقدامهم حيث يمسك أحدهم بحبل من فوق ليرقى أو ليهبط .

الركية وطريقة بنائها والسقي فيها :

تتكون الركية من عيدان متينة رفيعة من خشب الأثل أو خشب الجندل تنتصب فوق فوهة البئر إلى علو أربعة أمتار تقريباً وترتبط مع بعضها لتكون شكلاً هندسياً محكماً (هرم ناقص) ينعقد في الأعلى عند بكرات أسطوانية نسبياً تدعى الواحدة منها (المحّالة) ويتحدد عددها بعدد الغروب[1] التي تنزل في البئر كما يتحدد بعددها عدد الحمير التي تجرها على أن هذه المحالات لها مثيلات بعددها أسفل منها اتخذت أمكنتها على حافة البئر بين يدي (المصب) ويرتبط كل غرب من جهتين بحبل جلدي (سير) يربط بينهما ليتصل بالحمار ويسمى هذا (بالسريح) .

إنْ الغرب على هذه الصورة ينزل إلى البئر ليغترف الماء حيث يكون الحمار أقرب ما يكون إلى البئر ليس دونه غير المصب ، فإذا انساق الحمار من أمام البئر بطريق منحدر يدعى (بالمعدل) يصل في نهايته إلى مكان يدور فيه وبهذه الاستدارة يكون الغرب قد انتهى إلى المصب ليفرغ الماء . على أن طول السير يتناسب مع هذه الصورة وهكذا يتم جريان الماء ورفعه من البئر

---

(١) الغرب يشبه القربة بطول متر ونصف تقريبا مفتوحة الفوهتين بميلان يحفظ الماء عند الامتلاء .

ثم تفريغه في الحوض (المصب) ثم إلى البركة . وطريق الحمار من المصب حتى الاستدارة تسمى (المنحات) .

المناطق الزراعية في الزبير

تنقسم المناطق الزراعية إلى ثلاث :

١ ـ المنطقة الشمالية الغربية وفيها عدة مواضع :

أ ـ البرجسية : وتقع قبلي الزبير وأول منطقة أختطت للزراعة من قبل الزراع الأوائل وأرضها خصبة . وتمتاز البرجسية عما عداها من المناطق الزراعية بعذوبة مائها وقربه من سطح الأرض لكونها تقع في حوض كرى سعده المندرس . كما أن لقربها من منطقة هور الحمار ما يسر لها وجود الماء أكثر من المناطق الأخرى نتيجة التسرب الجيولوجي . كما أن قربها من المدينة سهل ناحية التسويق . وكان التسويق يتم تعبئته في الركوك[1] .

ب ـ المسقوفية :

وفيها ثلاث مزارع لعبداالعزيز البسام ولعبداللطيف الديحان وأولاده ثلاث أيضا . ولزيد الشمري قطعتان ولفضل الحاج ذياب ثلاث ولجاسم الشريدة قطعتان .

جـ ـ المنسية :

فيها حسو « بحيث » وهو مورد ماء عذب عام ومن ملاكها عبدالوهاب التركي وأولاده ولهم فيها أربع قطع .

---

(١) الرك وعاء مضلع مصنوع من جريد النخيل باحكام .

د ـ الجري :

المقصود به (كرى سعده) وفيه أكثر من خمس قطع موزعة على جانبيه . والحديث عن كرى سعده سيرد مفصلاً في موضوع الموارد المائية .

هـ ـ الضليعات :

ويطلق عليها ضليعات الصلبة ، وفيها ثلاث قطع لعبدالعزيز البسام ويمر شعيب الباطن من وسطها ومنها يتجه إلى البرجسية .

و ـ السلمانية :

وهي جنوب شرقي الشعيبة وفيها بضع مزارع لحميدان الرسي وللتركي ومعروفة بزراعة البطيخ الفريدوني ويخترقها شعيب القصير .

المنطقة الجنوبية

وتشمل الشمرية والدريهمية والذروية والرافضية وسديرة والعرقلي والنجمي وبريج وسلمى[1] ومعذر الطير وأم خيال وعزيز الماء والمويلحات ومفدر الماء . وهناك منطقة أدنى منها إلى الجنوب اكتسبت شهرة كبيرة في الوقت الحاضر هي منطقة سفوان[2] وهي أصلح أرضاً بعد البرجسية وأغزر ماء وأنقى هواءً وتضم أكثر مزارع الزبير . واستعملت المكائن الضخمة فيها بدل الصدر[3] ويتجاوز عدد مزارعها الثلثمائة مزرعة .

القريطيات : وفي القريطيات عدة قصور وموارد ماء عذبة وقد كانت القريطيات منتزهاً لشيوخ آل الإبراهيم في الزبير ولهم فيها قصر يحفل بأنواع

---

(١) سلمى : موقع جنوب غرب الزبير.
(٢) ويخطيء البعض بتسميتها « صفوان » .
(٣) الصدر يطلق على السقي بواسطة الحيوان «الحمير» .

الأشجار المثمرة زرعت بإشراف الخبير الزراعي الأهلي المرحوم الحاج عمر محمد العلي ثم آلت ملكيته إلى الحاج عبدالعزيز عبدالله البسام. ولا يزال قائماً لليوم

ولعل أول مضخة زراعية نصبت في الزبير هي التي نصبها المرحوم محمد عبدالله الجريّد[1] عام ١٩٤٢ م .

وفي القريطيات وهي قبلي الزبير عدة قصور فيها قصران للحاج محمد سليمان العقيل قديم وحديث وقصر للمقيط وقصر للذكير وقصر للفليج وقصر لسعود البريكان وجماعته. وقصر لعبدالله النجران وجماعته .



من اليمين الحاج يعقوب الدليجان فالحاج ناصر المحموعي فالحاج أحمد السويلم فالشيخ عبدالوهاب الفضيلي مدير مدرسة الرحمانيه ففضيلة قاضي البصرة عطا حمدي الأعظمي فالحاج عبدالمحسن المهيدب فالحاج ياسين القضيب فالحاج عبدالرحمن العوده

(١) من الطريف ذكره أن مزرعة الجريد هذه لاتزال آثارها باقية وتعرف الآن (بأم البطول) لأن الزاروع أحاط مزرعته بالقناني لمنع (الدبى) وهو صغار الجراد قبل أن ينبت جناحه وتبرز أرجله فلا يستطيع الزحف على هذه القنينة لأنها ملساء وفي الصباح يبادر الزاروع بإبادته بالمبيدات الكيمائية التي تزوده بها دائرة الزراعة .

ت مزارع كثيرة منها حديثة تنتج مختلف الخضروات يقرب زرعة كما أن فيها مزارع قديمة تقرب من مائة مزرعة الأثل في الوقت الحاضر .

وسطقة القريطيات بين مسلى والصعيرية وسلمى والنجمي وكلها مناطق جيدة التربة عذبة الماء نقية الهواء ، أصبحت منتجعاً للمتنزهين من أبناء الزبير والبصرة يخرجون إليها مع أهليهم أيام العطلات . وفيها بئر عرف بعذوبته وغزارة مائه حفره الحاج محمد العقيل سنة ١٩٤٠ م وسبلها للناس وقد رأيناها يزدحم حولها الواردون سواء من عربان البادية أو من المتنزهين (الكواشيت)(١) .

تعاريف مزرعية في الزبير

أولاً : المصب :- هو مصب الماء ويدعى (اللزا) حيث يصب فيه الماء الذي حملته الغروب من البئر .

ثانياً : المجرى :- وهو الذي يربط المصب (اللزا) بالبركة وتدعى أيضا بالبلعة .

ثالثاً : البركة :- وتكون دائرية الشكل منخفضة عن المصب قليلاً لتحتفظ بكمية من الماء في داخلها عند التوقف عن السقي لاستعماله في غسل بعض المخضرات وغسل الأواني .

رابعاً : الكيوم :- وهو المجرى الطويل الذي يمد المزرعة بالماء ويزرع على جانبيه أحياناً البطيخ والرقي وتكون ثماره من نوع جيد نظراً لحصولها

---

(١) الكواشيت : تعبير عامي دارج مفرده كشّات وهم الذين يخرجون يقضون يوماً أو بضعة أيام في منطقة المزارع . . بلغ علمنا أن الكلمة تعبير تركي تعني المعنى نفسه وافانا بـه مشكوراً د. محمد عيسى صالحيه .

على كمية كبيرة من الماء ولاستطاعة الجذور من التغلغل داخل الأرض نظراً لكونها هشة بفعل الماء الذي يفتت التربة بجريانه المستمر.

خامساً : الخارة :- وهي المنطقة التي يجري منها الماء عند نزوله من المجرى الطويل إلى الزرع حتى يكون جريانه سريعاً بعض الشيء. ويدخل الجص أو الأسمنت في بنائها وقد تضاف مادة تمنع تسرب الماء النازل الذي يتسبب عنه تشقق في الأرض وانهيار المكان بحكم هذا النزول المستمر .

سادساً : المشعاب :- وهو المجرى الفرعي الذي تزرع على جانبيه المحاصيل ويقاس كبر المزرعة بعدد المشاعيب فهي تتراوح بين مائة ومائتين وعشرين في السابق عندما كان السقي بواسطة الغروب . وعندما استبدلت هذه بالمكائن الحديثة كثرت عدد المشاعيب حتى أصبحت من مائتين وخمسين إلى ألف مشعاب . طول المشعاب عادة من ٥٠ ـ ٦٠ خطوة .

سابعاً : السَكَر :- وهي عبارة عن لفافة من القماش أو الجوت تستعمل لحجز الماء الزائد وتوجيهه الى المشعاب الآخر وهي بمثابة الصمام الذي يمنع عن جهة ويسمح لأخرى .

ثامناً : المخيسة :- وهي عبارة عن حفرة يوضع فيها السماد الناتج من الفضلات أو الدم الناتج من ذبح الحيوانات في المجزرة وبعد مدة يسلط عليها الماء من المجرى الرئيس المنطلق من المزرعة ثم يحرك بعمود ليتم امتزاج السماد بالماء المندفع عن طريق فتحة خاصة إلى المزرعة فيكون عاملاً مساعداً على الإسراع في نضج الثمار ووفرتها وتحسينها .

تاسعاً : الظاهرة :- وهي المنطقة المحصورة بين مشعابين وتكون بعرض مترين تقريباً وتترك هكذا لكي لا يتشابك المزروع مع بعضه مما يؤدي إلى تلفه ولكي لا يتعرض إلى كثير من الأمراض بسبب هذا التشابك اضافة إلى تأخر نضج الثمرة لعدم تعرضها إلى الشمس خاصة إذا علمنا أن شجيرة الطماطه أو البطيخ تمتد إلى المتر أو المترين تقريباً زحفاً على الأرض .

عاشراً : السلفة :ـ وهي مجموعة من المشاعيب يفصلها مجرى رئيس من الماء وتقسم المزرعة عادة إلى عدة سلف .

حادي عشر : الناحية :ـ وهي الأطراف المتبقية من المزرعة التي لم تزرع وقد اعتاد الناس على زراعة أطراف المزرعة بالقرع نظراً لامتداد فرعها الذي قد يتجاوز المترين أو ثلاثة أمتار .

ثاني عشر : النثيلة :ـ وهو مكان في المزرعة يرتفع بناؤه قدر متر تقريباً يتسع لجلوس عدد من أصحاب البئر وضيوفهم ويفرش بالرمل وقد يفرش في الحصر حرصاً لأن يكون أقرب للطبيعة ويحرص أن يكون مشرفاً على المزرعة عامة قريباً من الصدر قريباً من سكن أهل المزرعة . ويلزم توفر هذه الشروط لغايات ثلاث :

١ ـ أرتفاعاً عن الأرض لتجنب الحشرات الزاحفة .
٢ ـ سعياً وتطلباً للهواء الجاري .
٣ ـ لمراقبة المزرعة عامة وما تحوى .

أهم المحاصيل الزراعية

أولاً : الطماطم :- وتبدأ زراعتها في شهر تموز (يوليو) وأواسط آب (أغسطس) وتبدأ في الإنتاج في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ووفرتها في شهر كانون الأول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ثم يهبط انتاجها في شهر آذار (مارس) وهذا ما يسمى بالبطن الأول أو الإنتاج الشتوي . وفي أواخر شهر نيسان (ابريل) يبدأ انتاج البطن الثاني أو الموسم الصيفي ويتميز بوفرة انتاجه ورخص أسعاره لتزامنه مع محصول طماطم الحلة والمسيب في وسط العراق .

وثبت أن إنتاج أرض الزبير يفوق إنتاج أرض إيران وفرة وجودة كما يعرف ذلك المشتغلون بهذه التجارة . وكذلك الأمر في بقية انواع الخضروات فان لم يتميز عليها فانه لا يقل عنها جودة . وكان في بعض المواسم يغطي حاجة العراق .

ثانياً : البطيخ :- وتبدأ زراعته في موسمه الأول من نهاية شباط (فبراير). ويبدأ الانتاج في نهاية شهر مايس (مايو) وأوائل حزيران (يونيو) وانتاجه قليل نسبياً في هذا الموسم لتعرضه لهبوب الرياح الرملية القوية التي قد تؤدي إلى تلف المحصول. ويمتاز بطيخ الزبير بكبر حجمه وشكله الجميل . وتختار بذوره من الأنواع الجيدة وتصل قيمة الكيلو الواحد من تلك البذور إلى أربعين ديناراً .

أما الموسم الثاني فهو الموسم الشتوي ويدعى محلياً بانتاج الصفري وتبدأ زراعته مع الطماطم في شهر آب ويبدأ انتاجه في الشهر العاشر (اكتوبر) وإلى نهاية تشرين الثاني وتصل قيمة انتاج هذا الحاصل إلى مائتي ألف دينار ، غير أن هذا الرقم يخضع لاعتبارات مهمة منها جودة المحصول وغلاء الأسعار والسماح بتصديره إلى أقطار الخليج العربي وخارجه . كما أن الرقي يزرع ولكن ليس على نطاق تجاري حيث أن التجارب دلت على أن زراعته غير ذات فائدة ولم يصلوا بعد إلى الأسباب التي تعيق انتاج هذا

المحصول الذي لو قدر له لدر أرباحاً لا تقل عن البطيخ إن لم تزد عليها .

ثالثاً : البصل والثوم :ـ كانت زراعة البصل في الزبير إلى عهد قريب تقوم على حسب الحاجة إليه في المزرعة ، إلا أن ارتفاع أسعاره في الآونة الأخيرة وقيام المزارعين بانتقاء البذور الجيدة كالأمريكي مثلاً الذي يصل وزن الرأس فيه إلى ٥٠٠ جرام جعل زراعة البصل تأتي بالمرتبة الثالثة .

ويتميز البصل بصبره على البرد . وكذلك الحال بالنسبة للثوم فأصبحت له سوق رائجة بعد فترة ركود استمرت طويلاً ويصل سعر المن الواحد[١] إلى أربعة دنانير في حالة كونه أخضر أمّا إذا يبس فيصل إلى عشرين ديناراً للمن الواحد . ويصل معدل قيمة البصل والثوم إلى مائة ألف دينار وقد يزيد على ذلك أو يقل تبعا للأسعار السائدة وقد ينخفض سعره .

والثوم الزبيري مشهور برائحته القوية التي يتميز بها عن الثوم المصري والفارسي والسوري . ويتعرض الثوم للأمراض أكثر من البصل فهو لذلك يحتاج إلى عناية كبيرة .

وتبدأ زراعته مع موسم الطماطم وينتج في أواخر شهر آذار (مارس) إلى نهاية نيسان (ابريل) حيث يبدأ الناس بكنزه لموسم الصيف وأوائل الشتاء .

رابعاً : الخيار :ـ تجري حالياً بنجاح زراعة الخيار والباقلاء إلا أن الأمراض التي يتعرض لها كثيرة ومتعبة . ويمتاز الخيار الزبيري وخاصة في منطقة سفوان بشدة اخضراره ونوعيته الجيدة وتكون طويلة رفيعة ويدعى « بالنبع » وعند البعض يسمونه (خنيصري)[٢] .

---

(١) المن : حوالى ٧٥ كيلو جرام . (٢٤ أوقية) .

(٢) قدم لنا هذه المعلومة الأستاذ عبد الرحمن البريكان مشكوراً سنة ١٩٧٨ م يوم أن كانت مزارع الزبير بين ٥٠٠ ـ ٦٠٠ مزرعة . وعلمنا أن المزارع هذا العام (١٩٨٤) بلغت ما بين (٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠) مزرعة وجلها في منطقة سفوان . وقد اهتمت الدوائر الزراعية بإحاطة هذا الانتاج بالعناية والرعاية والفائدة تعود للطرفين الفرد والدولة . وبهذا الصنيع من جانب الدولة يكون الفرد قد عوض ما كان يلحقه من معاناة في مزرعته في الأيام الخوالي .

عدد المزارع :-

يترواح عدد المزارع ما بين ٣٥٠٠-٤٠٠٠ مزرعة ما بين كبيرة ومتوسطة وصغيرة ويصل معدل القوة الحصانية للمكائن المستعملة من ٦ - ٢٦ حصاناً وفتحة الأنبوب المائي من ٢ - ٨ انج .

الحشرات والامراض التي تصيب الخضروات :-

١ - **الحميرة** : وتصيب القرعيات .
٢ - **حشرة المن** : والاسم الشائع لهذا المرض الدوباس وتكافح بمادة المالاثيون والنوكز .
٣ - العتكبوت الأحمر .
٤ - القارضة .
٥ - دودة ثمار الطماطم .
٦ - **التربس** : وتصيب البصل والثوم .

أمراض محاصيل الخضروات :-

١ - مرض الذبول .
٢ - مرض العقد الجذرية .
٣ - أمراض الفايرس .
٤ - مرض تبقع الأعراض .
٥ - مرض البياض الدقيقي على القرعيات .

المشاركة التجارية في الزراعة

نظراً لوفرة المحصول الزراعي في الزبير في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن أطمع بعض التجار أن يوظفوا بعض أموالهم في الزراعة وذلك بأن يشاركوا الزاروع نفسه . أن البعض من الزواريع من يملك الخبرة الزراعية ولكنه ضعيف مالياً فإذا أتفق أن يحصل له من يسهم معه في الزراعة وحسب الأتفاق بينهما في الصرف والأرباح فإن الربح قمين . حيث ينصب هذا التاجر الماكينة الزراعية التي تسقى بقدر ما تسقيه (الغروب أو ما يسمى بالصدر أضعافاً مضاعفة) حيث أن الطماطا أو البطيخ يحتاج إلى الماء الدائم خاصة في فصل الصيف الذي لا يروي مثل تلك المزرعة الواسعة ذات المشاعيب الكثيرة إلا نزع هذه الماكينة الضخمة .

هذا ما دعا الحاج محمد سليمان العقيل وأخوانه مثلاً أن يعقدوا شراكة مع احمد بن عبدالعزيز الشارخ والحاصل بينهما على أختلاف الأنصبة في تقسيم الحاصل مناصفة أو مثالثة .

كما أتفق تجار آخرون كالذكير والمطير والبسام والعمران وغيرهم في توقيع مثل هذه الأتفاقية . فإنه بعد أن يجني الحاصل وينزل إلى السوق يتولى الدلال البيع بالمزايدة ويقولون الساعة (كذا) عصراً يمزّد الذلال على البطيخ أو الطماطا أو ما شابه ذلك . على أن للدلال نصيبه وللحكومة رسمها وللأرضية حصتها كذلك .

هذه كلها تجمع مع ما سبق من أجور ومصاريف منوعة كثيرة تخصم من أصل القيمة وما بقي يوزع حسب الأتفاق بين التاجر والزاروع .

ملاحظة ختامية :

واتماماً للفائدة وقفنا على ما يصلح أن يكون تقريراً تجريبياً في حديث الزراعة ما سجلته لنا إحدى الصحف العراقية من حديث مع أحد

المزارعين[1] في الزبير سنة ١٩٧٠ م يقول :

كانت المزارع في الزبير قبل سنة ١٩٦٨ لا تجاوز مائتي مزرعة مساحة الواحدة خمسة دونمات ، والشيء الذي يسترعي الاهتمام هو إحداث نظام جديد لزراعة الطماطم ونعني به نظام الأنفاق البلاستيكية الواطئة التي نفذت في مزارع الزبير وسفوان لأول مرة فنجح مما يشجع على نشره في كل أنحاء العراق لحماية الطماطم من أضرار البرد والانجماد .

أمّا الآن فقد بلغت هذه المزارع ستمائة وخمسين مزرعة . وبدأت الجهات المختصة تركز باهتمام بالغ على ضرورة تطوير التجربة بادخال الوسائل الحديثة لرفع الكفاءة الانتاجية بالتوسع في انشاء المزارع الجديدة وذلك بتشجيع المزارعين وبهذا الرقم سيضيف اربعة آلاف دونم في البذور المحسنة بواسطة خبراء زراعيين دوليين (بذور السوبرماركت والبيرسن) كما زرعوا الثوم والبصل والباقلاء واللهانة والقرنبيط .

والمأمول من المزارعين الاستجابة والمبادرة لاستغلال معطيات العلم والتكنولوجيا .

وقد أقر المجلس الزراعي في المحافظة الاعفاء من ضريبة الأرض وتوفير المكائن لحفر الآبار الأرتوازية .

واستجد العمل فقدم المجلس الزراعي للمزارع الزبيري السماد والأغطية بنصف الأسعار مع كميات من البذور الجديدة .

ثم تقدمت الحال إلى الأفضل فأصبحت الدولة تقدم سيارات الحمل (الوانيت) بأسعار مخفضة إلى ما يقارب ثلث سعرها في السوق الحرة كما أن عدد المزارع بلغت ألفي مزرعة في عام ١٩٨٢ . وتوفر الانتاج تبعاً لذلك وتهافت المزارعون في الاقبال على الزراعة كما حظي بما توفره له من وسائل المكافحة والدراسة لكل ما يستجد من أحوال طبيعية كانت أو اقتصادية كما

---

(١) كان المتحدث في هذه التجربة محمد ناصر الأحمد وهو نجل الشيخ ناصر الأحمد .

ضمنت له أرباحه بالعمل على درء المخاطر ومعالجة التسويق ولم يعد الانتاج محلياً بل كبرت دائرة تسويقه خارج القطر . ذلك هو ما يجري في مزارع الزبير .

الحيوانات وتربيتها في البيوت :

جرت العادة عند أهل الزبير في بداية هذا القرن وإلى منتصفه وما قبل ذلك بأجيال أن الفرد منهم أو الحمولة فيهم إذا بنوا بيتهم بنوا معه جاخوراً خاصاً للحيوان وكان الحيوان على اختلاف نوعه هو كل شيء في حياة هذا الرجل وهذه العائلة ، كان الكثير منهم يقتني الجمل والحصان والحمار أو البغل والبقرة والنعجة أو السخلة إلى جانب الدجاج يقتني الواحد أو أكثر من واحد من هذه الأنواع . أما لماذا فإليك البيان : يقتني الجمل يعده للحج لنفسه ولأهله فتركب أهله الهودج الذي هو اشبه بالقبة الصغيرة مصنوعاً من خشب الخيزران ومبطناً بالقماش يسع المرأة وحاجاتها حتى ليسعها وهي نائمة ويركب ولدها أو زوجها على جمل آخر فيحج بأمه أو زوجته مع الحجاج ومثله معه في المسير فتصل الحملة عن طريق عنيزة أو بريدة ثم يصلون المدينة المنورة ثم مكة المكرمة ويقضون المناسك المطلوبة فإذا عادوا إلى بلدهم باع الرجل هذه المطية أو يبقيها لقضاء بعض شأنه .

والحصان كان عدته في الحرب والدفاع عن البلد حين كانت الزبير معرضة للعدوان . عليه يدافع وعليه يسافر من الزبير إلى الناصرية أو سوق الشيوخ أو الخميسية أو أي بلد في حدود هذه المنطقة يسافر وحده أو مع جماعات يصاحبه سيفه أو رمحه ويحمل معه متاعه . وفي الجاخور مرابط للخيل له أو لضيوفه حيث واسطتهم هذه الخيول يوم لم تكن السيارة أو القاطرة أو الطائرة .

وأمّا الحمار فلنقل الماء من الآبار خارج البلدة أو يحمل عليه أو على الحصان أو البغل أو الجمل التمر والرطب والفواكه من البصرة حيث أن الكثير من الأسر تملك قطعا من النخيل في إحدى مقاطعاتها في أبي الخصيب

وغيرها ينقلون السعف أيضا وجذوع النخل التي تستعمل للوقود أو للتسقيف .

والبقرة[1] يجنون منها مادة غذائهم من الحليب واللبن والزبدة وهذه العوائل تكرم هذه الحيوانات بالعلف الجيد الذي يتكون من الشعير والجت « البرسيم » والحشف والحشيش البري وهذه الأعلاف متوفرة تنتجها بساتينهم أو من أسقاط نخيلهم أو من نبات براريهم والنعجة أو السخلة تكون احتياطهم إذا جفت البقرة أو تقاصرت لحمل أو غيره .

ورب البيت لا يحتاج أن يشتري حاجته من السوق إلا نادراً وحتى الخبز ينتج في البيت ففي كل بيت تنور وفي كل بيت حجرة للحطب والسعف وتحتوي على مكان خاص للجلة تسمى « حيّيرة » أي حجيرة صغيرة وفي حجرة أخرى الحمض والعرفج والغضا وربما كان في البيت حجرة خاصة أخرى للأعلاف أكياس الشعير والنبات البري المجفف وأكياس الطحين لمعيشة البيت والتمر المعبأ بالخصاف وتسمى الواحدة قوصرة .

وحتى التمن كان بعض الملاكين يزرعه فأي شيء يحتاج بعد هذا رب الأسرة .

وكانت الحياة بسيطة خالية من التعقيد وقد ضمنت لهم هذه البساطة في العيش نصف تكاليف الحياة المعيشية أو أكثر .

أمّا السخول وهذه تسمى بمسميات أخرى . . عنوز ومواعز وشياه والتيوس وكل هذه الأنواع مشمولة بلفظ الغنم[2] . فهي متوفرة لايكاد يخلو

---

(١) في الحواشي التالية سنورد مسميات التقطناها من « الإفصاح في فقه اللغة » . في صفاتها ورحالها وحالاتها كلاً في موضعه .

(٢) جاء في أمهات الكتب اللغوية أن الغنم جمع لا واحد له من لفظه وإنما واحد الغنم شاة للذكر والانثى . وجمع الغنم اغنام وغنوم واغانيم.
الشاة الواحدة من الغنم للذكر والانثى والجمع شاء وشياه وشواه واشاوه .

منها بيت على الإطلاق فالبعض يملك الواحدة فأكثر فإذا كان الصباح وعند طلوع الشمس يأتي الراعي أو ما يسمى بالشاوي فيجمع هذه الصخول فيسمى هذا المجموع من هذه الحيوانات الجَوَالة . ويخرج بها إلى البر خارج الديرة وكانت البراري لا تخلو من الرعى صيفاً أو شتاءًا ويصحب هذا الراعي معه حماره وعليه خرج يتدلى من جانبيه يضع عليه طعامه أو يضع فيه حوار السخلة الوالدة أو يحمل عليه السخلة نفسها لو أصابها مكروه ليعيدها إلى أصحابها . ويمضي الراعي سحابة يومه يتنقل في هذه « اليوالة = الجوالة » وبعد العصر يدخل الديرة فيوزع أغنام الناس إلى بيوتهم ومن الغريب أن يشاهد هذا الراعي يقف في ساحة عند مفترق البيوت فيضرب بعصاه الأرض ويقول موجها كلمته إلى هذا المجموع الهائل من الأغنام خس خص بيت بيت فتقفز الواحدة أو الأخريات متجهة إلى بيتها من يمين وشمال والراعي « الساروح » نفسه يعرف أيضا بيوت أصحابها فإذا توقفت نظر إلى الجوالة مرة إخرى فإن بعض هذه السخول كان جديداً لا يتحرك فيأخذها من أذنها ويدق الباب على أصحابها ، هذا وبقية الغنم واقفة لا تتحرك

= **المعز** : وهي ذوات الشعر من الغنم الواحدة شاة وهي مؤنثة وواحدة المعز ماعز والأنثى ماعزة والجمع مواعز ومفردها العنز .

السخلة : يقال لولد الغنم ساعة تضعه أمه من المعز والضأن جميعا ذكرا كان أو أنثى وجمعه سخال وسخلة .

النعجة : الأنثى من الضأن والجمع نعجات ونعاج .

التيس : الذكر من الجداء إذا أتى عليه حول والجمع أيتاس وتيوس .

العنز : الانثى من المعز إذا اتى عليه حول والجمع اعنز وعناز . وعنوز . ويسمى التيس في السنة الثانية جدي وفي الثالثة الثني والانثى ثنية . وفي الرابعة الرباعي . وفي الخامسة السديس وفي السادسة السالغ . والهبهبي : تيس الغنم الكبير واما أن كان أول سنةفهو خفر والسخلة خفرة وجذعه أو ثنية . وفيما يلي بعض الصفات والأصوات والحالات التي عليها الغنم :

الضريعة : العظيمة الضرع .

اللبنة : الكثيرة الدر .

الدغماء : سوداء الأرنبة وسائرها ابيض .

الرخماء والمخمرة : التي ابيض رأسها من دون سائر جسدها .

ويسير كلما وصل إلى مفترق طرق صاح بها صيحته وضرب الأرض بعصاه فتقصد كل واحدة بيتها حتى تنتهي هذه الجوالة والعجيب أن السخلة عندما تقف أمام البيت تثغو ثغاءً خاصاً فيعرف أهل الدار أن سخلتهم بالباب .

ومن الرعيان : الشخري ومرزوق ومطلق والمجبل وشما وحزام ومحمد المغيز والدريعي والحاج مثال . ومن أسماء ومسميات هذه السخول بألوانها الربشاء والعطرة والشامية والبدوية والبيضاء والعارضية والحقباء .

وما دمنا في حديث الغنم والسخول فإن الساروح يقتني التيوس لتلقيح الإناث من المعز والشياه ، والتيس كالأعمى يأتي على الحامل والخالية (الحانية) فالأولى ترقضه وتهرب عنه والثانية تقبله فتلقح منه ويأخذ جنينها لونه أبيض كان أو أسود وهذه الألوان والرقوش تبدو في رأسه او رقبته أو جسمه ظهراً أو بطناً ، فإذا قربت من الولادة تسمى حاطّة علماً بأن حملها خمسة أشهر ومن قبل كانت تدعى مضرع . . ومن العجيب ان الساروح لتمرسه على أغنامه وشياهه يعرف تاريخ كل واحدة بهذا الخصوص وهناك مسميات لألوان هذه الأغنام . ولهذا الساروح لغته الخاصة بغنمه فهي حين تخرج من البيت تنتشر في الساحات ، أو في منعرج الطرقات تلتقط العيدان أو شيئاً تتلهى به فيخف بعصاه يهوش عليها ولا يضربها وهو يقول سَرْح . . سَرْح . . ويحلو لبعضها من السخول الصغيرة ان تقفز أمامه مرحة عابثة فيلحقها وربما أصابها بعصاه . وإذا شذت أخرى أثناء المسيرة هوش عليها وقال : هَدَعْ بصوت وزجر فترعوى وتدخل الجوالة . ويضرب الناس الأمثال في هذه الحالات فيقول أحدهم خرجت من بيتي حزة طلعة الغنم . وآخر يقول : رجعت للبيت ويّا هضلة الغنم . وخروج الغنم عادة بعد طلعة الشمس وانتشارها والعودة قبيل الغروب .

ويسمع بين الحين والحين هذا الساروح أو ولده ينادي أول الليل يا من حفظ السخلة عكَل الله عليه أي عقل الله له ضائعته . وفي بعض الأحيان يردف بعدها قائلا والحلاوة ربية ، وعلى الغالب المؤكد ان يخرج له

واحد فيقول له : تعال اشلون سخلتك ؟ فيعطيه العلامة فيخرجها له ويقدم له الحلاوة فيرفضها ويقول : لا يبه الله مغنينا فيقول له : جزاك الله . . خير . . ونغمة العبارة عند كليهما تعطي معنى بعيداً في اللهفة وفي الترفع بمعروف .

وصاحب البيت يعطي الساروح كل شهر ربع روبية[1] للسخلة الواحدة علما بأن قيمة السخلة أيام عهد الروبيات خمس روبيات أو ست إذا كانت جافة أما إذا كانت حاطة فتباع بثمان وتبعاً لجودة هذه السخلة تتحدد قيمتها . وهناك في الزبير سوق يسمى « سوق الغنم » دلالة على أن للغنم مكاناً في حياة الأسرة الزبيرية .

وإذا وضعت الشاة أو النعجة أو البقرة تشيع الفرحة والبشرى بين أفراد العائلة فتقر العيون بعد تلهف وتثقل الأثداء . ويسأل الساروح أين سخلتكم فيقول رب البيت محينينها يومين[2] . والمعنى في قلب الشاعر كما يقولون فإما أن تكون قد ولدت أو هي على الأبواب . ويلزم أن تأخذ راحتها في البيت . . ومن حليبها عند الولادة يصنع اللبأ الذي يطبخ على النار لفترة قليلة فيجمد محلى بالسكر مطيبا بالهيل وهو لذيذ الطعم تهدى منه ربة البيت إلى الجيران وتفعل الجارة بالمقابل حين تلد شاتها .

وفيما يلي ايضا تلك الصفات للغنم والبقر :

شاة درعاء : سوداء العنق والرأس وسائرها أبيض . فإذا ابيض طرف ذنبها فهي صنعاء . فإذا اسودت قوائمها فهي رملاء أما إذا كانت حمراء خالصة الحمرة فتسمى دهماء ، أما إذا خالط سوادها حمرة فهي صبحاء . ويطلق على صوت الغنم عند الولادة ثغاء .

---

(١) ويلاحظ هنا أن هذه التعبيرات قديمة العهد إلى حد ما يوم كانت الفلوس بالعملة الهندية .

(٢) مشتقة من الحين . والحين هو الوقت الزمني الذي استطالت في مدته اللغة فقد يكون وقت الصباح أو وقت المساء فقط كما قال تعالى ﴿ حين تمسون وحين تصبحون ﴾ وقد تكون يوما كاملا وقد تكون أكثر. ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾.

ويقال لصوت الجمل البغام فإذا صوّت وضجّ فهو الرغاء . وحنين الناقة هو فرحها أو طلبها لولدها . وإذا ذعرت الثيران فهي غمغمة لها صوت فإذا اشتدت اكثر فهي في صعاق ويكون لها خوار . والكور من البقر هو القطيع .
والهرهرة دعاء الراعي لغنمه لتشرب الماءا ويقال ايضا بربره حين يقول هر أو بر بالتكرار ويقال ثور ابرد فيه لمع من سواد وبياض والعوهق منه الأسود خالصا . والخوار أيضا يطلق لصوت البقر والغنم والظباء . . وللبعير الهدير فقط في غير شقشقة .

وما يوضع على الحمار أو الحصان تحت الرحل فهي البردعة وفي الزبير يقال لها معرقة . أما الحزام الذي يشد به الرحل إلى البطن فهو « البطان » . وكما أن الرحل للحمار أو الحصان ذي الحمل فالشداد للجمل في اللهجة الزبيرية . ولم نجد الاسم في الافصاح . والرحل والشداد وقاءان محشوان بالتبن ومقومان بالخشب الدقيق والمتين وغالبه من خشب الأثل . . والسرج للحصان خاصة مصنوعاً من جيد الجلد .

ذيل :

تربية الحيوانات في العهد الحاضر :-

بعد أن تدخلت الحكومة بتوجيه الأهالي نحو تربية هذه الحيوانات على اختلافها أخذ قسم منهم يزاول هوايته لتربية الحيوانات تجارياً ويوجد من هؤلاء الهواة من يسمونهم (المعلفة) أي الذين يغذون حيواناتهم تغذية فنية لتسمينها واعدادها للذبح . . وهذه المهنة على نوعين :-

الأولى : تربية المواشي .
الثانية : تربية العجول .

وكانت الزبير قبل غلاء الأعلاف حافلة بالجواخير المعدة لتربية هذه الحيوانات وكانت تربو على مائة جاخور تضم أكثر من عشرين ألف حيواناً

وأمّا اليوم بعد أن ارتفع سعر العلف قلت هذه الجواخير وانحصر أصحابها في ثلاث محلات .

أولا : محلة الشمال : يوجد في هذه المحلة أكثر من عشر حظائر (جواخير) وتسمى في تدوين السجلات الرسمية (الزرابي) كل زريبة منها تضم ما يقارب من ٣٠٠ ـ ٥٠٠ رأس من عجول البقر وقليل من الجاموس .

ثانياً : محلة العرب : فيها ما يقارب من ثلاثة عشر جاخوراً تضم ما بين ٢٠٠ ـ ٤٠٠ . وهذه التقديرات غير ثابتة فتارة تزيد وتارة تنقص في حالتي البيع والشراء .

ثالثاً : محلة المربد : يوجد فيها ثلاثة جواخير من الأغنام تحتوي ما بين ٦٠٠ ـ ٧٠٠ ومن العجول ما بين ٧٠ ـ ١٠٠ .

ووجد هناك أعداد ثابتة من البقر تربى داخل البيوت للا ستفادة من ألبانها وهذا النوع من البقر يعتني فيه الأهالي ويتفاخرون بالنوع الجيد منه وله أثمان غالية .

وآخر احصاء تمّ لهذا البقر ما بين ١٢٠٠ ـ ١٣٠٠ بقرة حلوب . أمّا الخيول الموجودة في الزبير الآن فهي على نوعين :ـ

الأول : الخيول المعدة للفروسية ويوجد منها خمسمائة رأس على حد التخمين الآن .

الثاني : خيول (حصن) معدة لجر العجلات أو للحمل وتقدر بأربعمائة رأس .

علاجات بيطرية :

يوجد في الزبير دائرة للبيطرة فيها طبيب مختص ومعه معاونان للإشراف على حيوانات المنطقة . وقد أعدت هذه الدائرة جميع ما يلزم من علاج للحيوانات الثابتة في البيوت .

كما أن هناك حوضا معَدّاً للتغطيس يسع اكثر من عشرة رؤوس بصورة متوالية .

الحيوانات البرية

١ ـ **الأرنب البري** : لونه أشهب يعيش في الصحراء يرعى النبات ولحمه لذيد .

٢ ـ **اليربوع** : حيوان موجود بأرض الزبير والكويت يتغذى على الحشرات حجمه بحجم الجرذي وهو يقفز قفزاً كالكنغر . وبدو الصحراء يأكلونه .

٣ ـ **الضبع** : حيوان مفترس لا يلتفت يمنه ولا يسره وهو بحجم الذئب رجلاه الأماميتان أعلى من الخلفيتين ويوجد في البرجيسية من أرض الزبير في الأتل وفي الآبار المندرسة .

٤ ـ **الذئب** : حيوان مفترس شرس يتواحد في صباخ الشعيبة في الزبير وفي المطلاع بأرض الكويت وهو مشهور بضراوته .

٥ ـ **الثعلب** : من الحيوانات المفترسة غير أنه جبان ومكار ذو حيل موجود في الزبير وفي براري الكويت كالصليبية وفي غيرها .

٦ ـ **أبن آوى** : حيوان مفترس يوجد في براري الزبير والكويت وهو جبان يقتنص الدجاج في الحظائر ، ويفر من الكلاب لأول وهلة من سماع نباحها .

٧ ـ **القط البري** : ويسمى (القرطة) ويوجد بالخربة من أرض الزبير وفي سباخ البصرة . وارجله غليظة وقصيرة .

٨ ـ **الأسد** : كان يوجد في الزبير ثم أنقرض بعد حفر قناة السويس .

٩ ـ **السلق** : وهو من فصيلة الكلاب طويل الظهر طويل الأرجل أذناه طويلتان كان يستعمل في القنص لصيد الغزلان لعدوه السريع وهو ضامر البطن وقد أنقرض في الزبير .

١٠ ـ **القنفذ** : حيوان صغير يكسو جسمه شوك وهو الحيوان الوحيد الذي يمسك بالحية من ذيلها ويظل يأكل فيها فإذا التفت عليه أنكمش وتكور فيصبح كالكرة المشوكة فلا تفلح في نهشه .

١١ ـ **الضب** : حيوان زاحف له أربع أرجل صغير له ذنب عريض يبدأ غليظاً ثم يدق له تعرجات مدببة (حراشف) تسمى (عكرة الضب) وحجمه بطول نصف المتر ويشبه التمساح الى حد ما وهو ينشط صيفاً ويخمل شتاءًا لونه أصفر .

١٢ ـ **الورل** : من فصيلة الضب غير أن ذيله طول جسمه مرتين ولا توجد له حراشف لونه اسمر وهو يهاجم من تصدى له بعدوان .

١٣ ـ **أم سليمان** : دويبة لها أربع أرجل ذهبية اللون سريعة الجري وديعة غير مؤذية .

١٤ ـ **البعرصي والحية والعقرب** : حشرات سامة فالأول والثاني لو شرب من أناء فيه لبن أو حليب فيصبح مسموماً لو شربه الأنسان يصاب بالتسمم وهناك حوادث كثيرة في هذا الباب، وكذلك الأمر لو لحسا بطيخة مفتوحة، وأما العقرب فلها حمة (أبرة) تلدغ بها فيتسمم الملدوغ واذا لم يتدارك فيخشى عليه الموت .

١٥ ـ **أم ٤٤ قائمة** : وتسمى (أم ٧٧ أيضاً) وهي دويبة سريعة

الحركة والأختفاء يقال أنها سامة .

١٦ ـ **الضرمبــول** : وهـو حيــوان مفـترس بحجم الكلب يعيش في صحراء الحجرة قرب شقراء والناصرية[١] . نادر الوجود ويكاد ينقرض .

١٧ ـ **الغـزال** : وهو من الحيـوانـات التي يحـرص عـلى أصـطيـادهـا أصحـاب القنص لِلَّذة في لحمهـا. وتتـواجـد في البقـاع البعيـدة عن السكن والقريبة من الخباري . وكانت تصاد بكلاب الصيد أو بالصقور أو بالبنـادق. وقد شح وجودها الآن في برية الزبير.

الطيــــور

أ ـ الطيور التي يؤكل لحمها : هي :

١ ـ **نعـاج الماء** : وهـو أكبر من البط كثيـراً الواحـدة بحجم الخـروف وتعيش في هور الزبير وهو من الطيور المهاجرة[٢] .

٢ ـ **القـبرة** : وتسمى (القوبعـة) وتتواجـد في الصيف حـول مـوارد الميـاه وتعيش في شكل جمـاعات مـع بعضها ولحمهـا شهي تلتقط الحب بعد موسم الحصاد .

٣ ـ **البعيعي** : أسود فيه نقط بيضاء بحجم القنبرة أو أكبر قليلاً .

٣ ـ **الورشان** : بحجم الحمامة تسكن الآبار الدارسة تتخذ فيها أعشاشها .

٤ ـ **حمام البر** : مثلها مثل الورشان ولحمها مستطاب .

---

(١) عبدالعزيز سعود ابابطين يقول : رأيته واصطدته وقدمته هدية لحديقة الحيوانات الكويتية .

(٢) يهاجر إلى هور الزبير العذبة ويطير جماعات تعد بالمئـات ولها قـائد يـطير أمامهـا فإذا أعـطاهم أشارة الهبوط هبطوا معه ويعيش على الأسماك ويقوم بسفرته محلقاً في أجواء عالية كنا نشـاهده إذا مـر في أجـواء الـزبـير صـاح بـه الأطفـال (طـول حبلك . . قصر حبلك) ولحمـه غـير مستساغ .

٥ ـ **دجاجة عدي** : لونها أسود ووجودها أيام الربيع .

٦ ـ **الحمامي** : يهاجر الى بر الزبير أيام الربيع ويتواجد في الأتل .

٧ ـ **الجميري** : **بحجم القبرة ولحمه كلحم الحمام في لذته .**

٨ ـ **السمنة** : بحجم الزرزور وديك السمنة له عرف في رأسه .

٩ ـ **القويعية** : شبيهة بالزرزور بلا عرف .

١٠ ـ **الزرزور والعصفور** : بمعنى واحد الذكر يكنى أو أبو إحْميد والأنثى تسمى حريرة وهي تعيش في أثل الزبير وتهاجر اليه أيام الحصاد .

ب ـ الطيور التي لا يؤكل لحمها فهي :

١ ـ **الغراب** : طائر أسود اللون أسحم وهو من الطيور الذكيةالتي يصاد بها الصقور حجمه بحجم الصقر أو أصغر قليلاً .

٢ ـ **الحدأة (الحدية** : تأكل الفطيس وهجرتها إلى هذه البلاد أيام الشتاء .

٣ ـ **الصقر** : طائر مفترس يصطاد الحبارى والأرانب البرية إذا دُرِّب .

٤ ـ **البومة** : تعيش في الخرائب المندرسة وبعض الناس يتشاءمون من وجودها .

٥ ـ **الشاهين** : طائر سريع الحركة مفترس وشرس يصاد به الحبارى والأرانب وانثاه تسمى (الشيهانة) ويمكن تدريبها للصيد كذلك .

٦ ـ **القفصي** : طائر صغير له منقار حاد يأكل الحشرات له ألوان جذابة .

٧ ـ **الرماني** : طائر بحجم البلبل صدره أحمر بحجم القفصي .

٨ ـ **الحسيني** : من فصيلة السلاحي .

٩ ـ **السلاحي** : طائر صغير بحجم العصفور دقيق الخلقة سريع الحركة لونه أبيض مع أسود ويظهر في برية الزبير يوم ١٠ / ١٠ من كل عام .

١٠ ـ **القحافي** : ويسمى (الأشول) رمادي اللون بحجم القفصي .

١١ ـ **الهدهد** : طائر أكبر من البلبل جميل الصورة له ريشات بارزة كالتاج على رأسه ملون بالأصفر والأخضر والأبيض والأزرق .

١٢ ـ **السبري** : طائر بحجم الحمامي يفترس الطيور التي أصغر منه وهو سريع الطيران

الجـــراد

هو من الحشرات الطائرة إذا طارت فرشت أجنحتها المتعددة وأذا مشت على الأرض مشت برجلين طويلتين منحنيتين على بعضهما ، تطير جماعات وأفواجاً وهو أنواع ، منه الجراد المراكشي والجراد النجدي . واذا هبط أرضاً أكل أوراق أشجارها وأذا باض فيدفن بيضه في الرمل فإذا فقس البيض جاء يزحف إلى البساتين فأتى على شجرها فيكافح وترصد له الدول أموالاً لمكافحته ويأتي الى صحراء الزبير أيام الشتاء فيجثم قريباً من المزارع فيبادره الصيادون من أهل المزارع وغيرهم وهو مثقل ببيض فيداهمونه ليلاً فيكرفونه ويعبئونه بالأكياس بالليل قبل أن يصبح ويبيعونه للناس فيطبخ بالماء المغلي والملح (السلق) فينضج وله طعم لذيذ والبيض الذي بداخله يحوي سر هذه اللذاذة وهذا النوع المسمى (بالمكن) ونوع منه أصغر لا يحمل بيضاً وهو الذكر ولا يبلغ ذلك الطعم يسمى (الزعير) ويخرج به الصيادون يبيعونه معبئاً (بالكواني)[١] في سوق الحزم . . . وإذا كان في

---

(١) الكواني : أكياس منسوجة من خيوط القنب وتسمى ايضا (الخيشة) .

ذلك الموسم وافراً جففوه وأكل في أوقات أخرى . .

وفي هذه الاعوام أنقطع ولعل عدم وجوده تظافر مكافحته من كافة الدول . . . كان يقال في الأمثال والحكم في الزبير : « إذا جاء الجراد صر الدواء وإذا جاء الفقع فك الدواء» . ويقصد به أن الجراد علاوة على كونه مادة غذائية فأنها نافعة صحياً معدلة للمعدة مذهبة لأمراضها لأنه يأكل من مختلف نباتات الصحراء فلا تحتاج الى دواء . وصر الدواء أي أحفظه عندك لا حاجة لك به .

أما إذا جاء الفقع فقرب هذا الدواء وان الفقع بالرغم من كونه غذاءًا لذيذاً ونافعاً غير أن الأنسان يطمع فيه فيأكل أكثر مما ينبغي فيثقل معدته وربما مرض وبهذا فك هذا الصرار من الدواء وأستعمله وهذه كناية عن أن الجراد نافع ولو اكثرت منه ولا يرتقى إلى هذا الفقع بل يجب التقلل منه .

طوقان الحمر (علجاني) ضفيري

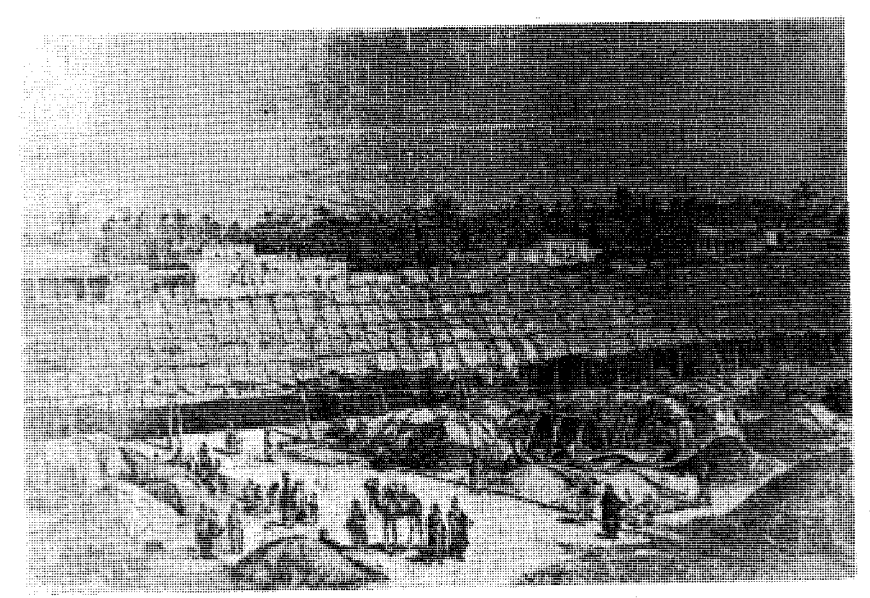
يقال بأن جماعة من الظفير جلبوا جراداً لبيعه بالزبير وكان معهم طوقان الحمر وهو علجاني من الظفير، فراح أحدهم يمزح معه ويقول له يا طوقان على راسك شيخ الجراد وهو دخيل عليك ويتوجه عن ربعه الجراد يريدك تفكهم فلم يأبه له طوقان، وكان طوقان جندياً في الجيش الفرنسي بسوريا ببداية هذا القرن.

فتهكم عليه آخر وقال له بأن شيخ الجراد دخيلك فأين شجاعتك. . فمد يده على رأسه ووجد جرادة فوق رأسه فنهض طوقان غاضباً وسحب مشط بندقيته فأصبحت جاهزة للرمي فأوقف البدو جميعهم وطلب منهم فك عدولهم واطلاق سراح جميع الجراد الذي بداخله فصاح عليه عقلاء القوم ورجوه بأن يعدل عن اصراره لكنه أصر وهددهم باطلاق النار على كل شخص لا يطلق سراح الجراد الذي معه فذكروه بأن ما جمعوه كلفهم جهد أيام كثيرة فرفض طلبهم وأصر على ما أراد فكان له ما أراد فأطلقوا جميعهم

جرادهم ونكصوا راجعين إلى أهلهم خاليي الوفاض. توفي هذا الرجل منذ ثماني سنوات بالكويت عن عمر يناهز التسعين.

التجارة في الزبير

التجارة عند أهل الزبير طبيعة من طبائعهم فهم حين هبطوا من نجد بداءة كانت التجارة أهم أسباب هذه الهجرة . وما كان يحول دون عملهم في التجارة بعدُ الديار فتراهم يقطعون البرارى والبحار للوصول إلى البلد الذي



منظر في «المشراق» من أرض البصرة حيث يتجمع التجار لتسويق الطعام عن طريق بلدة الزبير في القرن الثاني عشر الهجري .

يجدون فيه مربحاً لتجارتهم يبيعون ويشترون ، وسواء كان هؤلاء التجار في الزبير أو الكويت يلاحظ أن التبادل التجاري كان ساري المفعول طوال الثلاثة قرون الأخيرة . وما أدركناه أو حدثنا به المعمرون في أوائل القرن الرابع عشر الهجري أن أهل نجد الذين استقروا في الزبير كانوا يسيطرون على تجارة البصرة ، والبصرة كانت تضم في تجارتها أربعة ألوية هي البصرة

والناصرية والعمارة والسماوة قبل أن تأخذ أسماءها الجديدة (ذي قار وميسان والمثنى) وكانت البصرة هي الأم . والتجار من أهل نجد وهم الزبيريون قد نشطوا في تجارة الحبوب (الحنطة) والتمن (الأرز) والشعير والذرة التي تنتجها غالب بلاد العراق من الشمال إلى الجنوب فتنقلها السفن النهرية والجنائب أو تصل عن طريق القطار ، وحينما تصب في البصرة تحتضنها المخازن الواسعة التي تسمى الخينان مفردها خان أو الأسياف[1] في مكان يسمى الخندق تسميةً باسم النهر (الخندق) وعلى جانبيه المخازن والأسياف . وإذا رأيت الخندق وتكدس هذه الكميات الهائلة من الحبوب رأيت التلال المتتابعة في سهل فتيح . هذه الكميات تأتي باسم أولئك التجار الذين وضعوا أنفسهم وسطاء بين المنتج وبين الشركات الأجنبية من آسيا وأوربا وأمريكا (اليابان والهند وانجلترا وأمريكا وكندا) . فتحمل حسب الطلب بالبواخر وتقلع من ميناء البصرة مخترقة مياه الخليج العربي في طريقها إلى تلك الأقطار .



اسماعيل موسى الدليجان بائع السمن الحر

(١) المخزن أرض محدودة يضع فيه التاجر الحبوب والتمر المرصوف بالخصاف وهو الوعاء المنسوج من خوص النخلة .

ومن اصحاب الاسياف المعروفة الحاج ابراهيم البعيجان والحاج يعقوب الدليجان

وقد تكون هناك موانىء في الخليج العربي تحمل إليه هذه الحمولات التجارية من دبي ومسقط . وهناك مادة أخرى لا تقل أهمية عن الحبوب ونعني بها التمور ، تمور البصرة كالحلاوى والساير والديرى والخضراوى وتمور الفرات كالزهدى والچيچاب[1] .

هذه هي أهم صادرات العراق من انتاجه الزراعي والتي اشتهر بها كقطر زراعي منتج عدا بعض المواد التي تأتي بالدرجة الثانية كالباقلاء والسمسم والعدس وعرق السوس والماش والشيلم .

وتجار العراق من بغداد والموصل والحلة والبصرة كانوا يصدرون هذه الحاصلات عن طريقين من الشمال عن طريق القطار من الموصل والثاني عن طريق البحر من البصرة . وقد لعب التجار الزبيريون من أهل نجد دوراً رئيسياً في هذا المجال .

ولو كشف حساب في انتاج التمور ممن يملكها من أهل نجد لبلغت قرابة ٧٥ ٪ وبتصنيف هؤلاء المنتجين والمصدرين لقابلتنا هذه الصورة :ـ

أولاً : مجرد ملاك منتجين :ـ وعددهم يتجاوز المئات الصغير منهم والكبير .

ثانياً : تجار تمور :ـ وهم أصحاب الجراديق والمصدرين الصغار عن طريق الأبوام .

ثالثاً :ـ مصدرو تمور يتعاملون مع الشركة المحتكرة (اندروير) أو على حسابهم .

وفيما يلي بعض أسماء المنتجين الكبار من منتجي التمور في مقاطعة البصرة .

---

(١) الچيچاب : وتنتجها ألوية الحلة وكربلاء والديوانية والأنبار .

١ ـ **الابـراهيم** :ـ (الدورة ، المخـراق ، المعامـر) . انتاج وتصـدير علـى حسابهم الى أمـريكا بـواسطة الشيـخ قاسم الابـراهيم الـذي اتخـذ من أمريكا مركزاً لتصريف تموره . ويملكون (١١٥ ألف) جريب من النخيل .

٢ ـ **المنديل** :ـ تمور الماجدية والهارثة والنشوة وبني مالك وتصدير تموره عن طريق الشركة .

٣ ـ **النقيب** :ـ تصدير عن طريق الشركة .

٤ ـ **فهد الراشد** :ـ تصدير عن طريق الشركة .

٥ ـ **سليمان وحمد المحمـد الذكـير** :ـ وتصـديـره عن طـريق الشركـة ويملكون (٩ آلاف) جريباً .

٦ ـ **محمد سليمان العقيل واخوانه** :ـ وتصديره عن طريق الشركة .

٧ ـ **محمد العويد الشعيبي** :ـ تصديره عن طريق الشركة .

٨ ـ **احمد العبد اللطيف الحمد** :ـ يصدرها على حسابه الخاص .

٩ ـ **البسام** :ـ عن طريق الشركة .

١٠ ـ **سعود العبد العزيز الصالح** :ـ عن طريق الشركة .

١١ ـ **تمور أملاك الصباح** :ـ يصدرونها على حسابهم .

١٢ ـ **تمـور مـلاك آخـرون** :ـ **كـالصقـر** : يصـدرهـا عـلى حسـابـه الخاص[١] .

١٣ ـ **الحـاج محمد وسليمان الصوالـح[٢] اخصائيـون بتصديـر تمـور الحلاوي الجيدة لجنوب افريقيا** .

١٤ ـ **الغانم** :ـ يصدرها على حسابه الخاص .

١٥ ـ **احمد عبد الله العنيزى** :ـ عن طريق الشركة .

١٦ ـ **أحمد وعبد الرحمن الصالح الذكير** :ـ عن طريق الشركة .

١٧ ـ **الزهير والفداغ والصانع والقرطـاس** :ـ عن طريق المحتكـر او الشركة .

---

(١) زودنا بهذا مشكوراً الأستاذ يوسف محمد أمـين الشنقيطى بحـديث مدون حسب أختصـاصه فيما يخص الأعمال المصرفية في البنوك أيـام سيطرتهـا على التجـارة وكيف كانت تحتكـر العمل الأداري والفنى فلا تسمح لغيرهما أن يشارك فيها من قريب أو بعيد .

١٨ ـ **الخضيري** :ـ عن طريق الشركة .
١٩ ـ **الحاج عبد الله الخليل** :ـ على حسابه الخاص وكذا هلال المطيري .
٢٠ ـ **أحمد العلي الفريح** :ـ عن طريق الشركة .

أمّا تمور الديرى والزهدى و (الخلال المطبوخ) فتباع إلى أقطار الخليج العربي كما قد تبلغ موانىء أخرى على المحيط الهندي بواسطة التجار الكويتيين ولأهل مسقط تحملها الأبوام الشراعية أو يحملها تجار زبيريون وعلى حسابهم الخاص .

وكذا الأمر في تمور الفرات المتكونة من زهدي الفرات والچيچاب فليست داخلة في حساب الشركة (اندروير) بل تحمل بطريق حرة تباع في موانىء الخليج أو على أقطار افريقية وجنوب شرق آسيا وتجارها على الغالب كويتيون كالغانم وعبد الله الخالد البدر والحاج أحمد العبد اللطيف وعبد الله الصقر والقطامي والمرزوق والخالد الخضير .

وهناك تجار تودع عندهم هذه التمور بطريق الخانجية قبل أن تصدر ومن هؤلاء الحاج عبد الله الشملان وغيره .

إن هذه التمور المسماة بتمور الفرات تنحدر إلى البصرة ليتولى بيعها تجار بصريون وزبيريون يطلق عليهم الوسطاء ويتولون تصديرها للخارج بحساب القومسيون .

كما أن هناك أصحاب الجراديق الذين يتسلمون تمور الحلاوى والخضراوي والساير فقط لحساب (اندروير) أي الشركة المحتكرة ، ثم إن صاحب الجرداق بعد استلامه الكمية بالصندوق وتسليمها للشركة يقوم بتسليم الثمن لصاحب الكمية لهذا الملاك أو ذاك ثمن تمره فهو يقوم بدور الوسيط بين الشركة وبين الملاكين وقد انتشرت الجراديق التابعة لتجار البصرة والزبير على ضفاف شط العرب والأنهار الكبيرة المتفرعة منه في شرقه وغربه وتكون هذه المواسم أيام الصيف والخريف وتظل تتسلم التمور حتى

أوائل شهور الشتاء[١] والتمور هذه إمّا أن تكبس بالصندوق الخشبي وهو الغالب أو بالكيس (الصربال)[٢] .

وأرض البصرة الممتدة من القرنة والكَرمة شمالاً وحتى الفاو جنوباً كلها تزرع النخل ومن قردلان وكتيبان والدعيجي شرقاً وحتى ذنايب الأنهر المتفرعة من شط العرب غرباً .

مواد طبيعية للتجارة :-

ولنعد إلى امارة الزبير حيث نجد هناك مواد موفورة تصلح للتصدير حيث وجدت لها مكاناً في صناعة البناء ونعني بها الرمل والحصو حيث تدخل في عمل مواد البناء والرصف ويصدر منها إلى البصرة والعمارة والناصرية فإذا أضيفت هاتان المادتان إلى الأسمنت والأحجار المقتلعة من جبل سنام كان ذلك معيناً لا ينضب من صحراء ممتدة الأطراف كما أصبحت هذه المواد تصدر بكثرة إلى موانىء الخليج عن طريق أم قصر .

وهناك مادة لا تقل أهمية في التصدير مما سبق وهي الأصواف وجلود الخراف والجمال التي تتحصل من البلد نفسه أو ما يجلبه أعراب البادية إلى الزبير فيتم تصديره إلى الخارج عن طريق البصرة وبغداد .

كذلك تصدر أخشاب الاثل الذي تنتشر زراعته في صحراء الزبير . ويصنع النجارون الفنيون منه مقوسات الشناشيل التي تجمل شرفات البيوت . وخشب الاثل وحده الذي يطاوع في التقويس ثم يكسى بخشب الصاج أو الأبنوس لتجميله . وكانت تصنع المحامل التي يستند عليها عمل البئر في المزارع (الركايا) . كما كان من أخشاب الاثل سقوفاً للمنازل

---

(١) وتكون البصرة في هذا الموسم وكأنها تعيش أيام عرس فالتاجر يعمل بمن معه في جرداقه والجرداق كأنه خلية نحل عامل وعاملة وكاتب وبلّام والملّاك ينتظر نتيجة تمره .

(٢) الصربال : وعاء مصنوع من خوص النخل تعبأ فيه تمور الزهدى .

و (تخوت) للمجالس وأخيراً يستعمل للوقود . ومن قبل كان قد استعمل خشب الاثل رحالاً وشداداً للحمير وللجمال توضع فوق ظهورها أيام كان كل بيت لا يخلو من عدد من الجمال أو الحمير أو الخيول .

أسماء الملاكين من أهل نجد في البصرة[1]

جاء في جريدة « الناس » البصرية ذكر عدد من الملاكين من أهل الزبير والذي يتملك الواحد منهم أكثر من خمسين جريباً من النخيل وقد يعلو هذا الرقم لبعضهم حتى ليبلغ بضعة آلاف كما عند الشعيبي والمنديل والذكير والابراهيم ويهبط إلى الخمسين جريباً أمّا ما دون ذلك فعددهم كثير لم يرد لهم ذكر في هذه القائمة . وهؤلاء كما يلي :-

عبد المحسن الشعيبي . عبد اللطيف المنديل . حمد وسليمان المحمد الذكير . الحاج أحمد الفريح . الحاج سعود الصالح . الشيخ خالد الصباح . أحمد الشيخ صالح الابراهيم . عبد الرزاق عن ورثة سليمان الغملاس . ورثة عبد الكريم المشرى . الشيخ ابراهيم العبد الله الراشد . فهد أحمد النصار . الحاج عبد المحسن المهيدب . الحاج عبد الله العسافى . الحاج محمد وعبد الكريم البتيرى . الحاج فهد محمد الراشد . الحاج محمد السليمان العقيل واخوانه . بدر وبندر أولاد خالد العون . شيخ على الصباح . خالد المهيدب . عبد الله العوجان . أحمد المشارى الدخيل . محمد الفارس . عبد الله محمد الفارس واخوه موسى محمد الفارس . محمد الحمد الفارس . يوسف الصبيح . براك الصبيح . الحاج أحمد مدوه . عبد الله حمد الباحسين . سليمان الميضان . محمد عبد الله البراهيم . عبد الكريم الريس . عبد الرحمن العوده . شيخ ناصر الأحمد . ناصر أحمد الثاقب . عبد العزيز عبد الله البسام . سليمان العبد الله البسام . حمد العبد العزيز

---

(١) شارك في حديث الملاكين الكبار ونوعية ملكياتهم الأستاذان ناصر الأبراهيم الذيب ويوسف حمد البسام فقد زودانا بمعلومات قيّمة في هذا الباب مشكورين .

البسام . عثمان القريشي . أحمد عبد الهادى الدوسرى . عبد الله عبد الكريم الحسن . عبد العزيز البريكان . عبد المحسن الشملان . يوسف الشماس . عبد الله أحمد العودة . ابراهيم البعيجان . عبد الحميد عبد العزيز الصانع وأخواه عبد القادر ومحمود الصانع . عبد الرحمن عثمان البشر . عبد الله الرشيد . محمد عثمان الفريح . شيخ عذبي الصباح . ابراهيم الصباح . عبد الله سليمان المطلق . عبد الرزاق الفضل . عبد الرحمن الخضير . وابراهيم سليمان المطلق . عبد الله الغبيشى . عبد الكريم بو حيمد محمد الخميس . الحاج أحمد السواحه . يوسف وعبد الحميد ابناء داود الفداغ . ابراهيم عبد الله الرشيد . ابراهيم الهميلى . السيخ محمد السند . عبد الحميد المشرى . عبد اللطيف الشماس . الشيخ محمود المجموعى . عبد اللطيف عثمان الفريح . الشيخ عبد الرحمن الابراهيم «الدوره» . أحمد عبد العزيز الفليج . جاسم الرشود عبد الرزاق وعبد الله الصالح . عبد العزيز الصالح . وعبد الرحمن العبيد الله .

هذه الأسماء كما وردت في الجريدة بتاريخ ١٣ / ٤ / ١٩٣٩ م دون تسلسل أبجدى ولا حسب عدد ملكية وأن بعضهم من الملاك الكويتيين الذين كانوا يعملون جنبا إلى جنب مع الملاك من أهل الزبير . وقد يكون هناك عدد غيرهم من دخل فى شرط محرر الجريدة ولكنه لم يذكر نسياناً أو عدم علم بهم . ولا نرغب حفاظاً على السمة التاريخية في اضافة ما .

الصناعة في الزبير

على الرغم من أن الزبير مدينة سكانية يميل أهلها إلى الأعمال الحرة في التجارة والزراعة ولا تعتبر بأي حال مدينة صناعية ولكن مع ذلك فإنها لا تخلو من صناعات خفيفة يدوية تقوم بقطاع لا يستهان به من السكان في تدوير أحوالهم المعيشية : وفي أدناه بعض من هذه الصناعات :

أولاً : الصناعات الجلدية :

تصنع في الزبير روايات للسقي من الآبار يستعملها البدوي في الصحراء على شكل قرب مستديرة واسعة الفم تسع الواحدة قرابة (١٥ - ٢٠) كيلوغراماً . يسقي بها إبله وأغنامه . وهناك صناعة القرب التي كان يستقي بها السقاة يحملها الحيوان على ظهره وتسع من الماء أقل مما تحمله الراوية منها الصغير ومنها الكبير يحمله الحمار أو الجمل . وهذه كانت تستعمل لما كان أهل الزبير يستقون من الدريهمية ، وبعض الآبار المتواجدة حول بلدة الزبير . كما كانت هناك صناعة (الغروب) التي كانت تستعمل في المزارع يجرها الحمير وقد مرَّ وصفها في حديث الزراعة .

صناعة النعال :

والزبير مشهورة بصناعة النعال وهناك عمال لهم اختصاصهم في هذه الصناعة ، وبلغ الانتاج أن كان يغطي الحاجة المحلية ويصدر إلى جميع الدول الخليجية ، وهي صناعة قوية تقاوم استعمال الإنسان مدة طويلة .

صناعة الرحول والشداد :

وهما الحاجتان اللتان يستعملهما الانسان في ركوبه للحمار والجمل وقاءً له ولدابته . علماً بأن هناك صناعات جلدية بسيطة قد انقرضت إلى حد ما لانتفاء الحاجة إلى استعمالها كقراب السكاكين والخناجر والسيوف والبنادق والمسدسات وأقنعة الصقور .

الدباغة :

وهذه الصناعة لها علاقة أساسية بصناعة الجلود إذ لا يمكن أن تقوم صناعتها إلا بعد أن تمر في مرحلة دبغها حيث تلقى عليها مواد تطبعها بطابع الليونة والمتانة والجمال ومازالت هذه الصناعة أصيلة تمشي جنباً إلى جنب مع نشاط الصناعة الجلدية ، على أنَّ مواد الدباغة كلها محلية وباتقان هذه الصناعة الدباغية أن أصبحت من النوعية التي تضاهي أقوى الدباغات في العالم ، ولا غرو فإن الحاجة التي تدخل للاستعمال مع الإنسان تدوم طويلا دون أن تتأثر بالماء أو الاستعمال .

ثانياً : صناعة الكلس (الجص) :

وهذه الصناعة عرفت في هذه البلدة منذ وطأها الإنسان الزبيري النجدي قبل أربعة قرون قد استعمل هذا الفرد هذه المادة مع الطابوق . والذي سهّل هذه الصناعة وجود الأرض الكلسية في نواحٍ من أرض الزبير . وقد مرّ بنا كيفية العمل في (الدوغ) للحصول على الجص[1] .

وفي السنوات الأخيرة أصبح للجص صناعة حديثة بواسطة المكائن الميكانيكية[2] .

---

(١) يطلق أيضا على البقع التي هيئت لأخذ الجص منها بـ « المفارش » .
(٢) انظر الحديث عن هذه الصناعة في موضوع بناء البيوت .

صناعة تحطيم الحجر (الصلبوخ) :

وهناك عمل تجميع الصلبوخ وعزله بواسطة آلة لتصنيفه ثم احالته إلى ماكينة لتحطيم قسم من هذا أو ذلك لغرض استعماله مع الأسمنت في البناء .

أو لتحطيم الحجر كبير الحجم إلى قطع صغيرة مناسبة لرصف الشوارع العامة تمهيداً للتعبيد ثم للتبليط ، كما يجري ذلك في أحجار جبل سنام وذلك عن طريق التفجيرات[١] .

ثالثاً : الصناعات النجارية :

والنجارة صناعة أساسية مهمة ، وفي الزبير اهتمام بالصناعة الفنية أيضا . هناك نجارون يقومون بصناعة الأبواب الخشبية والشبابيك والموبيليات وتجهيز دار أعراس كاملة ، وصناعة التخوت (كراويت) وبضمنها الكراسي والصناديق الخشبية علما بأن هناك صناعات في الحقل الزراعي قد انتهى طورها يوم كانت المزارع تسقى بالطريقة البدائية (الصدر) . ومن أشهر الصناعيين في مجال النجارة يوسف أحمد الشايجي وأولاده يعقوب وصالح ، وكذلك يعقوب الحسينان .

رابعاً : صناعات حدادية :

وتدخل هذه الصناعة في حاجات الناس لتصليح بعض اللوازم النجارية أو تعديل بعض آليات السيارة وتصليحها وكذلك اللحام . وصنع بعض ادوات النجارة والبناء مما تدخل فيها قوة النار والكهربة وهناك أعمال خفيفة كصناعة الشعرية وصناعة البسكويت والحلوى والتي تعتمد على الطحين كعنصر أساسي في صناعتها .

---

(١) أصبح هذا الحجر ينقل إلى بعض محافظات العراق للغرض نفسه .

خامساً : صناعة البشوت والعقل :

وهذه الصناعة يدوية وهي نسيج الصوف (صوف الغنم) أو الوبر[1] والبشوت هي عباءات يلبسها الرجل كما تلبس الجبة وصناعة اليد عادة تكون أمتن من صناعة الماكينة والبشوت الزبيرية كما يقول العارفون هي أقوى من صناعات أخرى ينسج قسم منها باليد وقسم بالمكائن كما تصنع العقل أيضاً ويسمى عقال الشد يصنع من صوف الغنم وتكون فيه كسرات كل واحدة تتكون من أربع قصبات طول الواحدة تتراوح بين ٣ : ٧ سنتيمتر وتطوي هذه القصبات بالحرير الأبيض مطعماً بالأزرق وأما النوع الثاني فيطوى بخيوط ذهبية يسمى (الزري) وهذا العقال يلبس في الرأس وفي هذا الوقت قلّ من يستعمل هذا النوع من العقل .

وهناك نوع ثان وهو الأعم في الوقت الحاضر يسمى عقال « الكسر » ولونه أسود ويصنع من شعر الماعز (المرعز) .

صناعات أخرى :

وهناك مصنع للأصباغ في مختلف أنواعه وله نشاط في الاستهلاك . كما أن هناك مصنعاً يدوياً لصنع الشِّباك (شباك الصيد وغيره) .

وكان هناك مصنع للرهش[2] (الراشي) وكان يدار من قبل يهود . موضعه في جاخور الغملاس ثم تركه مؤسسه وأستلمه أحد الأخوة من أهل نجد في الزبير ولم يستمر طويلاً فأغلق .

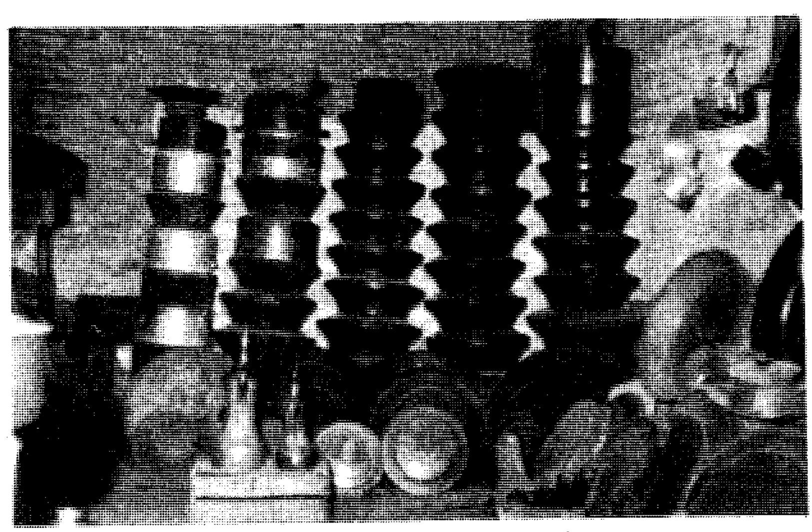
وهناك صناعة القدور التي تستعمل للطبخ وهي من معدن الصفر ومن بعض هذه الصفرية وتكون كبيرة الجم نسبياً تعد لطبخ طعام الولائم.

---

(١) هو صوف الجمال ويسمى وبراً .
(٢) الرهش مادة تستخرج من السمسم بعصره في المكائن وهو مادة غذائية لذيذة الطعم تمزج مع الدبس أو مع مواد أخرى فتتكون حلاوة أو غيرها .



دكان يوسف وعبدالرزاق العمار يشتغل في بيع النحاس في صناعة الزبير



يوسف العمار بائع النحاس والبيض لها في صناعة الزبير

النقد في المعاملات قبل الحرب العالمية الأولى في الزبير

كان يجري التعامل في ذلك العهد (أي العهد التركي) في الزبير بالليرة العثمانية التي تتكون من الأجزاء التالية[1] :

١ ـ **الليرة** : وهي من الذهب وتساوي خمسة مجيديات . والليرة نوعان :

أ ـ ليرة تركية .

ب ـ ليرة أنجليزية .

٢ ـ **مجيدي** : وهو من الفضة يساوي أربعة شاميات . وكذلك أجزاؤه من الفضة .[2]

٣ ـ **الشامي** : يساوي قران وربع .

٤ ـ **البشلق** : عملة مصنوعة من النحاس وهو أقل من الشامي .

٥ ـ **الريال** : من الفضة .

القران : ويسمى قران أبو دبيلة ويساي ١٠ قمريات .

٧ ـ **القمري** : ويساوي ٤ شواهي .

٨ ـ **الشاهية** : وهي فارسية وتساوي بيزتين .

٩ ـ **الورقة** : عملة هندية وتساوي الشاهية نفسها .

١٠ ـ **البيزه** : وهي هندية وكل أربع بيزات آنه واحدة .

---

(١) هذا ما أستقيناه من المرحوم جاسم شوقي ويضيف قائلا : « أن راتبي من الدولة ٤٦٢ قرش ووظيفتي ضابط جندرمه في العهد التركي » .

(٢) ابراهيم السدره وهو أبو خلف .

١١ ـ القرش : نوعان :
أ ـ صاغ .
ب ـ جرك .
١٢ ـ الروبية : تساوي ٧,٥ قرش صاغ « وتساوي ١٦ آنة أو تساوي ٦٤ بيزة .

مسيرة النقد بعد العهد التركي

ظلت إمارة الزبير تتعامل بالعملة التركية حتى سقوط البصرة سنة ١٩١٤ م في الحرب العالمية الأولى وحلت الروبية محل المجيدي . والروبية (وتلفظ الربية) هي الوحدة الأساسية ولها وحدات أعلى منها وأخرى أدنى . هناك الخمس روبيات والعشر روبيات وهناك نصف روبية وربع روبية وآنة وبيزة وبارة . وهذه العملة إنجليزية[1] .

الروبية تساوي ١٦ آنة .
والآنة تساوي ٤ بيزات .
والبيزة تساوي ٣ بارات .

والروبية من الفضة وكذلك نصف الروبية وكذلك ربعها .
والربع يسمى قران .
وأما مضاعفات الروبية فمن الورق .

وتتميز الروبية سواء في مضاعفاتها أو وحداتها أو جزيئاتها بما تساوي من المواد الإقتصادية والمعايشة .
فقيمة المن التمن العراقي بخمس روبيات ، والمن ٦٠ حقه .
والمن من الطحين بأربع روبيات ونصف .
والأوقية من لحم الغنم بروبية واحدة ويومية العامل العادي بروبية واحدة .
من الصباح حتى المساء أي من مطلع الشمس حتى الغروب .

---

(١) هذه العملة هندية في الأصل جاء بها للعراق الأنجليز بعد الأحتلال .

ويخرج رب البيت يحمل زبيله فيملؤه من اللحم والخضر وشيئاً من الفواكه وجت السخلة بنصف روبية واحدة لعائلة متوسطة الحال.

وظلت الحال على هذا حتى ١٩٣٢ م حيث ظهر الدينار العراقي في عهد الملك فيصل الأول .

والدينار وحدة متكاملة لها أضعاف ولها أجزاء . فهناك الخمسة دنانير والعشرة دنانير وخمسة عشرون دينار ومائة دينار . وهناك نصف دينار وربع دينار والدرهم وهو واحد من العشرين من الدينار . وللدرهم أجزاء . نصف درهم وعشرة فلوس وآنة أو (خمسة فلوس) وفلس واحد .

وتوجد ثلاثة أنواع من الريال كلها من الفضة فهناك ريال فرنساوي وريال سعودي وريال عراقي . . فالأوليان يتقاربان قيمة بحدود (٨) انات لكل منهما وأما الريال العراقي فقيمته مائتا فلس . فالريالان الفرنسي والسعودي عملة كان يتعامل فيها البدو الذين يسابلون امارة الزبير منذ العهد التركي الى أيام الحكم الفيصلي وحتى ظهور العملة العراقية ثم ارتفع الريالان فعادت السابلة تتعامل بالريال العراقي .

تعداد النفوس

تعداد النفوس العام لمركز قضاء الزبير ومحلاتها المختلفة لعام ١٩٦٥ م.

ذكور	آناث	المجموع
٢٥٠١٠	٢٢٧٠٩	٤٧٧١٩

الأطباء الشعبيون

الحاج مثّال المطيري :

هو من قبيلة صريحة بعروبتها من افخاذ العبيان قضى باكورة شبابه مع قبيلته في البدو الضاربة في بـادية الـزبير واستـوطن الزبـير وصاهـر آل وطبان



صورة الحاج مثال مطيري

وجهزته حيـاة الصحراء وطبيعتهـا بتجارب البـداوة وصدق الفـراسة وشـدة المراس والاعتماد على النفس مع قوة الارادة وصحة المزاج وسلامة البدن مـع ذكاء حاد . وكانت هذه المواهب مجتمعة اكسبته اضطلاعاً واسعاً وخـبرة عن الامراض المتوطنة في البصرة والزبـير فأخـذ يزاول مهنتـه بأخـلاص ويعالـج المصابين بالكسور والرضوض والفسخ التي تصيب الإنسان بـالكي وبالتجبير حتى برع فيها وضرب بها الرقم القياسي في دقة التشخيص مع سلامة العلاج وخفة اليد وذاع صيته فأقبل الناس عليه من كل مكـان . ولم يقف عند هـذا الحد بل أخذ يعالج كثيراً من الأمراض مرة بالعقاقـير الشعبية ومـرة بالكي ،

واخرى بالدهان . وكثيراً ما يوصي مرضاه بالحمية ويعين لهم نوع الطعام وشفى على يده بفضل الله سبحانه مرضى كثيرون .

جاء هذا الرجل الموهوب في عهد لم تتوفر فيه المستوصفات والمستشفيات فجاء الحاج مثال ليسد الفراغ .

اخلاقه : عرف الحاج مثال بكمال المروءة والصدق في عمله ومعاملته مع المرضى لا يسأل اجراً بل يرضى بما قسم له متديناً بطبيعة الحال صادق اللهجة وكأنما قد اتسم بطابع خاص عفيفاً قليل الكلام يميل الى العزلة ولا يتردد الى المجالس الا قليلاً قل ان يقبل دعوة او يحضر وليمة . وكان يقضيي اكثر فراغه في رعاية الاغنام لاهالي الزبير ولما اقبل الناس عليه انصرف لمعالجة المرضى في داره . ولما بلغ الثمانين كف بصره واخد يواصل عمله في دار الحاج حسن المبيض الذي كان خليفته وكان يتحرى مواضع الكسر والفسخ باللمس ثم يعلمه بالخبر تحسساً ان كان الامر يقتضي الكي ثم يطلب من الحاج حسن ان يكوي على الاشارة او يجبر الكسر او الفسخ بيده مباشرة والحاج المبيض ساعده الايمن . ولد سنة ١٨٣١ م وتوفي سنة ١٩٥٥ م رحمة الله عليه . يقال أنه عمل بمستشفى البصرة عند الانجليز للتجبير.

دخيل السعران

ومن الأطباء الشعبيين الذين زاملوا الحاج مثال في التداوي في الكي خليل السعران وهو تلميذ الحاج مثال ولكنه لم يأخذ شهرته .

الحاج حسن المبيض :

من عائلة المبيض الحمولة المعروفة في الزبير والمنتشرة في الكويت والمملكة العربية السعودية وما زالت لهم في الزبير بقية .

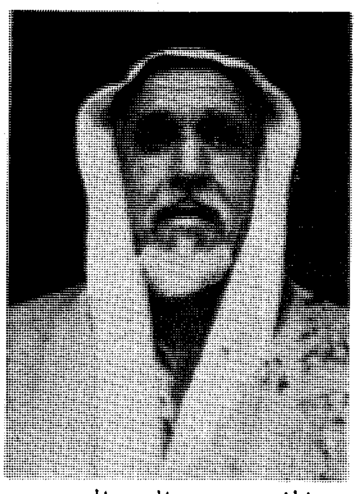
هذه الشخصية أشتهرت بنوع من العلاج ليس هو الكي ولا الجراحة

ولكن عـن طريق نظافة الأمعـاء والمعدة . فلسفتـه تقول ان المعـدة بيت الداء والحمية رأس الدواء كما جاء ذلك في الحديث النبوي فهو يعالج بهذه الوسيلة وطارت له شهرة بأعطاء الملينات المعوية ولكن ليس بطريق (الحبيبات) التي يصفها الطبيب من الصيدلة . فهو يعطي شربـة من منقوع النبـاتات الـطبية البريَّة كالسناوين وهو نوع من السنامكي يشربه المريض في وقت يحدده الحاج حسن . فما هو بعض الوقت حتى يحركه بطنه ثم بعد حين تبدو عليـه علائم العافية نتيجة نظافة بطنه (بمعدته وأمعائه). وهو بصير في وصفاتـه لمجرد أن يرى المريض فيلمح ذلك في وجهه وعينيه وربما مس كبده (بطنه) بيده فيقع على علته كـما يقع عـلى بعض المعلومات عن حـالته الصحيـة بسؤاله فيـأخذ حقنة معوية يعملها هو بيده في البيت وما هي إلا لحظات فإذا المريض يشعـر بالراحـة والشفاء وتنقشـع من كبده تلك الأزمـة والطريف في الـذكر أن أهله وعائلته كلهم قد مرنوا على هذا العلاج فيطرق مريضهم الباب ليلاً أو نهاراً . فيتناول هذا الدواء فتكون فيه عافيتـه . أما الأجـور الماديـة فغير مشـترطة . والحاج حسن المبيض قوي الإيمان قوي الشخصية يصف العلاج لمرضاه وهو موقن بالنتيجة الفضلى . تملأ نفسه القناعة . ربي أولاده فأحسن ويوم فـارق دنيـاه لم يخلف غير كـمال الخلق والسمت الكريم وكـان قدوة عـالية لعـائلتـه الكبيرة في الزبير ثم بعد تحولها الى المملكة العربية السعودية .

وتوفى الحاج حسن وأحدث فراغاً . وورث عنه علاجه ولده (ناصر) ولكن بأسلوب ثان فقد ألهمه الله معرفة (الفسخ) والكسور وأنفكاك العظام التي تحدث في الأنسان جراء ضربة بجسم غريب أو عثرة على الأرض أو حمل ثقيل وما شابه ذلك ـ يقول ألهمني الله ولله الحمد أن أتحسس العضلة والعظم داخل الجسم مهما صغر فأسقط على علته فأعالجه بالتجبير ، وقد رأينا الكثيرين ممن عالجوا على يده قد شفوا .

الحاج حمّود العبد المحسن المحيسن .

هـو أحـد الأطبـاء الشعبيـين المعـروفيـين . وكـان يعـالـج الأمـراض المستعصية بالكي . يذكر أن امـرأة مضمدة تعمـل في المستوصف الأهـلى في



الحاج حمود عبدالمحسن المحيسن

الزبير جاءته وكان يجلس في الديوان كالعادة وعنده ضيوفه فقـالت : يا حـاج كشفت عند الاطباء فقالوا عندك سرطان في الثـدي وانا سمعت أنـك تكوي وأن الكي الذي تجريه ناجح ولا يؤول الى خسران فأكوني . . فتردد الحاج . فقـالت : أعطيـك ورقة مـوقعة عـلى أنك لست مسؤلاً بـل أنا المسئـولة عن نفسي .

وكان أهله في الحرم قد علمهم ودربهم على المهنة فأحـالها لهم للكشف فـأكدوا وجـود المـرض . فكـواهـا (محلقـاً) عـلى الشـدي وأوصـاهـا بعض التوجيهات اللازمة في ضمن هذا العلاج ومـا هي الا أيام حتى جـاءته تعلن شفاءها نتيجة الفحص الطبي السريري . . وتُقَدِّم شكرها مع الهدية . .

وكان الحاج حمود قد عالج العـديد من مـرضاه بهـذه الطريقـة بعد أن يتأكد من وجود بعض الأورام الخبيثة وكان علاجه ناجعاً .

وتوفي رحمه الله[1] بعد أن أدى واجباً أنسانياً مهماً . وفضلاً عن هذا فأنه شخص بسيط أمتلأ خلقاً وقناعة وأيماناً وورث أولاده منه هذه الأخلاق الفاضلة وعملوا في التجارة والأعمال الحرة في الكويت والمملكة العربية السعودية .

الحاج زامل المسفر

هذه الشخصية هي تأتي في مرتبة فنية ثانية في عداد هؤلاء الأطباء الشعبيين وكان أختصاصه في الكي . فهو لمجرد أن يفحص على مريضه يعرف ما إذا كان محتاجاً الى الكي أو الى اللصقة الطبية يصفها لهم من أدوية عند العطار وهذا دليل على صدق وصفته في العلاج .

وهناك عبد القادر الحكيم (أبو صالح الحكيم) كان يعالج مرضاه بعدة وسائل غير الكي والحقنة . كان يصف دواءه مما هو عند العطار وهي الأدوية النباتية وكان علاجاً مباركاً ولعل سر هذا الشفاء هو صدق نواياهم . رحمهم الله .

جاسم محمد الشريدة


جاسم الشريدة

احد الأطباء الشعبيين ، وأختص بقلع الأسنان والآلة التي يقلع بها هي (كلابتين) . فيمسك بالمريض بين ركبتيه وكان قوياً يضرب المثل بقوته . ويحدد السن وينشب به (الكلابتين) فلا يفلته إلا والسن بين يديه . وكان خفيف الحركة في عمله هذا .

---

(١) توفي الحاج حمود في ٢٣ ربيع ٢ / ١٣٨٨ ه الموافق ١٩ / يوليه / ١٩٦٨ م ودفن في مقبرة الزبير .

والشريدة من المعمرين . وبلغت قوته أن يمسك بثور عنيف هائج وقد تحاماه آخرون .

المهندسون الشعبيون

هناك بعض المهندسين في الإعمار والزراعة أثبتوا أهلية دلت على حذق وذكاء طبيعين. فمن النوع الأول يوسف العومي . فقد كان يخطط لبناء المساجد في الزبير أو يشرف على بنائها، وفي بعض الأحيان يقوم بهذا البناء. قدم خريطة في هندسة بناء مسجد الزبير بن العوام ومنارته. وقدم آخرون مهندسون أنتدبتهم مديرية أوقاف البصرة وقد أختارت الأوقاف العامة خارطة المهندسين وبنى المسجد وبنيت المنارة فما هي إلا الشهور الأولى ولما تمضي فترة الضمان على البناء حتى بان أعوجاجها وميلانها عن زاوية الأعتدال. فعجلوا فنقضوها قبل أن تقع على الناس.

وعادت الأوقاف فأرسلت على المعمار يوسف العومي وقالت له : « طبق خارطتك . . . » فأسس وأشرف فكانت منارة قائمة ذاهبة في السماء إلى هذا اليوم وقد مضى أكثر من نصف قرن.



يوسف العومي

والشخصية الثانية هو أحمد الغملاس. فقد ضرب مثلاً آخر في هندسة بناء البيوت السكنية. وكذلك عبدالله العليان وعبدالرحمن الديحان وخلف النصيب وعبدالله الليبفه ومحمود الرحيم المشهور بـ مجمود المدالله نسبة إلى أخواله وسليمان المسفر وغيرهم.

وأما في الهندسة الزراعية فقد ظهر المهندس عمر محمد العلي في أوائل هذا القرن وظل يملأ هذا الفراغ حتى الأربعينات لم يزاحمه أحد. وكانت هذه المهنة تسمى لدى العامة بالذرعة. حيث يتسلم الأرض التي تعد للزراعة ويعمل فيها تخطيطه فقد (يقفلها)[1] وقد يحمل اليها تراباً من مكان آخر له سمات معينة ثم يختار موضع شق النهر الرئيسي ويسمى (الأبو) ثم يشقق منه الفروع وتسمى (الأصابع) وفيما بين هذا وذاك تكون «البشاتق» والجواد ثم تزرع فسائل النخيل. فإذا ما أرتفعت كونت خطوطاً متوازية من الباسقات جمالاً وحسن نتاج..

وكان قد خطط وزرع أراضي كثيرة لبعض الملاك من النخيل أمثال: الحاج فهد الراشد والشيخ عبد الرزاق السعدون والحاج عبدالله الشهوان والحاج أحمد العنيزي والحاج عبدالله الرشيد كما خطط أراضي واسعة لشيوخ الزبير آل البراهيم.. كما أنه يختار حكماً لدى الفصل بين الحكومة والملاكين في خصوص الأراضي الزراعية المختلف عليها.

---

(١) أي يأخذ من طبقاتها العليا قدراً من ترابها حتى تكون في مستوى معين يريده.

الصيد والقنص

أهل الزبير مولعون بالصيد والقنص وهذه الظاهرة تنزع في أساسها إلى الحياة العربية الأصيلة يوم كان يسكن الخيام ويتخذ من حصانه وسلاحه المتكون من القوس والنشاب والرمح والسيف أدواته الأولى. ويوم سكن المدينة وتحضر لم تفارقه هذه الرغبة فكان يباشرها في أوقات فراغه وعندما شغلته الحضارة والحياة المدنية عزت عليه إلا من كان موسرا فإنه يتخذها مسلاة.

وللصيد والقنص حالات أصبح يتعهدها الموسرون المولعون بهذه العملية وقد تعرف بالتجربة على مهاجر الطيور ومصدر تواجدها ثم هجراتها وأسباب ذلك كله في الحالين ثم تخير أصلح الأسلحة لإصطيادها أو تربية الحيوانات التي يصاد بها. وتسلح وتدرع بالجمع الذي يرافقه في رحلاته. وتأدب بأدب القنص ثم بالعادات التي يتخذها صاحب القنص حتى كان للقنص أو الصيد منهاج يتبع ويقتدى.

وقبل أن ندخل في باب القنص وميدانه يجمل أن نتطرق إلى هذه الظاهرة في بساطتها الأولى عند الأطفال في الزبير.

المواسم الطبيعية (الفصول الأربعة) تنبسط في أجواء برية الزبير كثير من الحيوانات والطيور البرية فيخرج الأطفال في فراغ أوقاتهم إلى ماحول البلدة ينصبون فخاخهم[1] في الأرض الرملية فيصطادون الحمامي والرماني

---

(١) الفخ : آلة مبسطة يتخذها الأولاد من قرن الخروف أو السخلة نصف دائري يصل بين طرفيه بخيط قوي أو سير من جلد يمرره عدة مرات ثم يدس عوداً قويا في وسط الحبل (الطيات) ليكون الانفلات إذا انفلت على الطير (في جناحه أو رجليه).

والبعيعي وغيرها. أو يتخذون المصياده وتسمى نُباطه وهذه الطيور تتواجد قرب المزارع أو على شجرات الأثل المتوفرة في الزبير وبريتها.

هذه هي الوسائل الأولى البدائية. ثم ارتفعت هذه الطيور فلم تعد توجد إلا بندرة كما ارتفعت هذه الرغبة من الأطفال لمشغولياتهم في الدراسة. وهناك ظاهرة أرقى محترمة يتعاطاها الرجال هي:

القنص:

القنص كان يعبر ويقصد به صيد الغزلان وكان الغزال يصطاد بواسطة «السلق» وهي نوع من الكلاب له خاصية تعينه على صيده منها طول يديه ورجليه ونحافة جسمه المديد وقد درب على صيد الغزلان في الفلوات ولابد ان يكون لصاحب السلق بندقية أو سيارة تعينه في مهمته فالسيارة ينقل بها صيده وهو يتابع سلقه. والغزال سريع الجري، أما إذا استعمل البندقية فإن الصياد يتخذ له «نوشة» وهي ثنية يختبيء وراءها بحيث يرى الغزال والغزال لا يراه وتكون هذه عادة قرب غدير من الماء تأتى الغزلان إمّا عند الفجر أوعند اشتداد الظهيرة لترتوي وتلقي حتفها.

وحتى هذه المسلاة من صيد الغزلان قد اختفت تقريباً لقلة وجودها أو لمنع بعض الحكومات عن اصطيادها.

الطراحة[1]

هي عملية صيد الطير (الصقر) وتبدأ من أول الشهر العاشر من السنة الميلادية ولمدة شهرين.

أدوات الطراحة: هي:

١ ـ النوشة.

٢ ـ الكوخ.
٣ ـ الغراب.
٤ ـ الحمامة.
٥ ـ الشبك.
٦ ـ النقل (وهي الكركوشة من الريش).

أما النوشة وهي مكان لا تتجاوز مساحتها مترين × متر واحد تقريبا وتحفر بهذه البساطة وتسقف بأعواد الأثل أو أعواد السعف وتغطى بالخيش. يختبىء فيها الطاروح ويري منها طيره. ويستعملها الطواريح الكويتيون وسياراتهم حولهم من الفجر حتى الظهر ومن العصر حتى حلول الليل.

والكوخ وهو بناء متين بحيث يقيم فيه الطواريح ليل نهار مدة الطراحة ويستخدمه الطواريحُ الزبيريون.

الغراب وهو الدليل الوحيد لأصطياد الصقر، والغراب مدرّب تدريباً خاصاً ويفضل أن يكون لونه أسحم أي شديد السواد ويطلق عليه (بالملواح). وحول الكوخ جدح ملىء ماءً يشرب منه الغراب موضوع أمام نوشة الطاروح يرجع إليه الغراب عقب كل طيران. علماً بأن الطاروح يرسل غرابه كل عشر دقائق ومربوط برجله النقل وطيرانه يكون من الجنوب إلى الشمال أو بالعكس مناطحاً الهواء.

الحمامة وهي نوعان. حمام أهلي وحمام بري. والحمام البري يطلق عليه بالجميري فهو أشهى لحماً للطير من الحمام الأهلي. وهما في مخبئهما الذي لا يبعد بأكثر من خمسين متراً شمال وجنوب النوشة.

الشبك وهو نوعان: كبير وصغير. أما الشبك الكبير فلا تتجاوز مساحته مترين في مترين وتستعمل في الصيد بواسطة الغراب المدرّب وهو مربوط بخيط من النايلون طويل وفي رجله النقل وهي كركوشة مربوطة وهي مجموعة من الريش بحيث تطمع الصقر حين يراها مصاحبة للغراب توهمه أنها فريسة يطاردها الغراب مع صياح من الغراب يطلق عليه (كرك) وهي

صيحات خداع بفرح الغراب بهذه الفريسة يفهم الصقر هذا المعنى فيها. فإذا كان هناك صقر في حدود هذه المنطقة أتجه إلى صوت الغراب ليقتنص منه فريسته وكل ذلك في سمع وبصر الطاروح حيث يستعد إلى المعركة بين الصقر والغراب. وفي هذه الحالة يغير الغراب صياحه بـ (نعيق) يسمعه صاحبه اني قادم فأسحبني إليك.. الصقر متجه إليَّ.

وهنا يطلق الطاروح الحمامة من المخبأ تحسباً لأن الطير حين يخلو المكان بعد إختفاء الغراب لا يرى أمامه إلا الحمامة المربوطة. وقد خرجت إلى سطح الشبكة فينقض عليها وما أن تلامسُ رجله الشبكة حتى يطويها الصياد بسرعة البرق لتطبق فيقوم إليه الطاروح يقبضه ويمهده ويقطب عينيه أو يلبسه البرقع.

أما لماذا يمهده؟ فلكي لا يخفق بجناحيه فيكسرها وكذلك يقطب جفنيه أي يخيطهما لكي لا يزرم ويجزع فيصيبه الغمّ والحسرة فيهلك. وبعد التمهيد يجلبه إلى السوق.

أما شبكة الحمامة فهي شبكة صغيرة خفيفة الصنع مصنوعة من سلك حديدي قوي على شكل مربع أو مستطيل طول ضلعها من ١٠ ـ ١٢ سم ولها مقانص من النايلون ذات عدد تحيط بها، وتلبس على جسم الحمامة بحيث ينحصر جناحاها في دائرتين من هذه المقانص مربوطة بخيط بيد الطاروح. ويختبىء الصياد في مكان ما فإذا رأى الطير يطلق هذه الحمامة ونظراً لخفة هذه الشبكة فإنها لا تعيق طيرانها فيراها الصقر وعندها سينقض عليها وينشب مخالبه فيها لم يفكر بتلك الدوائر الشبكية التي أطلقنا عليها بالمقانص، إذ تنحبس مخالبه في هذه الدوائر النايلونية فتحكم غلقها على رجليه فيقع حتماً إلى الأرض نتيجة تلبّسه بها فيعجل الصياد إلى اصطياده.

ما هي معاناة الطاروح؟

الطاروح يلقى المعاناة حتى يحصل على صيده فقد يبقى أياماً طوالاً حتى تلوح له الفرصة وهو يأخذ مكانه من نوشته كل يوم في مدة الشهرين.

تسويق الطيور :

الطواريح في الزبير حينما يصيدون طيورهم فسوقهم الرئيسي الحزم في الزبير ويأتي القطريون وكافة الخليجيين للشراء وهم على علم بالطيور ونوعياتها والجيد منها .

الطواريح :

الطواريح في الزبير هم :

سالم الحميد وأخوه عبد الحميد وجاسم الحميدان وفالح الوثاق وأخوه محمد الوثاق وعيسى الوراد وسليمان السحلي (أبو سحلي) وابراهيم الجريد وعبد العالي الجيعان .

أما الطواريح في الكويت فهم :

معتق البطحاني ومسفر العليثان وحمود العليثان ومرزوق البطحاني وفليح البطحاني وعايش البطحاني وسالم العليثان ومبارك السابج وراشد البطحاني وديبان البطحاني وسعيد البطحاني ومناور البطحاني وسعد العليثان ومحمد العليثان وخالد السابج ولافي البطحاني ومحمد العرعوطي وفالح مرزوق البطحاني وعبد المجرب وكلهم عوازم . ومكان الطراحة الساحل الشمالي أما الآن فقد قلَّ وجود الطواريح لأنهم تكاثروا في الكويت والعراق .

مواقع الصيد (المطارح) :

يطرح صيادو الزبير في أم خيال وهيله والشعيبة والطوبة وأنس والنخيلة .

أما المطاريح في الكويت فمكان طراحتهم الساحل من كاظمة الى أم قصر . وكان الطواريح حينما يصيدون صيدهم يعرضونه على الشيخ سعود الصباح ومن بعده على أولاده حالياً ثم على غيرهم حيث يعرض في سوق الطيور وموقعه في سوق المباركية قرب سوق الجت أما الآن فعند سوق الغنم .

أنواع الطيور :

منها الفارسي والسنجاري والشامي والشمالي والجرودي والحر السنجاري وهو نادر.

أهل الكويت يرغبون في الطير الذي مهجره من باكستان ويرغب القطريون في الشيهانة لميزات معينة فيها.

أما مهاجر الطيور التي مصدرها فارس فتنزل في العراق ويسمى طير فارسي.

أحجام الطير:

وللطيور مقامات في الأفضلية فأفضلها الوافي ثم النصف فالثلث فالربع فالوكري. ومن هذه الطيور ما هو صغير في الحجم. ومقاس الوافي قدر ذراع اليد من الرأس إلى الذيل.

ويفضل بعض الناس الطير الصغير إذا كان وحشياً ليتخرج على يد صقار جيد.

بعض القوانيص يعتمد على الطير بصحبة البندقية ويفضل آخرون الاعتماد على الطير فقط.

القوانيص في الكويت :

الشيخ سعود الصباح وأولاده وعبدالله المبارك الصباح وسالم العلي الصباح وسالم الحمود الصباح والعثمان والرومي والمسعود من الجهراء .

أصحاب الحملات هم :

سلمان الحمود الصباح وفهد الأحمد الصباح وحمد الأحمد وفيصل الدعيج الصباح وعلي بن يوسف الرومي .

---

(١) زودنا بهذه المعلومات كل من محمد فهد الراشد ومحمد عبدالله الربيش ومنيف مشعل الديحاني.

صيد الحباري

وصيد الحباري كان وما يزال ناشطاً وقد أصبح مرغوباً فيه من قبل الأغنياء والأمراء في الخليج العربي إلى حد العشق. وتصاد الحبارى بواسطة الصقور ويسمى الواحد منها طيراً وقد يطلق عليه صقراً ونظراً لتعاظم هذه الرغبة وكثرة الحباري فقد تنافس الراغبون وتباروا في اقتناء الصقور المدربة وحتى بلغت أثمانها في الوقت الحاضر أسعارا خيالية يتجاوز بعضها بضعة آلاف دينار كويتي وقد يتضاعف الثمن إذا توفرت في هذا الطير ملامح ومميزات جمالية خاصة بأن يكون ريشه يغلب عليه البياض أو الأشقر. ومن مواري الجمال (علامات) جمال العين والرأس والجسم بأن يكون بينها تناسق وأن يكون هذا الطير ذا تطلعات تظهر في عينيه وعنقه وصدره وخفة حركة في هذه المظاهر، حيث يسلب لب العاشقين.

أمّا كونه جيداً في صيده أو كونه جديداً في دخول الميدان فتلك درجة ثانية.

وكلما كان وافياً مديداً في جسمه فهي صفة جمالية مطلوبة.

ويدرب الطير على أيدي صقارين مهرة ليتخرج هذا الطير في مدرسة هذا الصقار بدرجة ممتاز أو جيد يعتمد عليه في سرعة الصيد والإجهاز على حبارته بسرعة تعجب أصحابه وعندئذ يرتفع نجمه وينافس ذلك جماله ليوضع عندها في الميزان الذهبي.

مواسم الصيد :

المعروف أن طيور الشاهين والصقور موطنها الأصلي شرق افغانستان والحدود الغربية لروسيا وكذلك طير الحباري وطبقاً لقانون الهجرة فإن هذه الطيور تهاجر في الشهر العاشر من السنة حين يبدأ جو تلك البلاد بالبرودة والشدة، فيهاجر إلى حيث الدفء من بلاد باكستان ومصر وايران والعراق والجزيرة العربية والخليج العربي وقد يحط رحاله في الشمال الافريقي أو في

سورية والأردن ويستمر هذا الطير في هذه البلاد الدافئة يتنقل حيث يطيب له الهواء والغذاء مدة ستة أشهر تقريبا حتى إذا بدأت أجواؤنا العربية بدخول الطقس الحار أي الشهر الثالث أصبحت تحنّ إلى اجوائها الباردة فيعود منها ما يعود بعد فقد ما فقد وهكذا تدور دورتها. ويتحدث العارفون عن طير الصقر[1] والحبارى قصصاً عجيبة من ناحية الذكاء الفطري الذي يورثه الطير لفرخه الذي لم يظهر للوجود حين يطير عائداً إلى موطن آبائه فلا يضل الطريق أو حين يهاجر ليقصد البلد الثاني وسبحان من علم الطير وعلم البهائم كما علم الإنسان مالم يعلم.

ويسجل التاريخ أن لأهل الزبير الأوائل ولعاً في القنص والصيد. ذكر سليمان البستاني صاحب دائرة المعارف في الحديث عن الزبير يقول: وإن لأهل الزبير ولعاً في الصيد والقنص فهم يخرجون إلى مسافات بعيدة لهذا الغرض، وكان تأليف هذه الموسوعة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري. وظلت هذه الهواية تمشي مع الأجيال إلى جيلنا الحاضر وقد حصل بعض الفتور لتقاصر بعض الضروريات وكانت الأجواء من قبل مفتوحة والحرية متاحة ولم تكن هذه متيسرة في الوقت الحاضر و (الطير) إذا لم تنفسح له الأجواء، والصقّار إذا لم يتح لطيره أن يختار مساره في الأجواء فالعمل قاصر والرغبة مكبوحة وبذلك فحرية الصيد والقنص لا تتهيأ إلا لشخصيات مرموقة ذات حظوة وحبوة.

علماً بأن القانوص المرموق إذا اعتزم الرحلة فإنه يكلف نفسه الكثير من التجهيز والصرف وحاجات الصيد كثيرة ومتعددة كما رأيناها في هذا الوقت في الكويت من سيارات أو رحلة بالطائرة إلى بلد ناءٍ إلى حاجات سكنية من خيام الى أدوات مطبخية وما يلابس ذلك من حاجات متنوعة أخرى، ثم المكوث في هذا البلد إن وجد الصيد وإلا واصل من بيده مقاليد الصيد وأصحابه إلى بلد آخر إن كان يحمل إجازة الصيد في هذا البلد أو ذاك وربما مكثوا أياماً ذات عدد وطيورهم معهم هي التي تنير مجالسهم وطير

(١) يطلق على الصقر (طير) أما الشاهين فيطلق عايها (شيهانة).

الحبارى هو الـذي يقرر رحلتهم وقيمـومتهم هنا أو هنـاك. وقد يكـون هذا الانفاق كله من جيب رجل واحد هو رئيس السفر وعلى ضيافته.

وإن الذي يصاد من طير الحبار قلّ أو كثر يوزع أكثره هـدايا إن لم يكن كله علماً بأن وفد المقناص يربط معه بعض الخراف يشتريها من سوق المدينة. وهذا ما يفسر معنى « المقناص » وأنه هواية وظاهرة تلزم من عشقهـا أن ينقاد لها بالغة ما بلغت تكاليفها.

وكـذلك هـذه الظاهـرة مهوى الأمـراء من قبل وحتى هـذا الزمـان في المملكة العربية السعودية وفي الكويت وإمارات الخليج أكثر من أن تحصى.

صفات الصقر الممتاز[1]

يتصف الطير «الصقور» بميزات:

١ ـ أن يكون كبير الحجم.
٢ ـ كبير الرأس.
٣ ـ واسع العينين.
٤ ـ واسع فتحة الأنف.
٥ ـ كبير المنسر (المنقار).
٦ ـ قصير الرجلين.
٧ ـ طويل الجناح.
٨ ـ أن تكون أصابع كفه كبيرة.

وأما الريش فتختلف ألوانه وأفضلها:

١ ـ الأبيض.
٢ ـ الأشعل: وتكون الصبغة الغالبة حمراء فاتحة.
٣ ـ الجرودي: أحمر وفيها دقات بيضاء صغيرة تنتشر على جميع ريشه.

---

(١) من الاخوة: محمد فهد الراشد وعبد اللطيف الربيش ومنيف الديحاني وعبد الرحمن الريش.

٤ ـ الأحمر القتم (الغامق) .
٥ ـ الأخضر (مائل للسواد) .



● تدريب الصقر على الاكل .

وأما من حيث حجم الطير فتسمى :
١ ـ الوافي (الكامل في جسمه) .
٢ ـ المثلوث (التي هي أكبر من الربع وأصغر من الوافي) .
٣ ـ الربع وهو أصغرها .



● ترويض الصقر

الطير الوحش:

يرغب أصحاب الطيور شراء الفرخ الوحش وتعليمه على أيديهم قبل أن يكتسب تربية أخرى، ويقول هؤلاء، إن كل واحد له طريقته في الترويض والتدريب فيحب هذا أن يتخرج على مدرسة زيد خيراً من أن يتخرج من مدرسة عمرو مثلاً.

فإذا اجتمعت تلك الأوصاف مارة الذكر مع توفر التدريب الجيد من صقّار ماهر أصبح الطير يرتفع إلى أعلى الأثمان.

ويحرص أصحاب الطيور حرصاً ما على أن يكون للطير مكان نظيف وواسع دفعاً من أن يتضايق في جو المكان الذي قد يخفق فيه وربما انكسرت بعض ريشاته وفي هذا أذى كبير.

ويلزم على من يربيه أن ينظم غذاءه وبالرغم من أن له وجبة واحدة في اليوم فقط فلا يأكلها إلا في وقت محدد في هذا اليوم، وأفضل لحم له هو لحم طائر أصغر منه كالحمامة والقطا وربما اليربوع ويفضل الصيادون أن يذبحوا له الحمامة وينظفوا أحشاءها على أن يبقى فيها بعض ريشها[١].

(١) يذبح الصفار الحمامة كي لا تلقى عذاب الافتراس وبقاء بعض ريشها كما يقولون أن اللحم ينفصل فيه العظم ويتجمع الريش حول العظيمات لتحمي بلعوم الطير وهو يخرجها من مجلاته (حوصلته) وتسمى (الروباجة).



أخلاق بعض الطيور:

في بعض الأحيان تجد أن الطير يصيد ولو لم يكن جائعاً وإنما يصيد لصاحبه وقد يصيد ما وجدت الحبارى في حدود امكانيات صيدها من العشر إلى الخمس عشرة بينما قد أخذ حاجته من اثنتين أو ثلاث. أما الباقيات فيصطادها ويوقعها على الأرض ينتظر صاحبه ليذبحها وهذا النوع من الطير يطلق عليه بالنادر ويقال إن نسبة هذا النوع ٢٪.

الجرنسة:

الجرنسة تعبير يعني خلع الطير ريشه مرة كل عام في مدة لا تتجاوز الستة أشهر بدءاً من الشهر الرابع إلى الشهر العاشر وفي هذه المدة يتم بالتتابع: تجريد واكتساء[1]. وهذه الطيور على ثلاثة أنواع:

أولا: الصقر وهو أميزها.
ثانيا: الشيهانة.
ثالثا: الوكرى.

---

(١) يقول منيف مشعل الديحاني: الجرنسة هي المدة التي يقضيها الطير مربوطاً في مكانه ستة أشهر يسقط ريشه ويطلع.

أما الباز فما اعتاد سكان الجزيرة العربية القنص به[١].

القوانيص في الزبير

فيما يلي ندرج أسماء بعض القوانيص والصقارين الذين عملوا تحت يدهم يحملون الطير (الصقر) ويطلقونه عندما يرى الحبارة بعد أن يخلعوا غطاء رأسه ويسمى البرقع. وكان هذا الصقار يُعنى بطيره يقف على تربيته كما كان قد وقف على تدريبه لصيد الحبارة.

الصقار	القناص (المعزب)
١ ـ سعود بنيه الناجم (حسيني).	عند الشيخ ابراهيم الراشد الأبراهيم.
٢ ـ زيد بن شقير (حسيني)	عند الشيخ ابراهيم الراشد الأبراهيم.
٣ ـ خشامن بن حدران الهويمل (صويطي).	عند الحاج محمد الناصر الصالح.
٤ ـ عواد الشقيحي.	عند الزنيدي.
٥ ـ عوض سليمان الشبلي (حسيني)	عند الحاج ابراهيم البعيجان وأحمد الفريج سابقا
٦ ـ محمد عوض الشبلي (حسيني)	عند عبد الرحمن ياسين القضيب
٧ ـ سعيدين عودة (حسيني)	عند محمد وعلي المشري
٨ ـ سعدون الفلاح (حسيني)	عند محمد وعلي المشري
٩ ـ تويس الهدب	عند خالد العون وعند الأبراهيم
١٠ ـ جعيدان مطرود (حسيني)	عند الشيخ احمد وابراهيم الأبراهيم
١١ ـ طويان مطرود (حسيني)	عند الشيخ احمد وابراهيم الأبراهيم
١٢ ـ سيف الهدب وجابر بن غلان (حسيني)	عند عبد الكريم العبد الرحمن البتيري
١٣ ـ عبيد بن مشاري (حسيني)	عند محمد وعلي المشري
١٤ ـ ملحم الملحم (عنزي)	عند الشيخ ابراهيم العبدالله الأبراهيم
١٥ ـ سالم وعايد الغزي الصليلي	عند الأبراهيم والغملاس وعبد العزيز البسام
١٦ ـ سالم محمد الحميد	عند عبد العزيز البسام
١٧ ـ طويرش بن خزعل (حسيني)	عند سليمان الغملاس

---

(١) الرومان والفرس كانوا يستعملونه للصيد.

١٨ ـ خالد النملان (حسيني)
١٩ ـ خلف وحليس ولدا
٢٠ ـ طويان مطرود عبدالله عند الشيخ احمد الجابر الصباح.
٢١ ـ معاشي راجح العمر (حسيني)
٢٢ ـ الطرفي بن رفيعة

ملاحظة : وأفاد الصفار خلف طويان مطروف عبدالله يقول: ان والده عمل أيضا عند عبدالله المشري كما قنص عند عبدالله الجابر الصباح ثم عند عبدالله الأحمد الصباح. ثم توفي ١٩٧٥م.

وان شيخ بني حسين هو خلف جهجاه المرشد وكذلك محمد خلف الجعيب ومنازلهم في الصيف الحيصامة وفي الشتاء يرحلون إلى الجريعات وجلاوة وريح بالك والطوى والعذيبة والرحيل وأبرق الحبارى والعبيد والعظامى والخويمة والمغيزل. كما أن منازل بني سعيد الرافضيةوكويبده. ومن الحسن لدى هذه القبائل أنهم يلتقون أيام الربيع في الموقع الواحد ولا يتخاصمون.

وأفاد خلف طويان مطرود سالف الذكر أن القنص كما حدثه والده طويان كان يجري على الخيل قبل أن تأتي السيارات ويقنصون في أرطاوي وكابدة (جابدة).

كما أفاد أن الصيد يكثر في أرض العراق لكثرة الحبارى وسهولة الأرض وما يجدونه من تسهيلات.

ومن الجدير بالذكر أن القنص في الوقت الحاضر تيسرت أموره وكثر أهلوه وأصبح المولعون فيه لا يكتفون بالأماكن المعتادة من بلادنا القريبة بل صاروا يقطعون الفيافي والديار إذا ذكر لهم طيب الصيد هنا أو هناك. ومن القناصين المشهورين الذين ضربوا في القنص بسهم وافر من سيرد ذكرهم في أدناه.

القنص في التاريخ

بدأ القنص وسيلة للمعيشة فقد روى لنا التاريخ وفي قصص الأنبياء بالذات أن نبي الله اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام كان يقنص بالوسائل المعروفة لديهم بالسهم والرمح. ويوم زار ابراهيم الخليل ولده اسماعيل وسأل عنه قالت له أهله: أنه في الصيد. وسألها متعرفاً أحواله فوقف على بعض المعلومات إلى آخر ما ورد في هذه القصة كما جاء في قصص الأنبياء.

وكما ورد في كتب الأدب أن أسماء بنت دريم بن القين ابن أهوه بن بهراء كان يقال لها أم الأسبع وولدها بنو وبرة ابن ثعلب بن حلوان يقال لهم السباع وكانوا يركبون خيولهم للصيد ويرجعون بصيدهم[1]. آخر النهار حيث الغزلان وبقر الوحش.

«ومن القناصين في التاريخ الحارث الكندي ملك كندة قيل أنه أول من روض الصقر وأصطاد به منذ ما يقرب من ١٥٠٠ سنة.

وفي الإسلام ذكر أن الحمزة بن عبد المطلب كان صياداً ماهراً قيل أنه أسلم وهو قادم من رحلة صيد

وفي العصر الأمور ذكر منهم يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان.

وفي العصر العباسي ذكر أن أبا جعفر المنصور كان مقناصه في منطقة الأُبيِّض غربي كربلاء وقد بنى له قصراً خاصاً للمقناص لا يزال قائما بتلك الصحراء وما يزال يشمخ بكبريائه وهو المسمى (بقصر الأخيضر) ثم جاء بعده المهدي والد هارون الرشيد وابناء الرشيد المعتصم والمتوكل.

---

(١) ذكر أن وادي السباع كما ذكره المؤرخون إنما سمي بهذا لأنه موطن لسباع الوحش وهو الوادي الذي يبتدىء من الحجاز حتى ينتهي بالزبير (البصرة قديماً).

أما مشاهير القنص في الماضي القريب فهم كثيرون[1] منهم :

١ ـ جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود .
٢ ـ سمو الأمير الملكي عبدالله بن عبد العزيز .
٣ ـ سمو الأمير الملكي سلطان بن عبد العزيز .
٤ ـ سمو الأمير الملكي نايف بن عبد العزيز .
٥ ـ سمو الأمير الملكي أحمد بن عبد العزيز .
٦ ـ سمو الأمير الملكي سعود الفيصل .

أما في الكويت :

١ ـ المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح وأولاده .
٢ ـ الشيخ عبدالله المبارك الصباح .
٣ ـ الشيخ سليمان الحمود الصباح .
٤ ـ الشيخ مبارك عبدالله الأحمد الصباح .
٥ ـ الشيخ عبد العزيز سعود الصباح .
٦ ـ الشيخ حمد الصباح الأحمد الصباح .

وفي البحرين :

١ ـ شيوخ آل خليفة .

وفي الامارات العربية :

١ ـ الشيخ زايد آل نهيان .

وكذلك المرحوم حسين بن علي بن سيف الرومي . والمرحوم خالد المخلد بالكويت .

* * *

(١) من حديث نشر في جريدة الرأي العام الكويتية في ٣ / ١ / ١٩٨٦ أدلى به السيد / عبد العزيز سعود البابطين . وعبد العزيز هو واحد من أكبر القوانيص في العهد الحاضر في الكويت .

الصيد بالطير والسلق والفهد

تقول الأمثال البدوية ان طارت للطير وأن حطت للسلق. وهذا يدل على براعة البدوي في فن الصيد واهتمامه بأمره. فهو يصيد الحبار والغزال والأرنب والثعالب ووسائل الصيد هي طير الحر والكلاب السلوقية. وكلب السلق طويل الظهر طويل القوائم يطوي المسافات بسرعة فائقة وهو حين يطارد الغزال فانما يطارد نداً مثله في الجري ولطول نفس الكلب السلوقي ما يحقق له في الأخير قهر الغزال. ويعني شيوخ البادية بالقنص يهيئون له عدته وله مواسمه[1].

وطيور الصيد تحظى منهم بعناية. منها الجيد ومنها دون ذلك. ويلبس (الصكار) طيره برقعاً من الجلد يعصب به عينيه لكثرة تلفته خشية فتكاته. فاذا خرج أهل القنص إلى مقانص الغزلان أو الحبارى يهيئون طيورهم. والطير على كف (صكّاره) يتحفز للانطلاق فاذا ما حسر عنه برقعه أنطلق كالسهم على الحبارى وما هي إلا فترة تطول وتقصر وأهل الطير في سياراتهم يتابعونه وهو يسبقهم حتى لا يكاد يرى وما هي وتلك الفترة إلا والصقر ينتظرهم قد وقع على نشز أو على شجيرة يتحفز بشراسة والحبارى قد خلدت إلى الأرض من الخوف وعندها يبدأ الصيادون باطلاق خراطيشهم عليها ولو تحركت احداهن انقض عليها بمنقاره الحاد فأوقعها.

وقد يستعان بالطير (الحر) على صيد الغزلان أيضا حيث يهاجمها من الجو وهدفه عيون الغزال يخطمّ عليه بسوابقه يصعق بهما على عيني الغزال أو ينشب في قفاه مخالبه أو ينقره بمنسره حتى يعمى بصره ويعجزه عن الجري فيتهالك ويسقط أعياء واذا الصياد على رأس صيده.

---

(١) الراوي: البادية ص ٢٥.

الألعاب والرياضة

الألعاب على اختلاف أنواعها وعلى بساطة هذا المجتمع الصغير الذي تضمه أمارة الزبير تكون قطاعاً هاماً في حياة الشباب والكهول بل وحتى الأطفال وهي بمجموعها ألعاب شعبية تبعث على الفروسية وألعاب القوى ومنها ألعاب تغذي الفكر وتبعث على الحماس في أنواع كثيرة ويمكن أن نقسمها إلى ما يلي :

أولا : ألعاب الفروسية : وتشمل سباق الخيل وسباق الدراجات.

ثانيا : سباق القوى : ويشمل أنواعاً ومسميات شتى كالتشه والبشه ووير انقطع اسير والحمياشه والحاح والخيه ولعبة الدوامة والبلبول والمطارح وجر الحبل.

ثالثا: العاب فكرية : وتبعث على إعمال الفكر كالدامة والدومينة والجدير والصبة والجعاب.

وهناك ألعاب تتراوح بين هذه وتلك تأتي تباعاً.

ومن الطريف أن هذه الألعاب لها أوقاتها التي تتسم بها فألعاب للصيف وألعاب للشتاء أو الربيع وألعاب مع موسم الأمطار وألعاب مع موسم الرياح «رياح الخريف» وألعاب الليل وألعاب في النهار وألعاب بعد موسم الثمرة «موسم التمور» وألعاب في موسم الأضاحي حيث تأخذ كل لعبة لباساً من تلك المناسبة وذلك الموسم.

سباق الخيل :

كان هناك ميدان لسباق الخيل على الطبيعة غير محدد بسياج يبتدىء

من الدروازة التي تقع قبلي البلدة وينتهي عند الجبيلات من دون البرجسية ذهاباً وإياباً وتكون هذه المسافة بحدود إربعة كيلو مترات أو خمسة ويكون في الطرف النهائي مراقبون يشهدون بلوغ الهدف وكان ذلك في عهد شيخ ابراهيم الراشد حاكم الزبير إبان الحرب العالمية الأولى وما بعدها بقليل وكان أهل الزبير يقتنون الخيول الأصيلة ويشاركون في سباق بغداد وقد يباع منها في الهند لتشارك في سباق بومباي العالمي ويشارك في هذا السباق الشيخ ابراهيم نفسه في حصانه المسمى «اليازي». ويشارك فهد النصار ويشارك آخرون لهم شهرتهم في تجارة الخيل كالحزامي والفارس والمانع والعبد الهادي والذيب والعماني ويركب هذا الحصان أناس متدربون ويسمى الواحد منهم «جاكي» وتضع الجوائز لجنة من الأهلين.

وسباق الخيل له مغزاه ودلالته في الزبير ينم عن مظهر في القوة والفروسية يوم كان للحصان مكانة في حياة الناس في السفر والحضر وفي الحرب والسلم حتى أن الناشئة الصغار أصبحوا يتلقونها من آبائهم فهم يركبون الحصان للهو بسرج وبدون سرج.

جر الحبل:

وفي هذه اللعبة يتقدم فريقان قويان ويأخذ أحدهما بطرف الحبل ويأخذ الفريق الثاني بالطرف الآخر ويكون الحبل قوياً ذا متانة. ويكون المتنافسان من أصحاب القوى المشهورةمن الجماميل والحمّارة وتربط خرقة حمراء في وسط الحبل ويخط على الأرض خطان البعد بينهما متر ونصف ويكون الحبل الموسوم بالقطعة الحمراء في المنتصف ثم يبدأ الشد باشارة من الحكم وترى الناس من الجانبين يأخذهم الحماس والتشجيع وترى تلك القطعة في الحبل تتقدم أو تتأخر في حدود الخطين ويأخذ الفريقين الحماس والجهد فتنسحب القطعة الحمراء إلى قرب الحد فتثور ثائرة الفريق الثاني وتنبعث الصيحات والهمهمات من هذا الفريق ليستعيد مكانته وربما استعاد وزاد حتى لا يبقى للقطعة إلا أن تلامس الخط ويشتد الموقف فإما أن يستعيد الفريق

الثاني مكانة وينتزع النصر أو يسقط دونه، ويعلن الحكم الفوز للفريق الغالب، ويتعالى التصفيق ويهنىء المشاهدون الطرفين الغالب والمغلوب يهنئون الغالب بالنصر ويهنئون المغلوب لكونه أبلى بلاء حسناً فلم يقصر في موقفه. ثم توزع الجوائز.

وير انقطع السير:

وهذه من الألعاب التي تلعب ليلاً والليالي الظلماء على الغالب وتتكون الجولة من فريقين يختبىء ثلاثة من هذا القريق بأمكنة ربما تكون قريبة بحيث توهم الخصم بأن خصمه بعيدا أو يختبىء في مكان بعيد فعلاً والظلام يزيد في الخفاء فينطلق الخصم بثلاثة منهم يبحثون عن خصومهم ويكون ثلاثة آخرون من أصحابالمختبئين يركضون وراء هذا العدو يصيحون بأصحابهم بكلمة «توزّوا» أي اختبئوا وبالغوا في الاختباء وكلما أسرع الفرد من هذا كان خصمه من ورائه لا ينفك عنه يريد هذا العدو وبعدوه الشديد أن يقطع خصمه الذي وراءه بالتعب أو ينفلت منه ليفرغ للبحث عن عدوه المختبىء أو يباغته إن كان قد ظهر وأمن لأنه لم يسمع صاحبه الذي يصيح به ليحذره. وفي بعض الأحيان ينقطع هذا الذي يصيح لعجزه عن اللحاق بخصمه وربما يعثر هذا بخصمه فإذا عثر به تكون اللعبة قد انتهت وعلى هذا الذي مُسِك من مخبئه أن يصيح على أصحابه انقطع السير أنا فلان فيعرفون صوته فيخرج الاثنان من مخبئهما وتنتهي اللعبة ويكون قد مضى هزيع من الليل وتكرر من الفريق الثاني بمثل ذلك.

وفي هذه اللعبة على ما فيها من المتعة تكسب اللاعبين رياضة في السباق وحرص أحد الفريقين أن يقوم بواجبه من اللعبة بأمانة وحرص هذا يبغي الفوز وذاك يجاهد على أن يفشل خطة عدوه فلا يمكنه من النصر.

التشه والبشه :

لعبة من فريقين فريق يسكن وطناً له حدود وفيه حرس يحمون الحدود وهناك عدو متربص خارج الحدود يحاول إن يخترق كيان هذا الوطن فلا يدعونه لهذا التعدي فجماعة تحرس الخط الأمامي والعدو يتحين الفرصة لاختراق حرم الوطن فهو بمجرد أن يدخل بخفة ويعبر الحدود الثانية فيعني ذلك نصراً له واستهانة بحراس الحدود. ولو أنه مسك أثناء العبور لضُرب ضرباً مبرحاً ثم حبس في مكان من هذه الساحة حتى تنتهي اللعبة أما إذا سَلِمَ وخرج؛ من الحدود المقابلة فعليه أن يعود من حيث بدأ وفي هذه الحالة ربما يستحيل عليه الأمر لأن الحرس يترصده وتجري هنا مناورة فيحاول أصحاب ذلك الجندي تخليصه بأي وسيلة كانت وتجري مشاغلة من قبل أصحابه فينتهز فرصة هذا الانشغال ليمرق كالسهم ليعود إلى أصحابه فتجد الجنود من الجانبين في ترقب وحذر وكر وفر.

وهذه اللعبة هي من الألعاب الحيّة التي تنعكس من واقعنا في حراسة الأوطان وعدم التفريط في هذه الحراسة ورصد العدو.

الحمياشة :

وهذه اللعبة هي قريبة من سابقتها غير أن الوطن هنا غابة ملئت حرساً شديداً من حيوانات كاسرة تمشي على أربع فيحاول الصيادون خارج الغابة الدخول والاعتداء بالضرب على هذا الحيوان بحيث لا يمس برفسةٍ من هذا الحيوان فيستعمل الخفة ويستعمل الهروب في الضرب أما هذا الحيوان إن رفس ذلك الصياد برجله فقد يؤذيه وقد يقع على الأرض ويظل حبيساً وقد ينجح هذا الصياد فيعبر الغابة من الحدود الأخرى ويبقى عليه أن يعود فكيف السبيل ؟ وهنا تحدث المشاغلة من قبل أصحابه حتى تحصل الفرصة والغفلة ليعود هارباً وفي طريق العودة ربما يضرب أو يحصل هو على ضربة بيديه على ظهر هذا الحيوان أو مؤخرته، ويمنع الضرب على الرأس.

وعلاوة على ما في هذه اللعبة من المتعة ففيها النشاط الرياضي في الحركة وفيها استعمال الحكمة في الدخول والهروب وخفة الحركة وفيها الكر والفر من معتدٍ ومعتدى عليه وهذه اللعبة والتي قبلها من لعب الأطفال والشباب الصغير فإلى أي حد بلغت أفكارهم بهذه المعاني العالية.

سبت سبوت:

وهذه لعبة كرست لقطع الطريق يلعبها اثنان فأكثر فإذا أراد جماعة من الأطفال أو الشباب أن يقطعوا المسافة يتجاوز بعدها الكيلومتر فأكثر كالمسافة بين بيوتهم والسوق أو بين الأثل أو مكان متنزههم. ينثني أولهم إلى النصف كالراكع إلى صلاة فيقفز الآخر على ظهره ثم يركض مسافة عشرة أمتار أو نحوها فينثني فيأتي الآخر فيقفز من على ظهره ويأخذ المسافة وينثني ويتوالى هؤلاء الرفقة بالقفز وتتوالى القفزات وأخذ أماكنهم من الانحناء وهذه تجري بسرعة باتجاه المكان المقصود حتى يصلوا إليه. ويلاحظ أن جل ما فيها المرح والنشاط الصبياني.

الحاح والمطّرة:

الحاح خشبة غلظها قياس العصا الضخمة وطولها خمسة عشر سنتيمتراً أو نحوها تعمل عند النجار حيث يحددها من طرفيها بشكل متدرج تاركاً وسطها على طبيعته بحيث تتساوى الأقسام الثلاثة من هذه الخشبة وهناك المطرة وهي عصا اعتيادية بطول نصف متر تقريباً يمسك صاحب المطرة مطرته ليضرب بها الحاح الذي لخصمه بعد أخذ القرعة بينهما على البادىء في الضرب فيمسك الفائز الحاح ويضعه على الأرض وضعاً يختاره ثم يضرب طرفه ليرتفع عن الأرض مسافة هو يريدها وقبل أن يقع على الأرض يتلقاه بضربة بالمطرة وهو في طريقه إلى السقوط فيصيب وسطه ويذهب بعيداً، وتسمى هذه الضربة «الحيد» حيث يقفز الضارب على ظهر المغلوب يحمله إلى مكان الحاح متمثلا براكب الحمار وقد يضربه ضربات خفيفة

ويقول كما يقول الحمّار لحماره (حرًّ) ثم ينزل عنه ويضرب ثانية فإن أصاب كما نجح في الأولى وهذه الضربة تسمى « البيد » وهكذا يوصله على ظهره إلى مكان السقوط وينزل ليضرب الحاح للمرة الثالثة وتسمى هذه «المثاليث» وتتكرر ثانية ببدءٍ جديد.

أما القرعة فليست بنقدٍ يوضع لتأخذ كما جرت عند البعض الطُّرة والكتبة بل هي مرتبطة أيضا بهذا الحاح وهذه المطرة وتسمى «الكلكلة» وهي أن يمسك أحدهما المطرة بيد وألحاح باليد الأخرى استعداداً للضرّب فيه بإحصاء عددي بأن يرفع الحاح فوق المطرة ارتفاعاً مناسباً فيسقط على المطرة ويعيد الضربة وتحصى هذه الضربات الناجحة فإذا سقط على الأرض بأن أخطأت المطرة الطريقة تكرر ثانية وإلى ثلاث مرات . فتجمع هذه الضربات ثم يأخذ العملية قرينه ثم يحسب أيهما أكثر فقد تكون عشرة أو أقل أو أكثر .

وإن اتفق أن أخفق ضارب الحاح الذي على الأرض بمطرته فقد ذهب تعبه الأول بالكلكلة سدى عندها يأخذ عملية الضرب صاحبه رأساً دون كلكلة .

اللعبة بالدوامة والناعور :

الدوامة خشبة مصنوعة بحجم الكمثري في طرفها المحدب حديدة مدببة فيمسك اللاعب الدوامة[1] بيد وهناك خيط مبروم[2] برماً دقيقاً طوله بقدر مترين تقريباً يلفه باتقان وبطريقة معينة على سطح الدوامة مبتدئا من أسفل مرتفعاً باللف إلى الأعلى ثم يلف بقية الخيط على اصبعه الأوسط ويضرب بالدوامة واضعاً أصبع الابهام عند المسار واصبعه السبابة في أعلى الدوامة ويضربها على أرض صلبة بقوة فتنفلت الدوامة من خيطها لتدور

(١) وهذه الخشبة مصنوعة في الهند وملونة بشكل فني ومصنوعة من خشب متين.
(٢) هذا الخيط يطلق عليه مشبل .

دورات سريعة وتحدث صوتا من شدة الدوران مع قوة الضربة ويستمر دورانها دقيقتين أو ثلاث. أما الناعور فهو لا يختلف كثيراً عن الدوامة غير أنه أكبر حجما ويميل إلى الطول وينتهي بمثل تلك الحديدة المدببة. وبعضهم من يثقبه بثقب ينتهي إلى جانبه الثاني ويضع فيه دهناً ثم يتركه في العراء ليلة ليتبلغ. فإذا استعمل في اللعب أعطى صوتاً عالياً وصفيراً.

وهناك لعبة المبارزة[١] بواسطة الناعور أو الدوامة تبدأ بالقرعة والفائز فيها يرغم قرينه بوضع ناعوره أو دوامته على الأرض ليضربه كما تضرب الدوامة أو الناعور من يد صاحبها، فإذا أصابها كرر الضربة وقد تكون إحدى الضربات قاضية فتحطم دوامة خصمه أو تحدث فيها اصابات مؤثرة وقد تلعب من جماعة أما القرعة المشار إليها فهي من نوع آخر مشتقة من اللعبة نفسها ذلك أن يرسل الواحد دوامته أو ناعوره بضربه على الأرض فيحاول أن يلف عليه المشبل وهو ممسك بطرفيه فيرفعه عن الأرض ثم يعيده من مشبله وهو على دوران دون أن يتوقف.

إننا حين نتحدث عن هذه الألعاب التي مضى عليها دهر كنا زاولناها ونحن أطفال من قبل جيل وأكثر وتركت فنسيها الجيل الحاضر واستبدلت بألعاب غيرها تزاول الآن نجهلها نحن وعلى أصحابها يلقى واجب تدوينها فهي من التراث الذي يمثل جيلها ولابد أنها تدل على معانٍ يهم أصحاب الفلكلور أن يحتفظوا بها وينقلوها إلى الجيل الثاني إن كانت من النوع المفيد.

ونحن بمحاولتنا بهذا الوصف أن يجرب الجيل الآخر إعادة لعبها فهي لا تخلو من متعة وفائدة وترسُّم.

(١) وتسمى المكاسر.

السوط والبلبول:

البلبول وفي لهجة أخرى يسمى «الحنبوص» والبلبول خشبة مصنوعة عند النجار لا يتجاوز طولها عشرة سنتيمترات تحدد من جانب واحد من النصف ويبقى النصف الثاني على الطبيعة أما السوط فهو عود خشبي بطول نصف متر تقريبا ينتهي بقطعة من الجلد كالسوط الذي يستعمله أصحاب الخيل والحمير وقد استبدل هذا بخيط مفتول يشد بطرف العصا فيأتي اللاعب ليلف هذا السوط على رأس البلبول ثم يرسله على الأرض بدفعة من يده فينفلت البلبول من السوط في وضع افترار ودوران ولأجل أن لا يتوقف البلبول عن الدوران يعمد صاحبه إلى ضربه بالسوط ضربات فنية فيقطع به مسافة ما على الساحة ويعيد الضربات في محيط هذه الساحة جيئة وذهوباً فإذا أخطأ الضربة أو جاءت عشوائية فتذهب استمراريته فيتوقف ويقع وتلك الاستمرارية تشبه الدراجة الهوائية وهي تسير منتصبة على هيئتها العمودية على الأرض.

الخيّة:

لعبة طرفاها واحد أمام جماعة يمسك هذا الفرد بطرف حبل يتراوح طوله بين مترين أو ثلاثة أمتار مثبت بالأرض وهي ما تسمى بالخيّة التي يربط بها الحيوان والجماعة من حوله على بعد مدى الحبل يحاولون ضربه بأطراف أيديهم وهو يدور دائرة هذا الحبل ويحاول هو أن يمسك بأحدهم ولو مسّاً خفيفا من يده وهم يهاجمونه من مواضعهم ويتحاشونه في الوقت نفسه فإذا أصاب أحدهم انقلب الحال وحكم الجماعة بأن يقف موقف صاحبه ويدور دورته ويتلقى ضربات الجماعة وتجري مناورات من هذا المحكوم عليه بأن يطوي الحبل على يده بقصد تقصير مدى دائرته ليجذب أصحابه للتقرب منه وهو يدور وتراه فجأة فك الطيات وإذا الدائرة اتسعت ليصيب من يكون تحت يده والجماعة منتبهون إلى الأعيبه.

أما كيف وقع هذا السجين في هذا المربط ؟ إن ذلك خاضع لقرعة يجريها أحدهم وهم منتظمون أمامه بمقولة محفوظة هي : «حدره بدره قال ربي عد العشرة واحد اثنين ثلاثة ويظل يعد حتى العشرة» وتكون القرعة على آخر من وقع عليه رقم العشرة.

لعبة الجفيّة (الكفيّة) :

وهذه اللعبة يقوم بها واحد أيضاً يدور من وراء عدد من رفاقه يكوّنون دائرة ووجوهم إلى الداخل ينظرون إلى مركز دائرتهم ولا يجوز الالتفات يميناً أو شمالاً . وذلك الفرد يخفي بين جوانحه كوفيته التي يلبسها يعقد منها عقدة من وسطها ويحاول وهو يدور مقارباً إلى ظهورهم ليدسها وراء أحدهم وهو لا يشعر ويظل على دورانه فإن اتفق أن شعر هذا أسرع والتقط الكوفية وركض وراء صاحبها بسرعة زائدة من وراء هذه الدائرة فإن أدركه ضربه على ظهره وأكتافه حتى يصل إلى المكان الخالي وليس سواه فيحتله. وفي هذه اللعبة ثلاث ملاحظات الأولى إنْ اتفق أن هذا الولد لم ينتبه إلى أن وراءه الكوفية يجيء ذلك الذي وضعها فيظل يضربه وعندها يقوم يهرب من حول الدائرة نفسها وخصمه وراءه يضربه حتى يصل إلى مكانه فيجلس فيه وبهذا تنتهي اللعبة .

والثانية : أن المكان الخالي واحد فقط ولذلك فإن الدائرة لا ينفتح فيها مكان إلا لمن يحتله بعد ركض حول الدائرة.

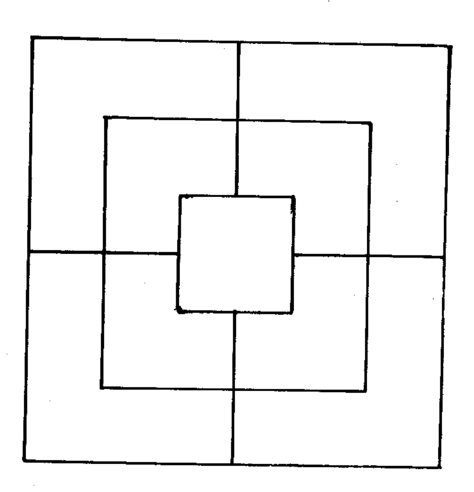
والثالثة : إن هذا الذي حصل من الضربات ما حصل هو الذي سيتولى وضع الكوفية وراء أحد رفاقه بالطريقة نفسها.

وبذلك يقضي الصبيان وقتا ممتعا يترقب فيه أحدهم أن يكون ضارباً

أو مضروباً ويشد انتباه الواحد منهم باللمحة أن يرى ادنى حـركة تصـدر من رفيقه صاحب الكوفية لتحاشي الضرب على ظهره.

الصبّة:

هذه اللعبة من الألعـاب الفكريـة تتكون من ثـلاثة مـربعات أحـدها داخل في الآخر وبين كل واحد وآخر مسافة مناسبة وهي تلعب بـين أثنين ثم تقطع أواسط المربعات الثلاثة آلتي هي على نسق واحد من جهاتها الأربع ولو أحصينا نقاط التقاطع مع زوايا المربعات لأصبح لدينا (٢٤) مركزاً. والصبة هذه ترسم على أي مرتسم مناسب قطعة قماش أو الكارتون وحتى عـلى أرض صلبة بالحفر وتكون (بيد كل منهما تسع حبـات مختلفة اللونين فيبدأ أحـدهما كيفما اتفق بوضع حجره (حبة)[1] على إحـدى النقاط محـاولاً أن يحصل عـلى



(١) الحبّة هذه قد تكون حجرة صغيرة سوداء وبيضاء وقد تكون مصنوعة من الخشب وقـد تكون ودعة من الودع ذات لونين.

صفّة من خط مستقيم سواء كان أفقياً أو رأسياً ولكن صاحبه لا يدعه يمضي في خطته بل يسد عليه المنفذ تلو المنفذ كلما حاول أن يكّون له خطة يكسب بها شوطاً ويحصل على حَجَرَة من خصمه يرفعها من الميدان بغية أن يضع مكانها ليؤلف خطة أخرى مجاورة لخطته الأولى ولكن خصمه والدور له يسارع فيسد الخطة على صاحبه فلو أن أحدهما تمكن من رسم خطة مستوية تجاورها أخرى بنفس الاستواء يكون قد قبض على زمام الموقف حيث تكوّن لديه مستويان يملأ الأول ثلاثاً ويملأ الثاني اثنين من الحجر فهو كلما صعد بهذا الحجر إلى صف أعلى يكون ثلاثة على نسق واحد وإذا نزل به حصل على نسق ثان فيحصل على حجره يلتقطها من أي مكان شاء بحيث ينقص عدد جنود خصمه ويخلخل صفوفه. أمّا هو فخطته محصنة لا تؤخذ على غرة.

وهذه اللعبة يدخل فيها إمعان الفكر والحيلة والتدبر في إحكام خطة هذا اللاعب وفي الوقت نفسه أن يفسد خطط خصمه فهي دفاع وهجوم.

الثور قبل البقرة (الصافروك):

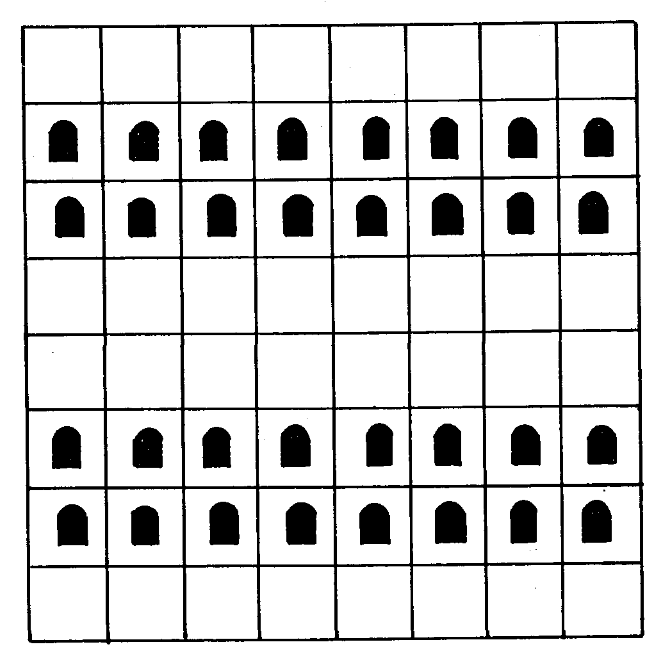
هذه اللعبة تزاول بالليالي الظلماء من فريقين. ويقف حكمان متقابلين يرتفع بينهما (مطوى) وهو عباءة أو ما يشبه ذلك فيصيح أحد الحكمين الثور قبل البقرة فيأتي أحد المتبارين متستراً ليجلس محدودباً وراء الغطاء ثم يأتي خصمه بمثل ذلك ليس بينهما إلا هذا الغطاء فيمد الحكم رأسه يسأل أحدهما عن اسم خصمه وبصوت خافت يسميه ويحتفظ الحكم بما سمع ثم يلتفت إلى قرنه بنفس السؤال فإذا اتفق أن عرف كلٌ صاحبه أخلى الحكمان الخباء من أيديهما وقالا: ليضرب كل منكما صاحبه فيتضاربان ويحمد كل منهما ربه أن لم يقع تحت المطوى أمّا إذا عرف واحد منهما صاحبه ولم يعرف الآخر فيغطي الحكمان الذي عرف ويؤتى بالآخر فيدس رجله تحت الخباء ويمسك به خصمه وقبل أن يضرب من أعدائه الذين سيبرزون له تعطى له فرصة يسأل فيها عمن تحت الغطاء فإذا عرفه أطلق سراحه وإلا وقعت عليه المصيبة فيُضرَب حتى يتمكن من الخلاص والانفلات.

عُظيم سرىٰ:

وهذا اللعبة طرفها الأول واحد والثاني جماعة وتلعب في الليالي المقمرة في الصيف. يمسك هذا الطرف بعظم صغير بحجم مناسب ويلفه بخرقة سوداء أمام جماعته ثم يقذفه بقوة إلى جهة مجهولة ويذهب كل واحد يحاول أن يعثر عليه فينتشرون يفترقون أو يجتمعون وعيونهم إلى الأرض تبحث عنه وقد ابتعدوا عن مكان الهدف الذي ألقي منه العظم فإذا اتفق أن وجده واحد منهم وجب عليه أن يصيح « سرىٰ » وما أن يسمعوا هذه الكلمة حتى يفزعوا ويهربوا ويعجل النابة منهم وبسرعة البرق أن يمسك بأقرب واحد بأن يقفز على كتفيه ويقول له : احملني فيحمله إلى نقطة البدء وهكذا تتكرر اللعبة ويمضي هزيع من الليل وقد تمتعوا بها بحثاً عن العظيم وركضاً من هنا وهناك ومرح في ليل الصيف المقمر .

الدامة:

وهي من الألعاب الفكرية أيضا يلعبها اثنان فقط على رقعة من القماش أو من المقوى ومقسمة إلى آبعة وستين حقلا ولدى كل واحد ست عشرة حبة من الخشب ذات لونين مختلفين يملأ أحدهما الصف الثاني والثالث مما يليه في كل صف ثمان حبات تاركاً الصف الأول فارغاً ويفعل صاحبه مثله في الترتيب وملء الفراغ ويحاول كل منهما ألا يترك حبتين مفصولاً بينهما إذ بهذا يستطيع الخصم أن ينفذ إلى خطة خصمه فيقفز على الحبة التي أمامه وينزل في المكان الخالي وراءها ثم يلتقطها وبذلك كمن قتل جندياً فإذا تمكن أحدهما أن يتقدم متخطياً حتى يصل إلى الصف الفارغ أي خلف خطوط العدو يكون قد حصل على موقع استراتيجي يستطيع منه أن يهجم لا يقف أمامه إلا مكان لجنديين متجاورين ومن أصول هذه اللعبة ألا يرجع صاحبها بخشبته إلى الوراء اللّهم إلا تلك التي حصلت على الموقع الخلفي وتسمى هذه الخشبة «دامة» وقد تقتنص بحيلة ينصبها لخ خصمه . وهذه الخشبة التي تطلق عليها



الدامة

«دامة» لها حق التنقل في كل جهة بخطوط مستوية أو متعامدة وقد تقفز عدة أماكن خالية لا يردها إلا موقعين متجاورين لجنديين من جنوده أو من خصمه على حد سواء . ويكون أحدهما أبرع من صاحبه إذ يعد كمينا للهجوم في الوقت المناسب فهو يقدم الضحايا لخصمه قائلا « أَكِلْ » وليس على هذا إلا أن يأكل ما قدم له وهذا من أصول اللعبة ثم يقدم إليه جندياً آخر من مكان آخر ويقول له « كل » فيأكل وربما يعطيه جندياً ثالثاً وليس عليه أن يمتنع مما قدم له عندئذ يبدأ الهجوم من الكمين الراصد فيسحق نصف جنوده أو كلها ليكسب النصر .

إنه حينما كان يقدم بعض الضحايا فكأنما أحدث في جيشه الفراغات للخدعة يمكن بعدها أن يقفز ويأكل حتى يحدث مقتلة كبيرة في جيش خصمه وينهي اللعبة .

وهذه اللعبة تحتاج إلى دربة وذكاء في رسم الخطط هي أشبه ما تكون في تعبئة الجيوش وحكمة القائد في التقدم واعطاء بعض التضحيات ليكر على عدوه ويفني جنوده.

لعبة فصم المشمش:

تلعب بين اثنين فأكثر وهي أن يقف أحدهم إلى نقرة تتسع إلى بضع عشرات من فصم المشمس أو فصم الحامض (تمر الهند) ويقف الآخر أمام هذه النقرة لا يبعد عنها بأكثر من مترين وقد ملأ يده بعدد مناسب من الفصم كأن تكون ستة إلى عشرة ويثبت رجله في مكان أمام النقرة ويرسل ما بيده لتقع في هذه النقرة، يقول جئتك بأربعة أو جئتك بستة أو بعشرة والنقرة تتسع لما يقوله من عدد فقد تقع هذه الفصم كلها أو بعضها وينتثر الباقي خارج النقرة وفي هذه الحالة على صاحب النقرة إن يحسب ما في داخلها ويرده بمثله إلى خصمه ويأخذ ما انتثر وتتكرر اللعبة أو ربما يستبدل صاحب الحفرة بغيره على هذا الترتيب فيخسر الخاسر ويربح الرابح وهي لعبة مسلية يصيب فيها من يحسن التسديد ويخسر الآخر.

لعبة الچعاب:

الكعب هو العظم المعروف موضعه من رجل الخروف وينتشر لعبها أيام الأضاحي وهي من ألعاب الشتاء على الأكثر حين يجتمع الأطفال في (المشراقة)[1] وتلعب من ولدين فقط. يخط خط مستقيم بطول مترين ويخط من دونه ومن قبله خطان يتوازى معهما يبعدان عنه بمتر أو مترين حسب الاتفاق ثم يخط وراءهما خطان يبعد كل منهما عن الخط الثاني بمترين تقريبا يخضع هذا الخط للزيادة والنقصان حسب الاتفاق. يضع كل من الاثنين

---

(١) سميت بهذا لأن الشمس تضرب بها صباحاً.

عدداً من الكعاب قد يبلغ مجموعهما عشرين كعباً من كل عشرة تصف هذه في الخط المركز على نسق مستقيم وقد يصف منها (١٢) وتصف الثمان الباقية من حولها لتتناسق معها بشكل متواز بين الخط الأخير والخط الأساس قرابة نصف قدم. أما كعاب الخط المركز فمتلاصقة قائمة على أحد جنبيها ثم يقترع على من يضرب أولاً فيقف هذا يثبت رجله على الخط البعيد[1] ويدير الكعب الذي يسمى الصول بين أصبعيه ويحسن صاحبه اختياره لكبر في حجمه وثقل في وزنه يرسله ليقع على الصفّة من الكعاب فيصيبها فقد يصيب واحداً منها أو أكثر فإذا خرج أحد هذه الكعاب من الخط الثاني فتكون الضربة ناجحة ويأخذ كسباً هذا الذي خرج. وهنا ينظر إلى هذا (الصول) فإن كان قد خرج أيضاً مع الكعب المضروب يكون دوره قد انتهى لتعاد الكعاب إلى صفتها الأولى ليقوم صاحبه بالدور. ومن المعلوم أن هذه الكعاب محكوم عليها بالنفاد وربما يسيطر على الملعب أحد اللاعبين فيحرزها كلها وربما تنتقل اللعبة بينهما فيكسب هذا بعضاً ويكسب الآخر البعض الآخر . . . وهذه اللعبة تسمى لعبة الخطة، وهناك لعبة أخرى تسمى لعبة (المصدّي) وهو أن تعمل دائرة قطرها متران ولها ميد (كميد الخطة السابقة) فيضرب الأول فإذا أخرج الصول كعباً منها فهو ناجح وسواء ثبت الصول في الدائرة أو خرج فإنه سيتولى ضرب الكعاب واحداً واحداً ليخرجها من الدائرة، أما إذا أخفق في هذه فإن الآخر هو الذي سيتولي العمل.

وكان لي زميل من أحد اخواننا المصريين عندما كنت أحدثه بمثل هذه الألعاب يقول لي أن هذه الألعاب يلعبها أطفالنا في مصر مع اختلاف بسيط في التسمية أو في الترتيب وهذا شيء عجيب فلا نحن أخذناها من مصر ولا هم أخذوها منّا بل توارد الخواطر، وهي العاب صبيانية يبتكرها أطفال الحي أينما وجدوا[2].

---

(١) يسمى هذا الخط (الميد).

(٢) لربما لأنها لعبة عربية قديمة انتقلت إلى مصر مع نازحين في مناسبة ما منّا أو منهم.

ولعبة الجعاب هذه مع ما فيها من التسلية وجمع المكسوب فإن فيها نزعة النظام وقانون اللعبة ثم المحافظة على قوة نظامها المبتكر.

لعبة كرة اليد:

وتسمى هذه اللعبة باللهجة الدارجة «طمباخة» وهذه الكرة مصنوعة من خرق ملفوفة على بعضها بقوة ثم محكمة بخيط يدور حولها ويتكون بحجم البرتقالة وقد تكون صلبة إلى حد ما وتلعب بين جماعة كبيرة فيقترع على من تكون بيده من هذا الفريق من الشباب وليست مقيدة بميدان ولا بهدف يحرس بل من كانت بيده ضرب بها أقرب من يكون لديه وليس له حق اختيار من يضرب ومن كانت بيده يجب أن يضرب حالاً وإلا نازعه فيها غيره بقوة ولذلك يكون اللاعبون في هجوم دائم واتقاء من هجوم فهو يفر ويراوغ كيلا تصيبه الضربة وهو حريص أن يأخذها من الأرض قبل أن يأخذها غيره وهكذا تجد الحركة ديناميكية. فقد يتلقى أحدهم الضربة تلو الضربة لا عن قصد وإنما هو سياق اللعب وتأتي الضربة على رأسه أو على كتفه فيحتملها وربما تأتي قوية من يد ضاربها فتوجع ولكنه لا يبدي ألمه وهدف هذه اللعبة هي الحركة المستمرة وبراعة التسديد في الضرب وتحمل الضربة.

لعبة الطيارة)

في أيام الربيع الأخيرة يولع الأطفال بصنع الطيارات من الورق يصنعونها بحجمٍ يتراوح قطرها بين ٣٠ سم أو أكثر على شكل مربع أو معين ويلصقون بها ذيلاً من الخرق أو من الورق يكون طوله ضعف طول الطيارة بمرة أو مرتين .

وهذه الطائرة كيف تتماسك فلا تعصف بها الريح؟ يلصق بها قوس رفيع مصنوع من سعف النخيل ويثبت ينتهي طرفاه بطرفي المربع ويخترق

الطيّارة من جهتيها[1] ثم هناك عود آخر مستطيل يخترق الطيارة من الجهتين الأخريين ويمر من وسط القوس ويثبت بالصمغ أحد طرفيه يربط به الذيل أما الخيط الذي يكون طرفه الأول بيد الولد مربوطاً من طرفه الثاني بوسط الطائرة عند الثلث الأعلى منها والخيط طويل قد يبلغ مائة متر أو نحو ذلك. وهذا الخيط رفيع متين أي قوي ترسل هذه الطائرة مع هبوب رياح الشمال فهي التي تكون منتظمة بعكس رياح الجنوب فإنها مترّبة ذات عصف غير منتظم كما يسمى هذا الهواء (كوس) فلا تصلح معه ومنظر الطائرة هو تشبّه بالطائرة الحقيقية ويفلح بعض الأطفال أن يضع بطريقة فنية مصباحاً وهي شمعة صغيرة يلصقها على جسم الطائرة ويحيطها من جوانبها بورق مقوى يعلو عليها ومفتوح لها من أعلى وحين يراها الطفل محلقة في السماء والضوء يشع من جوانبها في الليل يملؤه الزهوّ والفرحة ثم هو بيده الخيط يطويه ليقصر من ارتفاعها أو يرسله ليزيد في التصعيد. وقد يكون لهذا الطيارة جناحان هما ذيلان قصيران من جانبيها ، لتحفظ من توازنها .

لعبة المفاتيح :

وهذه اللعبة عمادها المفتاح الذي هو من النوع القديم الذي له بيت في داخله وفتحته إلى الخارج . وكبريت الشخاط (الثقاب) حيث يعمد الولد إلى العود من الشخاط فيسحت منه الكبريت من حافة المفتاح فيتجمع فيه كمية منه تملأ منه قدراً مناسباً. وهذا المفتاح مربوط بخيط لا يتجاوز طوله المتر ومربوط بطرفه الثاني بمسمار فيدخل حد المسمار بذلك الثقب ويمسك الطفل الخيط من منتصفه فيضرب حائطاً له صلابة وهو كمثل البندقية التي يسدد ضاربها مرماه فيحتك المسمار ويضغط بقوة على البارود (الكبريت) فتنطلق الضربة عن صوت قوي يصك الآذان وقد ينصدع المفتاح من شدة الضربة . ويلعب الأطفال هذه اللعبة أيام الصيف ذات السموم الحار وذلك لأن البارود لا يتفجر حتى يكون جافاً ولا يتهيأ ذلك إلا أيام الصيف .

---

(١) يسمى هذا القوس بالطنگة.

المطارح :

قد يتحدى الشاب في جماعة شاباً آخر بسنه وفي قوة جسمه فيقول هذا لذاك : تطارحني ؟ فيقول : نعم أطارحك بلهجة التحدي . فيقومان إلى وسط الساحة وكلٌّ يرى في نفسه القوة ، وأنه سيصرع صاحبه والجماعة من حولهم يتطلعون فيتماسكان ويمسك أحدهما الآخر من وسطه بمعرفة ويروحان يتداوران كل يجرب حظه هذا يلوي إلى اليمين وذاك يرد عليه بأقوى إلى اليسار وأرجلهما من تحتهما تختلف مواقفها ويشتد الصراع وتحمر الوجوه فيسري هذا إلى الجماعة وينقسمون إلى قسمين كل يشجع طرفاً ويعلو الصياح ويتدافعون ثم ما هي إلا لمحة سانحة وبخفة حركة من أحدهما فإذا هو يصرع صاحبه وينتصب فوقه منتصراً فيصفق جماعة ويبهت آخرون . . ليحدث بعد ذلك التعليق من الجماعة في هذا الصراع .

لعب البنات :

من حق البنت (الطفلة) أن تولي حقها من ألعاب الأطفال وإن كانت في العدد أقل من ألعاب الذكور والذي استطعنا أن نقف عليه هي :

لعبة الفلينات .

لعبة أنا الذيب وأكلكم .

لعبة الخرز .

أولا : لعبة الفلينات :

وهي أن تعمد طفلة أو طفلتان أو ثلاث لتكوين عائلة من أعواد صغيرة وحاجات تمثل البيت وما يحويه فتفترش الصبية قطعة من قماش صغير الرقعة إلى حد يتسع لعائلة مكونة من زوج وزوجته فيصنع الزوج من عود طوله بضعة سنتيمترات ويركب عليه عوداً أصفر منه يمثل اليدين ويلف من أعلاه بقطعة تمثل الرأس وبنقط سوداء تمثل العينين والفم والأنف ويلبس بقطعة تمثل لباس الرجل يغطى جسمه ثم يسند إلى الحائط وتتمثل زوجته أو

أم عيالـه بلبـاس أرق من حيث الألـوان والشفـافيـة ويصبـغ وجههـا بـاللون الجذاب وتتـدلى من رأسهـا الضفـائـر ثم تـوضـع بجنب الـرجـل وجسمها أصغر منه . ثم تنتثر أمامها بعض أدوات البيت من مسـاند وتكـايا وصينية فيها شيء من الطعام وربما يجلس حولهـا أطفال وصنـدوق ملابس . كل ذلك مصنوع باليـد وبطريقـة طفوليـة بسيطة ، وتنبسط أسـارير البنـات والزائرات والضيوف لهذا البيت الجميل ، وربما تنافست كل بنت وصـاحبتها في أحسن من يقدم أجمل عائلة .

إن هـذا يـدل عـلى اهتـمام الصبـايـا المبكـر في صنـع البيت والعـائلة والإحسـاس بالحيـاة التي تحلم بها الـطفلة على صغـرها وبسـاطـة تفكـيرهـا وتحسس آمالها في مستقبل حياتها .

لعبة أنا الذيب وأكلكم :

هذه لعبة قوامها بضـع بنات أو بضـع عشرة في خط دائري تـتـقدمـه بنت كـبرى وتقابلهـا بنت أخرى تنـزع منزع القـوة والبأس والشر تتمثـل في أخلاق الذئب فهي تـأتي تهاجم الصبـايا الصغـيرات وأمهن تتصدى لـه بقوة وصلابة تدفع عن بناتها ، فهو يراوغ كلما تصدت له الأم يروغ يميناً وشمـالاً لينقض على واحدة منهن والخط يتمايل تبعاً لتمايل أمهن في هذا الدفاع . فهـو يقول « أنا الذيب وأكلكم »فتجيبه الأم وهي توجه ردّها بقوة لتطمئن بناتهـا فتقـول « وأنا أمكم وأحميكم » وتـدور صيحات استغـاثة وصيحـات هجـوم وصيحـات شجاعـة من الأم والأطفال وتقضي البنـات في هـذه اللعبـة وقتـاً ممتعاً .

لعبة الخرز :

وتلعب هـذه اللعبـة اثنتـان تضع كـل واحـدة عـدداً من الخـرز بحجم الحمص أو أكبـر قليـلاً ، وتحفـر من أمـام حفـرة منـاسبـة تلقى الأولى التي تفوز بالقـرعة بـالخرز جملة واحـدة من يدهـا على بعـد مناسب في

تلك الحفرة من مكان يسمى « الميد » . فما وقع في هذه الحفرة من الخرز فهو لها تأخذ عليه مثله وما قذف بخارج فتجمعه البنت الثانية المنافسة غنيمة لها لتلقيه بدورها من الميد إلى الحفرة فما وقع في الحفرة فهو لها مضاعفاً وما تبدد خارجها فتجمعه صاحبتها وتقذفه وهكذا. فمنها الرابحة والخاسرة . .

وهناك ألعاب أخرى فيها متعة للصبايا كلعبة « البربش » وهي لعبة راقصة فيها شيء من الرياضة الهادئة . تتميز ألعاب البنات بالهدوء في حين تتميز الأخرى بالعنف وفي كل مجال للتركيز والفن والمتعة وإذا كانت العاب البنات لا تلعب إلا في النهار فتلك تلعب في الليل والنهار .

لعبة المحيبس

هذه اللعبة غالباً ما تلعب في ليالي رمضان أو ليالي الشتاء وهي لعبة محببة لدى الشباب والشيوخ معاً . وتتكون من سبعة أعضاء يقابلهم سبعة أنداد . يدعي الوسط الرئيس أو (الأبو) ومن على يمينه ويساره (وزير أيمن ووزير أيسر) ثم من بعدهما على نفس النسق (ربعة) عن يمين وربعة عن يسار . ومن بعدهما (دلوگ) عن اليمين وعن اليسار أيضاً .

دلوگ ربعة وزير الريس وزير ربعة دلوگ

إيسر أيسر أيسر (الأبو) أيمن أيمن أيمن

الفريق الأول (حامل المحبس)

دلوگ ربعة وزير الريس وزير ربعة دلوگ

أيسر أيسر أيسر (الأبو الند) أيمن أيمن أيمن

الفريق الثاني المثابل (الند)

ثم يتفق الأبوان على سعر المحبس الذي هو سر هذه اللعبة يتبايعونه بينهما بأربعة أو بأكثر أو بأقل . وهذه الأربعة (بأربعة طيور) يسمى الواحد منها (طير) فالذي يستلم المحبس يكون قد سجلت عليه هذه الطيور (مديناً بها) . ثم يرفع بينهما (ستار) يسمى المطوى بحيث تستر الرؤية . والأبو يختار برأيه من يضع بيده المحبس . ثم يقول : بات ثم يسدل الستار والأعضاء سكوت . ثم أن أباهم هو الذي يتصدى لأبو الند المقابل . وفي هذه اللحظات تظهر فراسة الأبو (الند) الذي سيبدي كافة ما يملك من براعة لينتزع المحبس من يد حامله . فهو يقول : « هاليمين ، ويؤشر لصاحب اليمين المقابل أو هالشمال ويؤشر لصاحب الشمال » . بدون ذكر أسمه ، وربما يقول : « كسرك » . وفي بعض الأحيان يشير إلى الدلوگ بالتكسير مردوفاً بالوزير الأيسر وينتقل تثبيتاً لهذا وتكسيراً لذاك ، وما على الأبو إلا أن يتابع وهو مشدود الذهن والأبصار . فإما أن ينتصر هذا الفارس وينتزع المحبس أو يعود خائباً . وفي هذه الحالة يكون هذا الأب قد سُري عنه وتنفس الصعداء . علماً بأنه لا يحمل محسباً ولكن عليه أن يحافظ على هذا المحبس بأحكام بتنقلاته من يد إلى يد بين أصحابه .

فإذا قال « هاليمين » فتعني أن المحبس فيها ولا عبرة ليساره . فإذا أتفق أن اليسار هي التي تحمله فيقول الأبو . بقوة : لا . . أي خسرتَ يا هذا الفارس . وإلى الكاتب : سجل لنا نقطة ويرفع المطوى من جديد .

وقد تصدر الكلمات من هذا (الند) بغضب ويتحمس ويرتفع صوته ، وعلى ذلك الأب (صاحب المحبس) أن يتابع صيحات خصمه فلا يرتبك . وربما أرعد (الفارس) وأزيد . وربما قام من مقعده وأطلق صيحات قد ترعب حامل المحبس . وحامل المحبس خافض رأسه لا يتكلم ، والموقف بجملته يحبس الأنفاس من قبل النظارة .

بعد هذه الجولة العنيفة قد يأتي بالمحبس ينتزعه من يد حامله ويترك ذلك الأب مدهوشاً خائباً . ويعود هذا الفارس منتصراً يحمل محسبه لأصحابه . ويسدل الستار من هذه الجهة لتعود الكرَّة وليقوم الريس المقابل

يأخذ بالثأر وهكذا تدور المعارك كراً وفراً .

والكاتب يحسب كل محبس بنقطة واحدة وهكذا حتى تنتهي إلى آخر الشوط (بـ ٧١ نقطة) لتختم اللعبة .

ثم هناك سبعة حمير أخرى ، وهذه الحمير تُلعب آخر الجولة يجب أن يحرزها الغالب أيضاً وهي بعدد أعضاء الفريق وضعت بالأصطلاح الشعبي أن يركب كل فارس حماره ، وهو شيء معنوي فقط .

وتُلعب هذه بجوائز يسلمها المغلوب للغالب .
ورأينا هذه اللعبة تُلعب في الزبير والكويت والبصرة ـ وبغداد .
وتجتاز الحمير السبعة الأخيرة بمشوار عسير من التعب لا يقل عن الطيور الأولى أن لم تكن أعسر[١] .

وفي هذه اللعبة تعبيرات ومحاولات ومهارات كلها لا تخلو من اللف والدوران . وقد يبلغ العنف في هذا الواقف لأنتزاع المحبس من خصمه أن يحمر وجهه ويشتد به الحماس إلى حد أن يمزق دشداشته كما حصل . وهذا نادراً .

لعبة الجدّير

هو تصغير (جدر) وهو إناء الطبخ . وأخذت اللعبة هذه التسمية لأن ما في معناها يدل عليها فيما يعني الأكل وتوزيعه على البيوت الجائعة .
وتلعب من ثلاثة أشخاص يتوسطهم تسعة أبيات لكل واحد ثلاثة .
وهي عبارة عن حفر تحفر في الأرض متساوية الحجم على شكل دائري ، وفي الوسط حفرة أكبر[٢] منها نسبياً تتسع الواحدة إلى حوالي ثلاثين حجراً صغيراً

---

(١) الشرط أن يمضي العد من (١ ـ ٧) مرة واحدة دون تقطع وإلا وجبت الأعادة مرة أخرى .

(٢) والحفرة التي بالوسط هي مخزن أمانات لمن أراد أن يضع حصياته التي غنمها .

على أعلى مستوى . ويحضر كل واحد ثلاثين حصاة بحجم النبق (الكنار) . يبدأ أحدهم بالتوزيع ، فيلقي حصية واحدة في كل بيت أبتداء من أبياته ، فإذا ألقى آخر حصية من الثلاثين وصادف أنّ عددها زوجي فيكف يده ليلعب جاره . وأما إن كان العدد الذي أنتهى إليه فردياً يأخذه ، ويعود إلى الذي وراءه فإذا كان فردياً أخذه أيضاً ويظل يأخذ ما في الأبيات لا يرده إلا العدد الزوجي . ثم يأتي الشخص الثاني ويبدأ باللعب من أبياته وله أن يوزع من القليل أو الكثير منها حسب فطنته بأن يكون أخر حصاة تقع في عدد فردي ، وقد يلعب على الطبيعة دون أن يحسب حساباً ما وهكذا .

وعند بعض النهايات قد يجد أحدهم ولا حصية في بيته ويأتي الثالث وربما لا يكون خيراً من صاحبه المفلس حيث تجمعت الحصيات عند واحد منهم . فيأتي الأثنان يعرضون أبياتهم للبيع من هذا الثري بالمساومة ليعودوا للعب من جديد وربما ربح أحدهم فأستعاد المبالغ (الحصيات) وربما خسر وهذه أخر فرصة .

وفي التصفيات الأخيرة لربما تتجمع الأموال عند واحد منهم فقط . . ولربما كان الغني الأول أو ذلك الفقير الذي نمت أمواله (حصياته) من جديد .

هذه اللعبة علاوة على كونها ممتعة فهي مليئة بالمفاجآت في هذا التوزيع على البيوت الجائعة . وأن فيها أمل النماء والحظ يلعب دوره .

الحرابة

هي الحرب الطفولية ولها مقوماتها فريقان يتصاولان ومع كل فريق عدة الحرب من عصا ومقلاع وتلفظ بمعجال وقد يعد أيضا الخنجر والكلنك والدبوس والصخرية والمحيان. والضحايا التي تقع بين الجانبين نتيجة الجهل والعنفوان الطفولي دمها مهدور.

هؤلاء أطفال من هذه المحلة ادّعوا بمفهوم التفكير الطفولي أن الفريق الآخر من المحلة الأخرى اعتدى على محلتهم بسبب أو لآخر فقامت قيامتهم وتجمع هؤلاء وأنذروا تلك المحلة وكانت شرارة ثم أصبحت ناراً وفي هذه الحرب تستعمل كافة الأسلحة المعروفة لدى هؤلاء وأولئك. فالمعجالة ترمي قذيفتها بحجر إلى مدى بعيد فإذا أصابت أحداً من الفريق الثاني فالخطر جسيم، هي تحمل حجراً يقدر المشمشة أو الخوخة واصابتها تدمي هذا إذا كان الفريقان متباعدين فإذا حصل هجوم من فريق على آخر فيبطل عملها وتبرز العصا ويبرز المحيان والدبوس وربما يبرز الخنجرة وتشتد المعركة حين ينهزم الصغار ويثبت في الميدان الكبار وتسمى هذه الحالة (مكاضب) وهنا تكون المصيبة فيقع من يقع مثخناً بجراحه وتنتهي هذه الحرابة بمأساة.

العبرة والدروس التي يتعلمها الصغار ويمكن للكبار بعد ذلك أن يستشفوا منها بعض الدروس أنها تنم عن تخطيط تماما كما تجري الحروب اليوم وبصورة مصغرة. فالمحلة بمثابة الوطن له حدوده وحرماته والاعتداء على المحلة باستعراض العضلات ودخولها بصورة استفزازية هي بمثابة التحشد على الحدود أو إجراء المناورات على الحدود أيضا وهذا يثير نفوس أبناء المحلة تماماً كما يجري بين البلدين والبلد المجاور من تحرشات واستثارات للأعصاب بوسائل الاعلام المعروفة. ويرسل كبار المحلة بعض الأحيان بعض الرسل لاجراء بعض المشاوارات لدفع الشر وعدم التعدي والتعرض بدون سبب مبرر تماماً كما تجري في ارسال مذكرات أو احتجاجات في الأنظمة السياسية الحديثة فإن لم تفد هذه تعمد المحلة إلى إرسال انذار بواسطة أحد الأولاد وإن موقع المعركة سيكون في المكان

الفلاني واليوم الفلاني ، وهذه التكتيكات البسيطة وعلى سذاجتها تنم عن تفكير لا يبعد كثيرا عن الحقيقة التي تقع اليوم بين الدول. وإن كانت الحروب تستعر لأسباب السيادة والأطماع فقد اكتفت «حرابة» الأطفال بفرض التعالي والشمخرة واستعراض العضلات فقط. وإذا استعرت نار الحرب واتسعت اطرافها وشملت جبهة كبرى كذلك في حرابة الأطفال تتسع فتشمل أكثر من محلة لمجابهة أخرى بحجمها بحيث تصبح البلدة بمحلاتها العشر إلى جبهتين تماما كما ينقسم العالم في دوله إلى شرق وغرب.

هذه المحاربات بين الأطراف إنما هي حالة موروثة من الحياة البدوية حين تتنازع قبيلتان على مواقع المياه والرعي أو حين تتوارث نزاعات بين قبيلتين وتنحدر هذه وتتوارث حتى لتظل وتأخذ مجراها كلما التقت هذه القبيلة بتلك. وهذه الحالة لا تنتهي إلا حين تدخل القبائل فيي حياة حضارية تحت سيطرة حكومة قوية وهذا هو البديل الصحيح.

كذلك تلك الحالة بين أولاد الزبير شبابه وأطفاله لم تنته إلا بعد أن دخلت البلدة في طور حضاري حديث فانساب الأولاد إلى مدارسهم ولم تعطهم المدارس فرصة للعب بالنار بل تولت وضع برامج للتربية البدنية والرياضة المنظمة يشغلون بها أوقات فراغهم في المدرسة وخارجها فكانت النوادي والملاعب على صورة أوسع.

تلك المحاربات بين شباب المحلات المتصارعة في الزبير تراهم حين يدهمهم العدو سرعان ما يتنادى هؤلاء الشباب صغيرهم وكبيرهم مع آبائهم وبني جلدتهم ليكونوا صفاً واحداً يدفعون عن وطن الجميع متناسين ما كان بينهم من خصومات وما أصدق هذا البيت للشاعر العربي وهو يقول:

أخاك أخاك ان من لا اخا له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح
وانَّ ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

لعبة الفقميت :

هي لعبة تلعب بالجعاب من أثنين فقط وهما جالسان. يبدأ الأول برمي الجعبين على الأرض بعد اجراء القرعة فيضرب هذا جعب خصمه بأصبعه بطريقة موترة فيلحظ الضارب أن كان جعب خصمه منكفئاً على وجهه على الأرض أخذه. فإن لم يكن كذلك كان الدور للاعب الثاني وهكذا تجري اللعبة.

لعبة الركيز :

تلعب من أثنين فأكثر بأن يركز أحدهم (وهو المغلوب بالقرعة) عصاه في الأرض ويبدأ الضرب على عصاه من بُعد سبع خطوات أو نحوها ويتوالى اللاعبون بالضرب على تلك العصا المركوزة مما سيوهن من صلابتها وقوامها فإن أخطأت الضربة الأولى فان هذا الضارب يقع عليه النكال ويركز عصاه ليتداول عليها الضرب وفي الضربة الأولى العبرة ولا يهم أن يخطىء الضارب الثاني أو الثالث وهذا يعني أن المخطىء الأول في هذا التسلسل هو المقصود ليركز عصاه بعد. ويتوالى الضرب عليه.

لعبة الفخ :

آلة بدائية لصيد الطيور تسمى (الفخ)[1] وتتكون من قرن الخروف الذي يكوّن نصف دائرة يصل بين طرفيه خيط مبروم يدور بينهما عدة دورات تمكيناً للقوة ثم يدخل بين هذين الخيطين عود بطول ضعف قطر الدائرة لذلك الفخ ويكون هو قاعدته مع زيادة قليلة فيه إلى الأعلى يربط في هذه الزيادة خيط فيه الطعم ثم يفتح الفخ بقوته ليرتبط بالخيط والطعم ويوضع الفخ على الأرض مخفياً بتراب بحيث يخفى على الطائر لا يُرى منه إلا ذلك

---

(١) ويعوض عن الفخ حديدة مثله صنعت لهذا الغرض تسمى الحكة (الحقة).

الطعم فيأتي الطير آمناً ليأخذ مكانه في حضن هذا الفخ ليس أمامه ما يمنعه فما هو ولأول نقرة لطعمه لا يشعر إلا وقد انفلت الفخ بقوة ووقع الطير في القبضة.

النباطة:

وهي آلة بدائية أخرى لصيد الطير وهو على الشجرة تتكون من قطعة من غصن شجرة له فرعان قويان وله ممسك يد تدخل فيه الصنعة قليلاً وقطعة من الجلد رقيقة تتسع لحمل حجرة صغيرة (صلبوخ) وتثقب هذه الجلدة من طرفيها ليرتبط بهما سيران مطاطيان قويان يرتبطان بالفرعين المذكورين ويلحظ الولد الصغير (الشاب) الطائر على الشجرة أو على رأس حائط فيسدد له ضربة من هذه النباطة ويمغط السيرين حتى إذا كان الطائر في مرمى الحجر أرسلها عليه فيهوي على الأرض مكسوراً جناحه أو على رأسه ميتاً.

والطيور التي هي هدف هذه المصائد هي: حمام البر أودجاجة عدى أو الحمامى أو القوبع والهدهد والورشان وإلى طيور أخرى ذات أشكال وألوان ترد الغدران أيام الربيع أو الصيف تبحث عن غذاء.

من ألعاب الأطفال

١ ـ حنّا بنات أحمد تلاقينا:

هذه العبارة هي عنوان لأغنية تأتي على لسان الصبايا في لعبهن مع بعضهن يتماسكن بأيديهن مقسومات إلى فرقتين بأغنية يتبارين بها يقول الفريق الأول بلحن واحد:

«حنّا بنات أحمد تلاقينا» فترد عليهن في الصف المقابل «حنّا الشام والبارود بأيدينا» وهذه الأغنية هي من أغاني الحرب تذكرنا بتاريخنا العربي القديم حين تقف الشاعرة تنشد بين الصفوف من أهلها وبني قومها لشحذ العزائم ضد العدو. وكما تقف الشاعرات اليوم في ملاحم البطولة تشددن العزائم فتقولن الشعر أو تزغردن كل ذلك يجري في حالات الحرب[١]

٢ ـ لعبة الطاق:

هي واحدة من ألعاب القوى للصبايا كذلك ورأينا فتياناً في البصرة يلعبونها نفسها. وهي عبارة عن تخطيط على الأرض أما بالفحم أو بالماء يصب من فم أبريق خطان طويلان متوازينا أطوالها عشر خطوات والمسافة بينهما أربعة أمتار يلتقيان في أطرافهما على شكل قوس ثم يقسم هذا الشكل إلى قسمين طولياً ويقسم الشكل الكامل إلى أربعة أقسام ليتحصل لدينا أخيراً على ثمانية بيوت، ويلقي حجر صغير على شكل قرص من الصلصال في البيت الأول ويدخل أحدهم أو أحداهن برجل واحدة ويظل يدفع القرص بها قفزاً دون أن تقع رجله على الخط فإذا وقع القرص أو رجله يكون قد خسر اللعبة أساساً، وكذلك الرجل الثانية فان حطت على الأرض يكون قد خسر اللعبة أيضاً. ويظل ينقّل القرص حتى نهاية البيوت الأربعة ثم ينتقل إلى البيوت الأخرى المجاورة على نفس الطريقة فإذا أنهى

(١) لم نستطع الحصول على بقية القصيدة.

البيوت الثمانية يكون قد أنهى الدورة وأنهى جزءاً من اللعبة وهنا عليه لأكمال اللعبة أن يلقي القرص في البيت الثاني ويداول لعبته تماماً كما فعل أولاً. فإن أخطأ القرص بيته يكون قد خسر اللعبة أيضاً وخسر معه ما أحرزه من قبل. وهكذا يجري العمل في الثالث والرابع فإذا أنهاها يكون قد أحرز نصف النجاح في هذه اللعبة. إذ عليه أن يجري قرصه في النصف الثاني كما أجراه أولاً وللناجح أن أنجز الدورة كاملة جائزة متفق عليها.

لعبة طمّ خريزة للبنات :

تلعب من أثنتين[1] ـ تخفى احداهما خرزة ذات لون براق في كومة من التراب في غفلة من أختها ثم تقسمها أمامها إلى قسمين في أحداهما الخرزة فتقول: «وين الخرزة؟» فتختار هذه أحدى الكومتين مخمنة أن الخرزة فيها. فإن وجدتها فهي الفائزة ثم تأخذ جزاءها بسطعة من يدها الصغيرة على يد أختها ثم تتولى الأخرى الدور في الخرزة مع صاحبتها وهكذا تجري اللعبة.

هذه اللعبة على بساطتها يأنس لها الأطفال. فالخرزة جمالها البراق والعثور عليها في التراب لها مفاجأة. والجزاء فيها هذه السطعة البريئة للفائزة على صاحبتها.

بزونة عمي غنام:

هذه اللعبة هي أقرب ما تكون تنويمة الأم لطفلها أو طفلتها تقول فيها والطفل على حضنها:

بزونة عمي غنام تاكل عشاها وتنام
تروح لدرب الشمال تجيب خوخ ورمان
تحطه بصنيديقها صنيديقها ماله مفتاح
مفتاحه عند الحداد والحداد يبي فلوس
الفلوس عند العروس العروس تبي تميره.

(١) كانت الشوارع غير مبلطة في الزبير.

التمـيرة عنـد النخيـله　　　النـخيـلة تبـي مـيـه
المـيـة عـنـد الـله　　　ذنبحنـا دويـك عبـد الله

تقول الأم ذلك لـطفلها وهي تـذبّخه[1] حيث يجـد فيها الـطفل لـذة غامرة يتسلل النعاس إلى جفنيه مع الأحلام السعيدة .

هذه الأغنية الجميلة يمكن أن تلعب من الصبايا بالبربشة بين فـريقين . والبربشة أن تتماسك أنثتان أو ثلاث من الصبايا تقـابلهن بعددهن فتتـماسكن ليكون دائرة تدور برقصـات مبهجة وقفـزات موسيقيـة وينشدن هـذا النشيد صدر البيت لفريق وعجزه للفريق الآخر :

وهذه أغنية أخرى تقول :

مـريت عـلى عـريبـين　　　لقيتهم يـاكلون صحتـين
قلت يـا عمي يابـوحسين　　　كم بقى على عيد رمضان
سـبـع تـيـام وتمـام　　　احـاديهـا وابـاديهـا
واضربـه بوكس معـديها　　　حـقـرص بـقـرص
وين تـطر وين الحـطّ　　　طـاح الديـك بـالبستـان
الـله يـنصر الـسـلطان[2]　　　قفـز قلبي بـالشيجـان
الحـبـه حـبـه الـلولـو　　　والمضرط مضرط الـديك

فوقك حلقة لو مقص:

هـذه اللعبة تلعب من اثنتـين أو أكـثر ولكن واحـدة منهم تنحني كمن تركع للصلاة . فتقول واحدة من صويحباتها ويـدها عـلى ظهرهـا : صلط الله عليك . ما أكبر عيونكِ . فوقِك حلقة لو مقص لو دبوس . تقول ذلك ويدهـا تـرسم المقص أو الحلقة أو الـدبـوس عـلى ظهـر هـذه البنيـة ويجب أن تجيب بواحدة فقط من هـذه المسميات . فـإذا أخطأت ضربتهـا على ظهـرها بنفس الهيئة التي كانت على ظهرها . وإن كان جوابها صحيحاً تتخلى عنها وتأتي هذه

(١) أي تربت عليه وتضربه ضرباً خفيفاً أو
(٢) الأغنية تدل على أنها من العصر التركي عصر السلاطين .

لتحل محلها. وهكذا تجري اللعبة بين الصبايا ببراءة الأطفال ويمضين وقتهن في مرحهن.

طبيب للسرداب:

وهذه أغنية تقولها الصبايا في رقصة لهن يقلن:

طبيب للسرداب ولقيت صحن كباب
حلفت ما ادوقه لمن تيجي خيتي
خيتي على التنور خلخالها مكسور
وديته للصايغ عيّ لا يصبغه
إلا بنيره ومجيدي إلا بنيره ومجيدي

وفي هذه تبربش البنات وكأن هذه الخاتمة هي مدورة بالبريشة.

ملاحظة في الألعاب

مملا يلاحظ أن لكل عصر ألعابه وهواياته ونحن إذ أحصينا قدراً من هذه الألعاب والهوايات في جيل العقد الثاني وحتى العقد الرابع من هذا القرن الميلادي فذاك ما أدركناه أيام الصبا والشباب على أن هناك ألعاباً وهوايات أخرى غيرها لم تدخل تحت هذا الحصر وربما وردت مثلها في أجيال أخرى سبقت في هذا البلد أو ذاك وسترد مثلها في أجيال قادمة. ولذلك فعلى الكاتب الذي يؤرخ لهذه المتع والألعاب لغرض الدراسة التاريخية في جيل ما أن يحاول التحري والدقة في الوصف ليعلم قارىء هذا الجيل أن هذه اللعبة لا تختلف عما سبقها في شيء إلا في الأسم وبعض التعديلات.

وكذلك يلاحظ أن نوعية اللعبة أو الهواية تختلف باختلاف المحيط الحضري أو البدوي، الريفي أو المدني، عند ابن السهل أو ابن الجبل، ابن البحار أو الأنهار، وهكذا فلكلٍ هواياته التي تنبع من محيطه وحضارته.

وعلى أن لكل لعبة أو هواية صلة بذلك الجيل منتزعة من عاداتهم وأخلاقياتهم تترجم عن هؤلاء الأقوام تماماً كما هي الأغنية تعبر عن الحالة النفسية لذلك الجيل عند هؤلاء القوم من حيث حريته متمتعاً بها أو مسلوبة منه في فقره أو غناه في عسره أو يسره . مثل ذلك مثل الأمثال التي تعبر عن تلك الحالات في مختلف أحوالها .

هذه الاختلافات بجملتها تكوّن بحثاً ذا موضوع لمن هدته تتبعاته أن يضع فيها دراسة اجتماعية أو فنية أو أدبية .

دعوة

نهيب بذوي العلاقة من الأسر والأشخاص المنتسبين لبلد الزبير ممن لم نتناولهم في الجزء الأول والثاني سهواً أو جهلاً ممن له أي دراية بنسب عائلته ومسقط رأس أجداده من أرض نجد أو أي بلد عربي أن يكتب إلينا بنبذة تقل أو تطول لنتداركها في الأجزاء القادمة الثالث أو الرابع أو الخامس إن شاء الله تعالى ولله عاقبة الأمور.

بهذا ولله الحمد أولاً وآخراً ينتهي الجزء الثاني ومنه جل علاه نستمد العون والسداد بالجزء الثالث ويبدأ بالمساجد في الزبير .

المؤلفان

فهرست الجزء الثاني

الحياة الاجتماعية والتراث

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة